الجمهوريــة الجزائريــة الديمقراطيــة الشعبيــة
وزارة التعليم العالــي والبحث العلمي
جامعــة قاصدي مرباح - ورقلــة
كليــة الآداب واللغــات
قسم اللغة والأدب العربي

شعر الأسْر في عصر ملوك الطوائف

-دراسة تداولية

المعتمد بن عبّاد عيّنة

أطروحة مقدّمة لنيل شهادة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها
تخصص: البلاغة والأسلوبية

إعداد الطالبة :
عائشة عويسات

إشراف الأستاذ الدكتور:
أ. د. أحمد بلخضر

نوقشت يوم الأحد 07ماي 2017م بجامعة قاصدي مرباح ورقلة أمام لجنة المناقشة:

أ.د. أحمد قيطون	أستاذ التعليم العالي	جامعة ورقلة	رئيسا
أ.د. أحمد بلخضر	أستاذ التعليم العالي	جامعة ورقلة	مشرفا ومقرّرا
أ.د.عبدالرحمن خربوش	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	مناقشا
أ.د. امحمد فورار	أستاذ التعليم العالي	جامعة بسكرة	مناقشا
أ.د. لخضر بن السايح	أستاذ التعليم العالي	جامعة الأغواط	مناقشا
د. حسين دحو	أستاذ محاضر أ	جامعة ورقلة	مناقشا

السنة الجامعية: 1437-1438هـ/2016- 2017م

شكر وتقدير

الحمد لله الذي بحمده تتمّ الصالحات

وعملا بأن ن لم يشكر النّاس لم يشكر الله

أتقدّم بجزيل الشكر والعرفان لأستاذي المشرف على الأطروحة

الأستاذ الدكتور أحمد بلخضر على تحمله مضنّة الإشراف على البحث وأشكر **الأستاذ الدكتور بلقاسم مالكية**، وأتقدّم بجزيل الشكر إلى أساتذة قسم اللغة والأدب العربي بجامعة قاصدي مرباح ورقلة ، وإلى أساتذة قسم اللغة والأدب العربي بجامعة الشهيد حمّه لخضر بالوادي وإلى أعضاء مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية

وإلى جميع من قدّم لي يد العون في مراحل البحث

الطالبة: عائشة عويسات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

سورة آل عمران: الآية: 26

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه ومن والاهم بإحسان إلى يوم الدين. أمّا بعد:

تعدّ النظرية التداولية من بين أهمّ ما وصل إليه الفكر اللغوي المعاصر، وهي تحوز على موقعها في النظرية اللغوية المعاصرة من خلال إيلائها أهمّية لجميع عناصر العملية التواصلية؛ من مُرسِل وخطاب ومُرسَل إيه، والظروف المصاحبة للقول.وهي بهذا تتجاوز الطروحات التي تبنّت جانبا واحدا من عناصر عملية التواصل؛ كالاتجاهات النفسية والاجتماعية والبنيوية، ونظرية التلقي.

والخطاب الأدبي وخاصّة الشعري منه، هو استعمال لغوي يحمل مبادىء تداولية تؤهّله للخضوع لهذا المنهج، فهو يحمل قصد مُنشئه؛ الذي يسعى لتأسيس علاقة بالخطاب مع متلقّيه المقصود أو المفترض، والمحافظة على هذه العلاقة، باستعمال مبدأ الاختيار اللغوي والأسلوبي الذي يميّز خطابا عن الآخر.

من هذا المنطلق كان اختيارنا لشعر الأسْر عيّنة للدراسة التداولية، لأنّه نوع شعري، يخضع للقصد، ويهتمّ الشاعر فيه بالتكثيف في التعبير، واستغلال اللغة للتعبير عمّا يحدُث له في الأسر.

وقد اخترنا عصر ملوك الطوائف وكانت مدوّنة الدراسة: شعر الأسْر عند المعتمد بن عبّاد.

فكان البحث موسومًا بـ:" شعر الأسْر في عصر مُلوك الطوائف – دراسة تداولية المعتمد بن عبّاد عيّنة مقاربة " . وانطلقنا فيه من إشكال رئيس يتمثّل في: ما هي أشكال التواصل التي قام بها المعتمد بن عبّاد في أسره؟ وقد تفرّع عن هذا الإشكال إشكالات فرعية تمثّلت فيما يأتي:

1-ما هي الطريقة التي استغلّ بها المعتمد بن عبّاد الإشاريات – على اختلاف أنواعها- في التعبير عن قصده وعلاقاته بالمخاطبين؟

2-ماهي مختلف الآليات الحجاجية التي وظّفها في خطابه للوصول إلى إقناع متلقّيه وحمله على الإذعان، وما الذي يُقنع به أسير لا يرجو النجاة؟

3-ما هي أصناف الأفعال الكلامية التي استعملها في شعره؛ من حيث النوع من جهة وكثرة الاستعمال من جهة أخرى؟

4-كيف ساهمت المراسلات الشعرية في فكّ العزلة عن المعتمد بن عبّاد، وكيف نوظّفها في الاستدلال على أنّ شعور الـمَلِك لم يُفارقه في أسره؟

وقد كانت وراء اختيار الموضوع أسباب ذاتية، وأخرى موضوعية.

تمثّلت **الأسباب الذاتية** في الرغبة في البحث في شعر الأسْر، والاهتمام بأنواع شعرية، لم تخضع – على حدّ اطّلاعنا – بالعديد من الدراسات، خاصة الشعر العربي الأسري القديم.

ومن **الأسباب الموضوعية**؛ تطبيق المنهج التداولي الذي يتّسم بالمرونة، والتقائه بكثير من المفاهيم اللغوية؛ البلاغية والأسلوبية منها على وجه الخصوص.

إنّ تركيز البحث على آليات التواصل عند المعتمد بن عبّاداً اقتضى منّا اختيار **المنهج التداولي** لتحليل الخطاب؛ والذي يُعَدُّ مستوى تصنيفيا إجرائيا في الدراسات اللغوية المعاصرة، ليبحث في علاقة العلامات اللغوية بمؤوّليها، وعلاقتها بالسياق الذي وردت فيه، من خلال دراسة ما يعنيه الخطاب في سياق معيّن، ومعرفة أثر هذا السياق على الاختيارات اللغوية عند إنتاج الخطاب، مع إعطاء عناصر السياق أهمية، وهي تتمثل في مقاصد المرسل، وظروف الخطاب الخارجية، والعلاقة بين الذوات في الخطاب.

وقد اعتمدنا طريقة التحليل التي اقترحها هانسون، محاولة منه لتنظيم البحث في ميدان التداولية، وجعله يخضع لضوابط ينطلق منها الدّارس. وهي تتمّ بالتدرّج حسب درجات التداولية الثلاث: الإشاريات التي تستغلّ السياق الوجودي الذي تنتمي إليه الذوات المتخاطبة، الحجاج الذي يعتمد على السياق التأويلي الذي يعرض مختلف المعارف الثقافية للمتلقي، كالقدرة على استحضار الحجة الملائمة في الموضع الملائم، والأفعال الكلامية التي ترصد العلاقات الاجتماعية ومدى تجلّياتها في الخطاب.

ابتدأنا البحث بالتمهيد الذي عرضنا فيه إلى المفاهيم الأساسية المتعلّقة بالدراسة؛ نفصّل فيها الحديث عن العلاقات القائمة بين عناصر العنوان؛ بداية بتعريف شعر الأسر، والتعريف بالإطار الزماني والمكاني لعصر ملوك الطوائف،، يليه التعريف بالمعتمد بن عبّاد، وعرض مدوّنة الدراسة. ثم التعريف بالتداوليّة.

أمّا الفصل الأوّل فقد خصّصناه الفصل لدراسة الإشاريات في شعر الأسر عند المعتمد بن عباد؛ من حيث المفهوم والمفاهيم المرتبطة بها كالإحالة والمرجعية، وتقسيماتها إلى إشاريات شخصية رصدنا فيها التعبير عن الذاتية في اللغة. وعملنا على استخرجها وإحصائها وتصنيفها. حسب الحضور والغياب وحسب الانفصال والاتّصال والاستتار،في شعر الأسر عند المعتمد.

وإشاريات مكانية، بتعريفها وأهم المفاهيم المرتبطة بها، وهي المكان الأليف والمكان المعادي، ورصدها في شعر الأسر عند المعتمد و قسيمها وتقديم تحليل وتفسير لرؤية المعتمد للمكان.
وإشاريات زمانية، وقد تناولناه من الجانب النظري من حيث المفهوم والأنواع المرتبطة بها كظروف الزمان والمكان، وقد وجدنا تطبيقيا أنّ المعتمد ركّز على استعمال المكان الواقعي، والتعبير عنه حسب رؤيته.

أمّا الفصل الثاني فكان لدراسة الحجاج في شعر الأسر عند المعتمد بن عبّاد،وابتدأناه بعرض مفهوم الحجاج، الحجاج في الشعر العربي القديم، ثمّ رصد الحجاج في شعر الأسر عند المعتمد بن عبّاد، وجدنا من حيث الموضوعات اهتمامه بذكر أصله اللخمي في مختلف النصوص، فدرسنا الحجاج بالأصل اللخمي وتجلّياته. والحجاج بالمشترك، ثم تطبيق مفهوم السلّم الجاجي؛ ن خلال الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية. ثمّ استخراج تطبيقات الجاج التقويمي.وختمنا هذا الفصل بحجاجية القيد، ثمّ تعرّضنا لدراسة حجاجية القيد عند المعتمد بن عبّاد، واستعمال مختلف التقنيات في الحجاج ؛ كالتشخيص. ثم حجاجية القيد عند شاعري المعتمد أبوبكر الداني وابن حمديس الصقلّي. وانطلقنا فيه من أنّنا قد وجدنا في المصادر التاريخية الموثوقة كالذخيرة لابن بسام وقلائد العقيان للفتح بن خاقان، احتجاج أهل إشبيلية عن تقييد المعتمد، وتكثيف التعبير عن القيد في شعره، وارتبط ذكر هذا في المصادر التاريخية والدراسات السابقة، بسعي الشاعرين؛ لاستنهاض الهمم في شعب إشبيلية وحرّية تنقّلهم وتعبيرهم بوصف قيود المعتمد، وشيوع فكرة إقناع الشعراء للعامّة، في موضوعات تخدمهم، إذ لو اتّجه هذا الاستنهاض لمحاربة العدوّ الأجنبي، لكان للأندلس تاريخا آخر، وما يهمّنا هو إيراد القصائد التي تناولت وصف قيود المعتمد واستخراج الآليات الحجاجية الواردة فيها

وأفردنا الفصل الثالث للحديث عن الأفعال الكلامية؛ نشأتها عند الغرب وجهود أوستن وسيرل فيها، وتأصيل البحث في الأفعال الكلامية عند العرب من خلال رصد نظرية الخبر والإنشاء،وإيراد مفهوم تعديل القوة الإنجازية. ثم استخراج الأفعال الكلامية في شعر الأسر عند المعتمد بن عبّاد، وتصنيفها حسب التصنيف الذي وضعه سيرل؛ وقد وجدنا منها: التقريريات، التعبيريات، والتوجيهيات (الطلبيات).

وفي الفصل الرابع قمنا بدراسة المراسلات الشعرية، شرعنا فيه بالتأطير النظري برصد مفهوم المراسلات، وطرق التواصل فيها، والمدخل التداولي في المراسلات الشعرية، وفي الجانب التطبيقي درسنا المراسلات الشعرية بين المعتمد بن عبّاد وشاعرَيه، ابن حمديس الصقلّي وأبي بكر الداني، وابنه الرشيد. ورصد مختلف الضوابط المتحكمة في هذا الجنس الأدبي .

وختمنا الدراسة بالنتائج التي توصّلنا إليها خلال فترة البحث.

وكأيّ بحث قد واجهتنا صعوبات، تمثّلت في كيفية التعامل تطبيقيا مع طبيعة الموضوع وخصوصية المدونة. والعصر الذي ينتمي إليه، وكذا مشكلة ضبط المصطلحات الخاصة بالمنهج، أو تلك الخاصة بالجانب الأجناسي من الدراسة.

ولتذليل هذه الصعوبات، أعانتنا بعض المراجع الأكاديمية نحو: " **تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية** " لعمر بلخير ، و" **العوامل الحجاجية في اللغة العربية**" لعز الدين الناجح، وكتاب "**الرسائل الأدبية ودورها في تطوير النثر العربي القديم (مشروع قراءة شعرية)**" لصالح بن رمضان. والذي يعالج فيه الباحث المفاهيم التداولية تطبيقيا. على نماذج من الترسّل النثري.

وقد استفدنا من أطروحتي دكتوراة ؛ الأولى" **الأفعال الكلامية في القرآن الكريم** " جامعة باتنة لمحمد مدور، منجزة عام 2013. والتي أفدنا منها في الجانب التطبيقي من دراسة الأفعال الكلامية، وخاصة في تحديد أنواع الأفعال الكلامية. وطريقة تطبيق مفهوم القوة الإنجازية. والثانية"**في تداولية النص الشعري جمهرة أشعار العرب أنموذجا**" جامعة باتنة **لرحيمة شيتر** عام2009.. وقد أفدنا فيه في التطبيق على غرض الرثاء وعلاقته بأساليب كالاستفهام مثلا. في الفصل الخاصّ بالأفعال الكلامية.

وأخيرا لا يسعني إلاّ أن أتقدّم بخالص الشكر والامتنان للأستاذ المشرف على الأطروحة، الأستاذ الدكتور أحمد بلخضر لتحمّله مضنّة الإشراف على العمل، ومنحي الوقت والجهد والإرشاد والتوجيه لإتمامه على الصورة التي انتهى إليها.كما أتقدّم بالشكر لأعضاء لجنة المناقشة على تفضّلهم بقراءة البحث، وتصويب ما فيه من أخطاء ومثالب.

وما توفيقي إلاّ بالله عليه توكّلت وإليه أُنيب

الطالبة: عائشة عويسات ورقلة يوم الخميس 29سبتمبر 2016 الموافق لـ27 ذي الحجّة 1437هـ

التمهيد

(مفاهيم أساسيّة في الدراسة)

مفاهيم أساسية في الدراسة

1- شعر الأسر

2- عصر ملوك الطوائف

3- الخصائص الموضوعية لشعر السجون في عصر ملوك الطوائف

4- المعتمد بن عبّاد

5- عرض مدوّنة الدراسة

6- مفهوم التداولية

1- شعر الأسر:

هو مركّب إضافي؛ يعني الشعر الذي يقال في الأسر، ولئن كان الشعر معروفا فإنّ في لفظ الأسر ما يجعله محور الدراسة وعمادها. لذا يحسُن بنا التعرّف على المعاني اللغوية لهذا اللفظ والألفاظ التي تشاركه الدلالة في نواحٍ ما.

جاء في لسان العرب في مادة "أسَرَ": أسرْتُ الرَّجُلَ أسرًا وإسارًا فهو أسير ومأسور، والجمع: أسرى وأسارى[1]؛ وجاء في المخصّص: " أصل الأسير أنّه رُبط بالقدّ فأسره. آي شدّه فاستعمل حتى صار الأخيذ أسيرا"[2]. وهو ذلك الذي يستوثق منه أخذه بالإسار- وهو القيد- لئلاَ يفلت، ويستتبع الشدّ بالقيد الخضوع المطلق لسلطان الآسر والعجز عن مقاومته.

فالأسر هو تمكّن العدوّ من المرء، وقدرته على التصرّف بمصيره حياة أو موتا أو استرقاقا فيصبح بذلك أسيره وحبيسه، والأسير هو الأخيذ، وأصله من ذلك، وكلّ محبوس في يد أو سجن هو أسير، وقد وردت لفظة أسير في قوله تعالى:﴿**وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا**﴾[3] .ونلفي بأنّ لفظة الأسر تنتمي إلى حقل دلاليّ تلتقي فيه مع ألفاظ كالسجن والحبس اللّتان تلتقيان معها في معنى توقيف الإنسان وإمساكه[4]، والإسقاط باليد والتسليم للموت.

ورغم هذا التقارب إلاّ أنّ الأسير هو المأخوذ في الحرب[5] ، في حين أنّ السّجين هو من تعتقله السّلطة.[6] ويلازم عمليّة الأسر التقييد، حيث تتعطّل فيه حركة المأسور ويؤمَنُ جانبه ويسلس قيادُه.

---

[1] – ينظر: ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت ، د.ط، د.ت.مج 4، ص: 19.

[2] – ينظر: ابن سيدة الأندلسي: المخصص، المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق مصر، 1216هـ، السفر12، ص: 97.

[3] – سورة الإنسان/08.

[4] – مجموعة من الباحثين: المعجم الوسيط، مكتبة الشروق العالمية، ط4، 2004،مادة (حبس)، ص:152. ومادة(سجن)، ص: 418.

[5] – ينظر:المرجع نفسه، ص: 17.

[6] – ينظر: أحمد مختار البزرة: الأسر والسجن في شعر العرب، مؤسسة علوم القرآن ، دمشق،ط1985،1. ص:60.

وقد أطلق العرب صفات متنوعة على أشكال التقييد؛ كالتكتيف والقرفصة والجرفسة والكرفسة والكردسة.[1]

فكأنّما الإنسان إذا ما وقع في الأسر قطع ما بينه وبين الحياة الحقيقية والوجود الإنساني، وأمسى ملكا للعدوّ يتصرّف به نفسا وجسدا أنّى يشاء.

وهذا يفضي بنا إلى استنتاج مفاده أنّ الأسر بما فيه من الذلّة والمهانة إلاّ أنّه يؤسّس لوجهة نظر دلالية لا يحسن أن تغيب عن الباحث، هي اختصاصه بالذين يؤخذون حربا، فالأسير تكون له صورة إيجابية لدى نفسه، وعند المعاصرين له واللاّحقين به. فهو لم يستسلم بل أُجبر بمنطق القوة.

وقد كثر في الأدب العربي وقوع الشعراء في الأسر في جميع العصور، فيمكن أن نطلق على شعر السجون تخصيصا بالذين أُخذوا في الحرب من الشعراء مصطلح"شعر الأَسْر". وهو ما اخترناه مدوّنة للدراسة.

وهذا هو مناط اختيارنا في العنوان لمصطلح " شعر الأسر" بدل المصطلح الشائع على الساحة الأدبية والنقدية " شعر السجون". في دراسات كثيرة من مثل: "**شعر السجون والمعتقلات لمحمد زغينة**" .وقد تميّزت أمثال هذه الدراسة بأنّها دراسات حديثة أو معاصرة. في حين أنّ دراسات تفرّدت بالفصل بين مصطلحي الأسر والسجن وخصوصية التجربة في كلٍّ منهما. نحو دراسة أحمد مختار البرزة التي تتبّعت الأسر والسجن من العصر الجاهلي إلى العصر الحديث، وجاءت موسومة بـ:" **الأسر والسجن في شعر العرب**" . نلاحظ أنّ الباحث اهتمّ بدراسة موضوع الأسر والسجن ولم يُلزِم نفسه بجعله جنسا شعريّا.

ورغم أنّ تسمية هذا الجنس الشعري الشائعة هي شعر السجون. إلا أننا نميّز بين السجن والأسر في أن السجن يكون فيه المسجون في موقف ضعف، أمّا الأسر فيكون فيه الأسير في موقف قوّة. بعد المعارك والحروب والمواجهات.

[1] – ينظر: المرجع السابق، ص: 20.

2- عصر ملوك الطوائف:

ملوك الطوائف مصطلح أطلق على الأمراء الذين استبدّوا بحكم إمارات الأندلس بعد تدهور الخلافة الإسلامية، وسقوط دولة العامريّين، وقد امتدّ ملكهم من أوائل القرن الخامس الهجري، وحتى أواخره، عندما عبر يوسف بن تاشفين البحر إلى الأندلس وأزال ملكهم جميعا[1] ، ويمتدّ تاريخيا من 422هـ إلى 484هـ[2].

ويصوّر المراكشي صاحب المعجب الحال التي آلَ إليها حال الاندلس على أيّامهم فيقول:"وأمّا حال سائر الأندلس، بعد اختلال دعوة بني أميّة، فإنّ أهلها تفرّقوا شِيَعا، وتغلّب في كلّ جهة متغلّب، وضبط كلّ مُتغلِّب منهم ما تغلّب عليه، وتقسّموا ألقاب الخلافة، فمنهم من تسمّى بالمعتضد، ومنهم من تسمّى بالمأمون، وآخر تسمّى بالمستعين والمقتدر والمعتصم والمعتمد والموفّق والمتوكّل إلى غير ذلك من الألقاب الخلافية. وفي ذلك يقول الشاعر:

ممّا يزهّدني في أرض أندلس سماع مقتدر فيها ومعتضد
ألقاب مملكة في غير موضعها كالهرّ يحكي انتفاخا صولة الأسد[3]

---

[1]- ينظر: دوزي : ملوك الطوائف ونظرات في تاريخ الإسلام، تر: كامل كيلاني، مكتبة ومطبعة عيسى المابي الحلبي وشركاه، القاهرة مصر، ط1، 1932.ص :06.

[2] - ينظر: عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي ، ج4: الأدب في الأندلس والمغرب منذ الفتح الإسلامي إلى آخر عصر ملوك الطوائف. دار العلم للملايين، بيروت،ط4، 1981، ص: 385.

[3] - ينظر: عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح: محمد سعيد العريان، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالجمهورية العربية المتحدة، د.ط. 1963. : ص:123.

ورغم قِصَر المدّة التي شغلها من التاريخ – حيث لا تتجاوز اثنين وستّين عاما- إلاّ أنّه زاخر بالمظاهر الحضارية والثقافية والأدبية خاصة ، وهي ما يهمّنا في هذا السياق، سبب الحركية التي تميّز بها هذا العصر.

ويصعب ضبط عدد دويلات الطوائف وضبط مُددها، فقد تولّى نَفَر من مُلوكها مُدنًا مختلفة في أزمنة مختلفة، وكان بعضهم أثناء ذلك ينتزع بعض هذه المدن من بعض، وكذلك كان ملوك النصارى يستولون- بين الحين والحين- على عدد من هذه المدن، وقد وصل عددها إلى ثلاث وعشرين دُوَيلة؛ نذكر منها:

دويلات العامريّين(أعقاب المنصور بن أبي عامر ومواليه):

الذين كانوا فتيانا من الصقالبة، فكانوا أقدر الناس على الاستبداد بالمقاطعات المختلفة، لأنهم كانوا قادة ورؤساء حرس. وكان نَفَر منهم – منذ أيّام المنصور – ولّاة على المدن التي استبدّوا بها؛ نذكر من أصحاب هذه الدويلات:

دول الصقالبة ومن انضمّ إليهم من موالي العامريّين:

مجاهد العامري في دانية والجزائر الشرقية(ميورقة ومنورقة يابسة): خلفه عليها ابنه إقبال الدولة علي.

عبد العزيز حفيد المنصور بن أبي عامر: كان في بلنسية.

الفتى خيران الصقلبي العامري في ألمِرية: وانتقلت المرية إلى زهير الصقلبي عام 431هـ، ثم انتقلت إلى **معن ابن صمادح** من عام 433هـ إلى 443هـ، ثم ولّى ابنه **أبو يحيى محمد بن معن بن صمادح** الملقّب **بالمعتصم ابن صُمادح** سنة 444هـ، فكانت مدة حكمه واحد وأربعون عاما قضاها في حروبه ولذّاته. وقد أسقطه يوسف بن تاشفين في جوازه الثالث إلى الأندلس. وكان أديبا شاعرا فحفل بلاطه برجال الأدب.[1]

دول المغاربة:

[1] – ينظر: إحسان عباس: تاريخ الأدب الأندلسي عص الطوائف والمرابطين، دار الشروق عمان، 1997. ص:57.

1- دويلة بني ذي النون في طليطلة:دام مُلكهم من 427هـ إلى 487هـ، ولم تزدهر الآداب والفنون حول بني ذي النّون؛ خاصة فترة حكم **إسماعيل** الذي كان شديد البُخل، وفي عهد ابنه **يحي المأمون** تقرّب بعض الشعراء والكُتّاب إلى بلاطه؛ أمثال: ابن شرف القيرواني، أبو الفضل البغدادي، الوشّاح الطُلَيطلي.[1]

2- بنو زيري في غرناطة: حيث غلب عليها **حبّوس بن ماكسين بن زيري الصنهاجي**، ثمّ خلفه ابنه **باديس**. وقد استوزر كاتبا يهوديا اسمه ابن نغرالة.[2]

قصده بعض المدّاحين مثل ابن عمّار.[3]

3-دويلة بني الأفطس في بَطَلْيَوْس: كان للدولة أثر في نهضة العلوم والفنون، أشهر حُكّامها **محمد بن المظفّر** وكان عالما لبيبا وأديبا شاعرا وبطلا شجاعا. وله كتاب يحمل اسمه في خمسين مُجلّدا.[4]وكانت حضرة بَطْلَيوس فترة حُكم **المظفّر** وابنه **المتوكّل** ملتقى الأدباء والشعراء؛ من أبرز كُتّابها: أبو بكر عبد العزيز بن سعيد البطْلَيوسي وأبو بكر بن قزمان الأكبر، ومن أبرز شعرائها: عبد المجيد بن عبدون.[5]

دول الأسر العربية:

1-دويلة بني هود في سرقسطة: أوّلهم **المنذر بن يحي التُّجيبي**، وقد طال حكمهم من: 410هـ إلى 540هـ، لأنهم كانوا بعيدين في شمال الأبدلس. من أشهر مُلوكهم **المقتدر بالله** الذي كان" مُحبّا للفلسفة والرياضة والفلك، والمؤتمن الذي كان بارعا في العلوم الرياضية قد ألّف كتابا أسماه "الاستكمال""، ومن أبرز كُتّاب دولة بني هود أبو المطرّف ابن دبّاغ، ابن حسداي، وابن باجة

[1] - ينظر: المرجع نفسه . ص: 74.

[2] - ينظر: عمر فروخ : تاريخ الأدب العربي ج4، ص: 387.

[3] - ينظر: إحسان عباس: تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين، ص: 75.

[4] - ينظر المرجع السايق، ص: 57.

[5] - ينظر: عمر فروخ: تاريخ الأدب العربي، ج4، : 387.

الفيلسوف. ومن مُدّاحهم ابن خير التّطيلي، وابن معلى الطرسوني. وانقطعت أخبار هذه الدولة بقتل آخر حُكّام بني هود **أبو جعفر أحمد سيف الدولة المستعين بالله** سنة 540هـ.[1]

2-دولة بني جهْور في قرطبة: اعتلى **أبو الحزم ابن جهْور** الحُكم في قرطبة عندما انتخبه الناس على أساس إلغاء فكرة الخلافة، لتكون البلاد برئاسة واحد من أهل الرأي في إطار الـحُكم الجماعي.[2]وتمكّن أبو الحزم من التحكم في تلك الفوضى، والتزم باستشارة أهل الجماعة فكان لا يُصدر أمرا إلاّ بالرجوع إليهم"[3]

وحين توفّي عام 435هـ، خلفه ابنه **أبوالوليد** وسار سيرة أبيه في سداد الرأي ونفاذ البصيرة، إلاّ أنّه ابتعد عن روح النظام الجماعي، حين قسّم الأمر في حياته بين وَلَدَيه؛ فكلّف الأوّل **عبد الرحمن** بالشؤون المدنية وكلّف ابنه الثاني **عبد الملك** بالشؤون العسكرية، وحين تقدّمت به السّنّ، "استبدّ ابنه عبد الملك بالأمر دون أخيه، واشتطّ في الحذر منه،ففرض عليه الإقامة الإجبارية في بيته"، وقد أحاط عبد الملك نفسَه بجماعة السوء، وكان منهم جواسيس وعملاء لبني عبّاد أصحاب إشبيلية، الذين كانوا بتطلّعون إلى ضمّ قرطبة إلى مملكتهم" وكانت فرصة بني عبّاد لتحقيق حلمهم، بمناسبة غزو المأمون بن ذي النون "قرطبة". فاستنجد عبد الملك بالمعتمد بن عباد فأمدّه بجيش جعل زحف ابن ذي النون ينسحب، فدخل جيش إشبيلية قرطبة، وأخذت الجموع تهتزّ بسقوط عبد الملك وبالمعتمد بن عباد ملكا. وفي غمرة هذه الفوضى والاضطراب هجم ابن مرتين قائد جيش الإشبيليين على عبد الملك وأخيه عبد الرحمن وأبيهما الشيخ أبي الوليد وسائر أنصارهم" فاعتقلوهم ونَحَفَوهم إلى جزيرة شلطيش" وبذلك انتهت دولة بني جهْور.عام 461هـ.

وقد تأتّى لحكّام بني جهور بقرطبة ما لم يتأتَّ لغيرهم، وخاصّة أبو الحزم، من مسالمة من يليه، وانسحاب العافية على بلده مدّة ولايته، فكان لرؤساء الطوائف بمنزلة الأب؛ يفصل بينهم في القضايا، يشفع في الحوائج، ويصلح بينهم في المنازعات.ولم يُمتّع ابن عبّاد بما حصل عليه من منيحة

[1] – ينظر: إحسان عباس: تاريخ الأدب الأندلسي، ص: 59.

[2] – ينظر: لسان الدين ابن الخطيب: أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يتعلّق بذلك من الكلام، تح: سيّد كسروي حسن، دار الكتب العلمية بيروت لبنان،د.ط.د.ت. ص: 172.171.

[3] – ينظر: المرجع نفسه ، ص: 187.

قرطبة، بل نقصه سرورها لمّا قتل ابن عكاشة الظافر ولد المعتمد، ثمّ قُتِل ابن عكاشة، لتعود قرطبة إلى المعتمد إلى آخر أيّامه. [1]

3-دولة بني عبّاد في إشبيلية: أكبر دويلات الطوائف وأشهرها وأكثرها أثرا في حياة الأندلس في أيّامهم(414هـ - 484هـ).[2] كان **المعتضد** شاعرا إلاّ أنه قضى معظم أيامه في حرب جيرانه، حارب باديس الصنهاجي صاحب غرناطة، وكان في كل مرّة يوسّع مملكته، إذ استولى على غرب الأندلس كشِلب ولبلة وجبل العيون، وما إلى ذلك، كما اهتمّ بالجانب العمراني، يقول لسان الدين ابن الخطيب:" فابتنى القصور، واعتمر العمارات الـمُغِلّة، واكتسب الملابس الفاخرة". وخلفه ابنه **المعتمد،** الذي يعدّ أكبر شاعر أمير في عصره، وكان حسن السيرة رفيقا بالرعيّة، وقد استقطب بلاط المعتمد بن عبّاد عددا كبيرا من الشعراء والـكُتّاب ومشاهير الأدب والعلم، نذكر منهم: ابن زيدون، ابن عمّار، ابن اللبّانة، ابن حمديس، عبادة القزّاز، ابن عبد الصمد، عبد الجليل ابن وهبون. وعشرات غير هؤلاء.

وبرغم هذه القوة التي كانت موجودة عند ملوك الطوائف في إثارة الفتن بين بعضهم البعض غير أنّهم من دون استثناء"دفعوا الجزية لملك الفرنجة، حتى وصلوا إلى حالة من الضعف، لم يكن بمقدورهم معها مواجهة الفرنجة؛ الذين أخذوا يهدّدون الإمارات الإسلامية بل استولوا على بعض منها".[3]

وفي سنة 478هـ استولى الفرنج على مدينة طُلَيطلة من بلاد الأندلس، وأخذوها من المسلمين وهي من أكبر البلاد وأحصنها، وبسقوط طُلَيطلة سقط الحصن المنيع للأندلس، فبكاها الشعراء وأدرك ملوك الطوائف متأخّرين أنّهم أصبحوا فريسة سهلة لألفونسو[4] ملك قشتالة. وأصبحت الأندلس على مشهد منه .وهو الذي لم يعد يرضى من ملوكها بالضريبة المعتادة. وشرع يهدّد

[1] - ينظر: المرجع نفسه ، ص: 147.146.

[2] - ينظر: عمر فروخ: تاريخ الأدب العربي ،ج4.ص: 387، 388.

[3] - ينظر: المقّري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح: إحسان عباس، دار صادر بيروت، د.ط. 1968.ج4،ص:365.

[4] - ألفونسو:سماه المسلمون الأذفونش وهو ألفونسو السادس ملك ليون وقشتالة وغاليسيا ونافارا، وقد عاصر ملوك الطوائف، ينظر: دوزي: ملوك الطوائف، ص:262.

المعتمد بالسّير إلى قرطبة وتملّكها، وأن يسلّم إليه جميع الحصون التي في الجبل ويبقى السّهل للمسلمين. فرفض المعتمد ذلك، وجزع إذ شعر بالخطر الـمُحدق بمُلكه، فلم يمضِ قليلٌ حتى أعلن ألفونسو الحرب على المعتمد، حين أبى أن يردّ إليه شيئا ممّا أخذ، وأحسّ أمراء الطوائف بأنّ هذا العدوّ سوف يجتاح مُلكهم.وأجمعوا بأن يكونوا صفًّا ضدّ عدوّهم، واتّفقت كلمتهم بعد الرأي والمشورة، على استصراخ إخوانهم المسلمين في إفريقية، فاستغاثوا بيوسف ابن تاشفين أمير المرابطين[1].

وقعة الزلاّقة: وكان المرابطون آنذاك في أوج عزّهم وسلطانهم، فاستجاب لندائهم وعبَر البحر إلى الأندلس لأوّل مرّة عام 479هـ.وتكوّن جيش عظيم على رأسه يوسف بن تاشفين من جهة المرابطين، والمعتمد بن عبّاد من جهة الأندلسيّين، وساروا لملاقاة عدوّهم القشتاليّ في الزلاَّقة وهي موضع قرب بَطَلْيَوس، والتقى الجمعان يوم الجمعة ودارت فيه الدائرة على القشتاليّين" ورجع يوسف بن تاشفين وأصحابه من ذلك المشهد منصورين مفتوحا لهم وبهم، فـسُرَّ بهم أهل الأندلس، وأظهروا التّيمّن بأمير المسلمين والتبرّك به، وكثُر الدعاء له بالمساجد وعلى المنابر. وعاد يوسف إلى بلاده؛ لكن لم يمضِ وقت طويل حتى عاد إلى الأندلس وقام ببعض المعارك فيها. في 481هـ .ثمّ رجع إلى إفريقية وقد رأى بنفسه ما بين ملوك الأندلس من تباغض وفرقة بعد أن ترك فرسانا من ذوي اللّثام يرابطون في ثغور الأندلس. وفي سنة 484هـ كان جوازه الثالث إلى الأندلس، فقضى المرابطون على ملوك الطوائف بالأندلس، وثَلُّوا عروشهم. وانتهت بهذا الفترة التاريخية المسمّاة عصر ملوك الطوائف بالأندلس، لتستقبل هذه الأخيرة حُكّامًا جُددًا هم المرابطون، ولو لم ينتقل المرابطون لحكم الأندلس لما استمرّ الوجود الإسلامي بالأندلس.

[1] – هو يوسف بن تاشفين بن إبراهيم المصالي الصنهاجي اللمتوني الحميري (410هـ- 500هـ). أبو يعقوب أمير المسلمين وملك الملثّمين، غزا الأندلس فصالحه أهلها على الطاعة، توفّي بمراكش . ينظر ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان،تح: إحسان عباس، دار صادر بيروت، د.ط، 1978.: مج 7، ص: 112.

في هذا العام تهاوت عرش ملوك الطوائف فقد قُتل المتوكل وابنه، ومات المعتصم، وفرّ ابنه إلى بني حمّاد في الشمال الإفريقي، وقُبض على ابن زيري صاحب غرناطة، كما قُبض على صاحب إشبيلية المعتمد بن عبّاد.[1]

ولئن لم تكن مأساة المعتمد هي الوحيدة في الأندلس في هذا العصر، غير أنّها استأثرت بكثير من الأدب الحزين وشعر التفجّع، واهتمّ بها الأدباء والشعراء أكثر من اهتمامهم بالمدن الدائلة، حسب الوضع العام آنذاك، لأنّ سقوط المعتمد كان يعني سقوط الأمير وسقوط الإمارة وسقوط المدينة في نفس الآن.

3- الخصائص الموضوعية لشعر السجون في عصر ملوك الطوائف:

1- الحياة الأدبية في هذا العصر:

إنّ هذه الحركة السياسية الدائمة التى عاشت فيها الشعوب في فترة حكم ملوك الطوائف وقبلَها، كانت فوضى سياسية وعدم استقرار، بداية من الفتنة إلى استقلال كلّ ملك من ملوك الطوائف بـمُلكه،وإن كانت قد عصفت بمصير المسلمين والأدباء منهم على الخصوص، فقد عادت بالخير على الحياة الثقافية والحضارية عموما، والحياة الأدبية خصوصا، إذ تميّزت بتعدّد مراكز النشاط الثقافي وتنوّع بيئاته، إذ أصبحت كلّ مقاطعة من حواضر ملوك الطوائف عاصمة ثقافية وفكرية، يؤمّها الشعراء لنيل جوائز الأمراء. فأصبح الشعراء في مراتب ثلاثة. فمنهم الذين تبوّؤا المناصب العليا كالوزارة، ومنهم من كانوا منتمين إلى بلاط محدّد لا يفارقونه، فكان ذلك من بين أهمّ عوامل تمتين العلاقة بين الشاعر والأمير، حيث أصبح كلّ أمير بحاجة إلى تخليد مجده بالشعر، وتعظيم شأن مملكته أمام أمراء بقية المدن، فاشتدّ التنافس بين الأمراء في تشجيع الشعراء وتقريبهم إليهم بالعطايا والأموال" فكانت فترة ملوك الطوائف من أزهى عصور الأندلس الأدبية". و ومنهم الطوّافون[2] حيث كان من بين النتائج الإيجابية لهذا الواقع الجديد؛ أنّ الشاعر أصبح بإمكانه أن

[1] – ينظر: سعد إسماعيل شلبي: البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر عصر ملوك الطوائف، دار نهضة مصر للطبع والنشر.د.ط.د.ت. ص: 333.

[2] – ينظر: إحسان عباس: تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين ، ص:66.67.

يختار من بين هذه الدوبلات البلاط الأكثر تحقيقا لطموحاته، حتى إذا ما تغيّرت الحال في واحد منها تركه إلى غيره، حيث يجد الرضا والقبول. وانتقلت العلاقة بعد أن كانت في الشعرية العربية وفي التاريخ الأندلسي، من الولاء والطاعة إلى المنفعة المتبادلة، يشكّل كلّ طرف منها حتميّة وجودية للطرف الآخر.فكانت شخصية الشاعر توّاقة للتحرّر باحثة عن إثبات الذات.

2- الاهتمام بالشعراء:

كان المعتضد قد أحدث ديوانا خاصّا ضمن دواوين الدولة، مهمّته متابعة شؤون الشعراء وترتيب أوقات إنشادهم، وكان على قسوته وشدّته كثير التبرع على الشعراء. والشاعر لم يعرف الاستقرار في الحياة الاجتماعية، فكان عليه أن يكون من المقرّبين إلى بلاط الملك، حتى لا يعاني في كسب قوت يومه، وأن يضطرّ إلى الاعتماد على شعره في التكسب والاستجداء. وهذا التقرب كان من خلال الظفر بالمأوى والصلات، وحضور مجالس الأمراء، وكان الواحد من الشعراء يجمع بين الوزارتين : الكتابة والشعر، فيلقّب بذي الوزارتين، "ويتّخذه الملك نديمه وشاعره ومُدبّر مملكته".[1]

3- خصائص شعر السجون الموضوعية:

كثيرا ما كان الشاعر يدفع ثمن التقرب إلى الأمراء بالدسائس والمؤامرات، وكان الثمن هو اتّهام الشاعر بالخيانة، أو بالزندقة والخروج من الدين فكانت الأسباب التي تؤدي بالأمير بالزّج في السجن شاعرَه ومادحَه ونديمَه بل ووزيره، وقد عاش محنة السجن عديد الفقهاء، والأدباء، والكتّاب، والشعراء.

تعدد الأغراض في السجن، يجعل من العسير على الدارس أن يُحصيها، ولئن تنوّعت بين الإحساس بالفقد وبثّ آلام الغربة، والنزعة التأمّلية. إلاّ أنّ هذا الشعر لم ينفصل عن العالم الخارجي، وبقي الشعراء يتواصلون مع هذا العالم بالشعر أوّلا، وبالأغراض التي ينزِعون إليها، ليتمكّنوا من التحرّر، أو ليُشعروا الحاكم بولائهم له.

[1] - ينظر: المرجع السابق،ص: 107.

وللتعرف على خصائص شعر السجون في هذه الفترة سنتناول بالمثال شاعرين هما: ابن زيدون[1]، وابن عمّار.[2]

1- وصف القيود:

إنّ القيود هي الرمز الذي أرعب الشعراء وغيرهم وأذلّهم ، وكان الشيء الوحيد الذي لا تجده خارج السجن، إضافة ألى ما تميّزت به القيود من الثقل وإصدار الأصوات المزعجة؛ وفي ذلك يقول ابن عمار:

وانجذب في صلاصل الرعد تحكي ضجّتي في سلاسلي و قيودي

وقوله من نفس القصيدة:

وأنا اليوم تحت ظلّ عُقاب لَقْوَةٍ مُخوتِ الجناح صيود

أتّقيها بناظر خافق اللّحظ مروع الخاطرمزؤود[1]

---

[1] - **ابن زيدون:** رافق ابن زيدون تقلّبات الأوضاع السياسية في الأندلس، فشهد سقوط الدولة الأموية وقيام دويلات ملوك الطوائف.وهو أبو الوليد أحمد بن عبد الله المخزومي الشهير بابن زيدون،ولد بقرطبة سنة 394هـ،في خلافة هشام المؤيّد، وشهد عصر الفتنة،وينتمي إلى عائلة مثقفة ساهمت في تنشئته. وقد أحبّ ابن زيدون ولاّدة بنت المستكفي،وكان الوزير ابن عبدوس ينافس ابن زيدون إلى قلب ولاّدة، حتى وصلا إلى العداء الظاهر، فاستطاع ابن عبدوس وأعوانه أن يوقعوا بين ابن زيدون وأبي الحزم ابن جهور ملك قرطبة الذي اتّهمه بالخيانة، فسجنه، ففرّ من السجن، ثمّ اتّصل بأبي الوليد بن جهور الذي تسلّم الحكم بعد موت أبيه، فجعله وزيره وممثّله لدى الملوك. وخوفا من أن يقع مع الابن ما وقع مع الأب ترك ابن زيدون قرطبة،واتّصل بالمعتضد بن عبّاد ملك إشبيلية، ثمّ أغرى ابنه المعتمد الذي خلفه باحتلال قرطبة. وبقي إلى جانب المعتمد حتى أرسله لتهدئة الأوضاع في إشبيلية- بتدبير من ابن عمار- فاشتدّت عليه الحمّى ومات بإشبيلية ودفن بها عام 463هـ. وترك ديوان شعر ضخم في الغزل والرثاء والوصف والشكوى والمديح والعتاب والاعتذار. ينظر: ابن زيدون : ديوان ابن زيدون، شرح يوسف فرحات، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1994. ص: 14 وما بعدها.

[2] - **ابن عمّار:** ذو الوزارتين أبو بكر محمد بن عمّار أبو بكر، من أهل شِلب، ولد سنة 422هـ.صَحب المعتمد بن عبّاد من الصّبا، حتّى كانت له مكانته الخاصّة عنده، إلى أن داخَلَه العُجب، فسَمَت به نفسه إلى المُلك، وكان أن قَتَلَه المعتمد بيده، بساطور كانت معه. ينظر: الفتح بن خاقان: قلائد العقيان ومحاسن الأعيان، حققه وعلق عليه: حسين يوسف خريوش، عالم الكتب الحديث، إربد. ط1. 2010. ق1، ص:ص: 253.

فالشاعر عاجز ضعيف ينقاد لقيوده الثقيلة، ولا يكاد ينطق لأنّ صوتها وحركتها أصدرت ضجّة طغت على ما سواها.والحديث عن القيود يأتي لوصف المعاناة والهول الذي يعانيه الشاعر، فبعدما كان قريبا من الحاكم، يحِلّ به الذلّ والهوان الذي ترمز له القيود، ويتعطّل حتّى عن الحركة البسيطة.

2-طلب المراسلة:

وهي من بين أهمّ العوامل في الاتّصال بالعالم الخارجي، والاستنجاد بأهل الحلّ والعقد، للتدخّل عند الحاكم، للتكلم في أمر المسجونين، أو مراسلة الأهل والأصدقاء، لوقوفهم على حال السجين، وليطمئنهم عليه، أو يبثّهم حزنه.

وهذا ما شجّع عى ازدهار المراسلات الشعرية، إذ كان الشعراء في سجونهم يملكون الأوراق والأقلام للكتابة، وكانت أمامهم الفرص سانحة للتواصل مع العالم الخارجي لعدّة أغراض؛ كالشكوى والاستعطاف لذوي العقد والحلّ، أو مراسلة الأصدقاء والمعرف طلبًا للدعم المعنوي، أو مراسلة الأهل لبعث الاطمئنان فيهم، ومحاولة التأثير في الحكّام من خلال ما يذيع من هذا الشعر الوجداني.

فهذا ابن عمّار يطلب المراسلة من صديقه أبي الفضل بن حسداي الشاعر يستزيره فيها[2]:

أدرك أخـاك ولو بـقافية كالطلّ يوقظ نائم الزّهــر

فلقد تقاذفت الرّكاب به في غير مـــوماة ولا بحر

[1] – ينظر: ابن بسام الشنتريني: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تح: إحسان عباس، دار الثقافة بيروت لبنان، د.ط. 1997. ق4.م1. ص: 374.373.

[2] – ينظر: ابن بسام: الذخيرة، ق2.م1. ص: 401.

3- الاستعطاف والمدح:

فإذا كان المدح، يلين القلوب في غير السون، ويجعل الممدوح يزجي العطايا على مادحه، فإنّه أدعى في السجون، خاصة إذا أضيفت إليه لمسة من الاستعطاف، الذي سيعمل على التأثير في الحاكم، ويستعطف المسجونون سجّانيهم، ومزجوا هذا الاستعطاف بالمدح، وكانت آمالهم في التحرّر قائمة. وهذا ابن عمّار يستعطف المعتمد.

يقول ابن عمار[1]:

سجاياك إن عافيت أندى وأسمح وعذرك إن عاقبت أجلى وأوضح

وإن كـان بين الخطّـين مـزيّة فأنـت إلى الأدنى من الله أنجح

حنانيك في أخذي برأيك لاتطع عداي ولو أثنوا عـليّ وأفصحوا

فإنّ رجـائي أنّ عندك غير ما يخوض عدوّي اليـوم فيه ويمرحُ

ولا ينفع الاستعطاف دائما إذا كان خطأ المسجون لا يُغتفر كالخيانة السياسية. ويقول المراكشي صاحب المعجب: " لو توسّل ابن عمّار إلى الدّهر، لنزع عن جوره، أو إلى الفلك لكفّ عن دوره، ولكنها كانت رقى لم تنجع، ودعوات لم تسمع، وتمائم لم تنفع."[2]

وهذا ابن زيدون يستعطف أبا الحزم ابن جهور في قوله[3]:

إن طال في السجن إيداعي فلا عجب قد يودع الجفن حدّ الصّارم الذكـر

وإن يثبط – أبا الحزم – الرضى قدر عن كشف ضرّي فلا عتب على القدر

[1] – ينظر: المرجع السابق ، ق2.م1.ص:420.

[2] – ينظر: المراكشي: المعجب، ص: 185.

[3] – ينظر: ابن زيدون: ديوان ابن زيدون ورسائله،شرح وتحقيق: علي عبد العظيم، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ط.دت.ص: 40.

ما للذنوب التي جـــــارى كبائرها غيري يحمـــــــــّلني أوزارها وزري

من لم أزل من تـــــــأتّيه على ثقة ولم أبت من تَـــــــجنـّيه على حذر

حرمت منه وحظّ الناس كلّهـــــــم لهذه العبرة الـــكبرى من الـــــعبر

لا تلهُ عنّي فلـــــــم أسألك ممتنعا ردّ الصـــــــــبا بعد أيفاء على الكِبَر

يمزج ابن زيدون بين الفخر الشخصي بأن جعل نفسه سيفا صارما، ثم يستعطف أبا الحزم ويرى أنّ للقَدر دخلا في تأخر تحريره من السجن، فهو صاحب اقرار فيه، ويقارن ذنبه بذنوب أشخاص آخرين قد يعفو عنهم أبو الحزم.

وقد يأتي بالمدح فيُعلي من شأن الممدوح ليتمكن من استعطافه وتحقيق مأربه منه، في قوله:

أبا الـــــــحزم إنّي في كتابك مائل على جانب تنأى به العلا سهـــل

أعـــدّك للجـــــلى وأمل أن أُرى بنعـــماك موسوما وما أنا بالـغفـل

ولو أنّني واقعتُ عمـــدا خطيئـــــة لما كان بدعا من سجاياك أن تملي

فلم أستتر حـــرب الفجار ولم أطع مسيلمة إذ قال: إنـــّي من الرسـل

ومثلي قد تهفـــو به نشوة الصبـــا ومثلك مـــن يعفـــو ومالَك من مثل

وإنّي لتنـــــــــهاني نهاي عن التي أشاد بها الواشي ويعقلني عقلـــــي[1]

ويستشفع ابن عمار أبناء المعتمد ليفدوه عند أبيهم فيكتب للراضي:

[1] – ينظر: المرجع السابق ، ص: 267.266.

قالوا أتى الراضي فقلتُ لعلّـــ ـــهاخُلِعت عليه من سمات أبيه

فألٌ جرى فعسى المؤيّد واهـ ـــبلي من رضاه ومن أمان أخيه

قالوا نعم فوضعتُ خدّي في الثرى شكرا له وتيـــمّنا بـــبنيه[1]

يتخذ من أسماء الراضي والمأمون فألا بحصول الرضا والأمان الذي سيمنحه إياه المعتمد لو فاتحه ولداه في موضوع ابن عمّار، فيشكر المعتمد ويتيمّن ببنيه الذي ساعدوه.

وكتب للمأمون:

هلاّ سألتَ شفاعة المـأمون أو قُلتَ ما في نفسه يكفيني

ما ضرَّ لو نبّهتَه بتـــــحيّةٍ يسري النسيم بها على دارين

وهززتَ منه فقد يقلِّبُ سيفهُ يومَ الجلادِ الحين بعد الحين[2]

فهو يمدح المأمون، ولا يرى ضيرا أن يسأله الشفاعة عند أبيه صراحة، ويمزج ذلك مع المدح، خاصة في الشجاعة وقت النزال.

4- الشكوى:

وتعدّ مدخلا هامّا في شعر السجون، والهدف من استعمالها هو التعبير عن التواء الحال وسوء العاقبة، وتختلف الشكوى عن الاستعطاف، في أنّ الشكوى المخاطَب فيها عام، أمّا الاستعطاف فالمخاطبون فيه محددون

[1] – ينظر ابن بسام : الذخيرة ، ق2، م1، ص: 423.

[2] – ينظر: المرجع نفسه ، ص: 424.

إن الشعراء حين يشكون، لا يجدون غير الشكوى سبيلا للتعبير عن أنّاتهم، فلم يعودوا يملكون من أمرهم شيئا، وأصبحت الأقدار تقودهم إلى السجن، تلك الحقيقة التي يعيشونها بسبب أخطائهم؛ على حدّ قول ابن عمّار:

وهل يـــملك المرء من أمره قبيلا فينفذه أم دبيـــــرا

هو القدر العـــتم يعمي الفتى وإن كان بالدهر صبّا بصيرا[1]

ويشكو ابن زيدون حاله في رائيته؛ فيقول:[2]

من يسأل الناس عن حالي فشاهدها محض العيان الذي ينبي عن الخبـر

لم تَـــــــطوِ برد شبابي كبرة وأرى برق المشيب اعتلى في عارض الشعر

قبل الثلاثين إذ عـــــهد الصّبا كثب وللشبـــــيبة غـــــضّ غير مهتصر

ها إنّها لـــــــوعة في الصدر قادحـة نـــــــــار الأسى مشيبي طائر الشرر

يا للـــــــــرزايا لقد شافهتُ منهلها غمرا فما أشـــــــرب المكروه بالغمر

حوادث استعرضـــــتني ما نذرت بها غـــــــــــــــرارة ثمّ نالتني على غرر

فهو يشكو أنّه يمضي سنوات شبابه في غيابة السجن، بسبب حوادث الدهر والمؤامرات التي كان ضحيّتها، فتُشعل اللوعة صدره، وتزيدها نار الأسى اشتعالا.

5- الحنين إلى الماضي:

[1] – ينظر: المرجع السابق ، ص: 416.

[2] – ينظر: ابن زيدون: ديوان ابن زيدون ورسائله، ص: 254.253.

إنّ مرجع التأمل في السجون، هو تذكّر الماضي، الذي ينسى الشاعر كلّ ما فيه من صعوبات، ويصوّره في شعره بأنّه أفضل الظروف التي يمكن أن يعيشها. ويُخيّل إيه أنّ هذا الماضي لن يعود في يأس كثير.

إنّ الشاعر في سجنه يحنّ إلى ماضيه، وإلى أحبّته فيه.كقول ابن زيدون:[1]

الهوى في طلوع تلك النجوم والمنى في هبوب ذاك النسيم

سرّنا عيشنا الرقيق الحواشي لو يدوم السرور للمستديم

فهو يتمنّى دوام العيش الذي سَرّه، وبأنّه كان عيشا يناقض قسوة الحاضر، فهو يحفل بالرقّة.وقوله:[2]

ما جال بعدك لحظي في سنا القمر إلاّ ذكرتك ذكر العين بالأثر

ولا استطالت ذماء اللّيل من أسف أن لا على ليلة سارت مع القمر

ويدفعهم السجن إلى التأمّل في ظواهر الطبيعة، وكونها تذكّرهم بماضيهم ومن فيه. فالليل والقمر كان عندهما تفسير بليالي الأنس، أمّا في السجن في نوافذ يطلّ منها الشاعر على ماضيه ويأسف.

6- الفخر:

إنّ العزلة والوحدة، تحملان الشاعر على التأمل، فالذات الشاعرة يكون لديها تضخّم في الأنا تعبّر عنه من خلال الفخر، وبالاعتماد على استذكار الماضي.

يستمدّ الشاعر من سجنه روح التسامي، فبقاؤه مع ذاته زمنا يجعله محور الكون، ويجد في الفخر منفدا إلى ذلك؛ يقول ابن زيدون:[1]

[1] – ينظر: المرجع نفسه: ص: 278.

[2] – ينظر: المرجع نفسه، ص: 250.

لا يهنأ الشـــــــامت المرتاح خاطره إنّي معنّى الأماني ضائع الخـطر

هل الريـــــــاح بنجم الأرض عاصفة أم الكسوف لغير الشمس والقمر

إن طال في السجن إيداعي فلا عجب وقد يودع الجفن حدّ الصارم الذكر

إنّ السجن بالنسبة إلى ابن زيدون فترة عابرة، وهو ضدّ الشامتين والمتآمرين، الذين يهنؤون بسوء حاله، ويضرب المثل بالرياح التي لا تغيّر مكان الأرض مهما عصفت، أو كالكسوف الذي ليس ملازما للشمس أو القمر، ويرى نفسه سيفا صارما، ولابدّ لهذا السيف من أن يودع في غمده بعض الوقت.

7-الحكمة:

وهي من نتائج الوحدة والحزن: فتسمو روح التأمّل عند الشاعر، فتفيض روح الحكمة التي استمدّها من خبرته بالأمور ومراجعته لحياته قبل السجن.

فيجنح الشعراء في السجن إلى الحكمة، وداعيها التأمل والوحدة، في التي تفتح عليهم فهم الدوافع وردود الأفعال.يقول ابن زيدون: [2]

ربّما أشرف بالمرء على الآمال يـاس

ولقد ينجيك إغفال ويرديك احتـراس

والمحاذير سهـام فالمقادير قيـــــاس

ولكم أجدى قعـود ولكم أكدى التحاس

نلبس الدنيا ولكـن متعة ذاك اللـــــباس

[1] – ينظر: ابن زيدون: ديوان ابن زيدون ورسائله، ص: 254.

[2] – ينظر: المرجع السابق ، ص: 274.273.

فاليأس أشرف للإنسان من عقد الرجاء، وقد ينجّي المرء إغفاله للظروف وسكونه إلى حين، فالقعود عن التذكير بنفسه كلّ حبن أجدى من الالتماس وطلب العفو، الذي قد يجرّ إلى الهلاك بسبب الحتراس والحذر، في زمن لا تخطئ فيه المقادير سهامها.

هذه هي أهمّ خصائص شعر السجون في عصر ملوك الطوائف؛ وتبقى خصوصية كلّ شاعر تفرض نفسها، حيث يتفاوت تواتر الأغراض الآنف ذكرها. وإن كانت توجد خصائص أسلوبية ولغوية لها دلالاتها، عند دراسة شعر السجون؛ وأكثر ما يهمّنا هو أنّ هذه الخصائص التي نجدها في المراجع بصورة نمطيّة، يمكن أن نجد لها تصنيفا يتلاءم به مع الدراسة التداولية التي تُعنى بطرق استعمال اللغة للتعبير عن القصد؛ وعليه فإنّ هذه الخصائص تُصنّف ضمن درجات التداولية الثلاث؛ مثلاً نصنّف الحنين إلى الماضى وذكر المكان والزمان في الإشاريات، ونصنّف الحديث عن القيود والاستعطاف في الحجاج لما لها من توجّه إلى الاستمالة والإقناع، ونصنّف طلب المراسلة والمدح والشكوى والحكمة في أفعال الكلام. إلاّ أنّ هذه المبادىء سيتمّ تطبيقها على مدوّنة الدراسة، وما السابق إلاّ تأطير زماني ومكاني لظاهرة الأسر والسجن في عصر ملوك الطوائف ورصد لما جرَت به العادة من طرق التعبير في مثل هذه الظروف.

4- المعتمد بن عبّاد:

هو المعتمد على الله أبو القاسم محمد بن المعتضد بالله أبي عمرو عبّاد ابن الظافر المؤيّد بالله أبي القاسم محمد قاضي إشبيلية بن أبي الوليد إسماعيل بن قريش بن عبّاد بن عمرو بن أسلم بن عمرو بن عطافبن نعيم اللخمي، من ولد النعمان بن المنذر اللخمي آخر ملوك الحيرة. وهو صاحب إشبيلية وقرطبة وما حولها[1]، وقد ولد بباجة قرب إشبيلية ، في شهر ربيع الأول عام 431هـ[2].

[1] – ينظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج5، ص: 21. وينظر في ترجمته: الفتح بن خاقان: القلائد، ص: 51. وما بعدها. ابن بسام: الذخيرة، ق1،م 2،ص: 13.وما بعدها. المقّري: النفح ، ج4 ، ص: 245.94.. وما بعدها. المراكشي: المعجب: ص:158. وما بعدها.

[2] – ينظر: المرجع نفسه، ص: 37.

ورث المعتمد المُلك عن أبيه وهو في الثلاثين من العمر، بعد موت أبيه المعتضد غرّة جمادى الآخرة سنة إحدى وستين وأربعمائة، ودفن ثاني يوم بإشبيلية[1]. وقد كان وثيق الشبه بأبيه إلاّ أنّه كان دونه شدّة وعنفا.[2] وقد وصف ابن بسّام المعتضد في الذخيرة بقوله:" قطب رحى الفتنة ومنتهى غاية المحنة، ناهيك من رجل لم يثبت له قائم ولا حصيد، ولا سلم منه قريب ولا بعيد، جبّار أبرم الأمر وهو متناقض، أسد فرس الطلا وهو رابض، متهور تتحاماه الدهاة، وجبان لا تأمنه الكماة، متعسّف اهتدى ومنبت قطع فما أبقى(...) وكان أيضا من جمال الصورة، وتمام الخلقة، وفخامة الهيئة، وسباطة البنان، وثقوب الذهن، وحضور الخاطر،وصدق الحواس ما فاق على نظرائه".[3]

ويصف الفتح بن خاقان المعتمد بن عبّاد بأنه:" ملك قمع العدا، وجمّ البأس والندى، وطلع على الدنيا بدر هوى، لم يتعطل يوما كفّه ولابنانه، آونة يراعه وآونة سنانه، وكانت أيامه مواسم، وثغوره بواسم، ولياليه كلّها دررا، وللزمان أحجالا وغررا."[4]

ويؤكد دوزي أنّ قصر إشبيلية أصبح في عهده ملتقى الشعراء الفحول (...) فقد كان الخليفة نقّادا بارع الملاحظة، دقيق الحس، خصب الشاعرية"[5]. واجتمع له من الشعراء وأهل الأدب مالم يجتمع لِمَلك قبله من ملوك الأندلس، وكان مقتصرا على علم الأدب وما يتعلّق به، وكان فيه مع هذا من الفضائل الذاتية ما لا يُحصى؛ كالشجاعة والسخاء والحياء والنزاهة.[6] وقد حكم إشبيلية بالقوة والدخول في الحروب، إذ" يكون مخدوعا من يُخيّل إليه أنّ "المعتمد" قد أغمض عينيه عن إتمام أعمال أبيه وجدّه(...) فقد عمل ما حاولا عبثا أن يعملاه ففشلا، ومن

[1] – ينظر: المرجع السابق، ص: 24.

[2] – ينظر: المراكشي: المعجب:ص: 153.152. والمعتضد: اشتهر بالبطش والشدّة، ويروى أنه:"اتّخذ خشبا في ساحة قصره جلّلها برؤوس الملوك والرؤساء عوضا عن الأشجار التي تكون في القصور" كما أنّه قتل ولده الأكبر إسماعيل وليّ عهده سنة 414هـ. لعلمه بخيانته إياه وتآمره لقتله، كما أنّه قتل رجلا ضريرا بمكّة، كان المعتضد قد استولى على أمواله؛ فرحل إلى مكّة وظلّ يدعو على المعتضد هناك، فأرسل إليه المعتضد دنانير مسمومة فقتله بها". ينظر: المراكشي: المعجب، ص: 153.152.

[3] – ينظر: ابن بسام: الذخيرة، ق1، مج2، ص: 24.

[4] – ينظر: الفتح بن خاقان: قلائد العقيان ومحاسن الأعيان، ق1، ص: 51.

[5] – ينظر: دوزي: ملوك الطوائف، ص:213.

[6] – ينظر: المراكشي: المعجب، ص: 73.

ذلك أنّه في السنة الثانية من حُكمه ضمّ قرطبة إلى مملكته"[1]. وكانت قرطبة منتهى أمله وكان روم أمرها أشهى عمله."[2]

ولو حاولنا أن نقارن بين "المعتمد" وغيره لرأيناه أقوى ملوك الطوائف وأكثرهم نفوذا وامتداد سلطان، ومع هذا لم يكن أكثر منهم استقلالا، إذ كان هو عليه أيضا أن يؤدّي الإتاوة لملوك الفرنجة".[3]

وكان لسقوط طليطلة عام 478هـ في أيدي الملك القشتالي الأذفونش السادس، وسقوط دولة بني ذي النون أمنع حصن في الأندلس الأثر السياسي القاصم، الذي كان له تأثير في كلّ الأحداث السياسية وغيرها بعدها.فبكى عليها الأدباء ونعاها الشعراء؛ ومنهم من يقول:

حُثّوا رواحلكم يا آلَ أندلـس فما الـمُقام بهـــا إلاّ من الغلط

الثّوب ينسل من أطرافه وأرى ثوب الجزيرة منسولا من الوسط

وأصبحت إشبيلية أقوى دويلات الطوائف عرضة لتهديدات الأذفونش، فاستعان المعتمد بن عبّاد وقد ذهب المعتمد بن عباد — في أيّام الإمارة – لفتح مالقة ومعه أخوه جابر، ولم يمضِ قليل على فتحها، حتى عاد باديس الصنهاجي فانتزعها، واضطرّ المعتمد وأخوه إلى الفرار إلى رُندة، وقد أثارت هذه الحادثة غضب المعتضد على ابنه، فضلّ المعتمد يستعطف أباه عمّا فرّط، في قصيدة رائية هي أطول قصائد المعتمد جميعا. يقول فيها[4]: [من الطويل]

سَكّن فؤادكَ لا تذهبْ بك الفِكَرُ ماذا يعيد عليك البـــــــثُّ والحذرُ

وازجُر جُفونَكَ لا ترضَ البكاء لها واصبر فقد كنتَ عند الخطبِ تصطبرُ

فإن يكـــن قَدَرٌ قد عاقَ عن وطرٍف لا مَردَّ لِـــــــــــــما يأتي به القَدَرُ

---

[1] – ينظر: المرجع السابق، ص:222.221. وللتفصيل: ص: 222. وما بعدها.

[2] – ينظر: الفتح بن خاقان: القلائد، ص:67.

[3] – ينظر: دوزي: ملوك الطوائف،ص:237.

[4] – ينظر: المعتمد بن عبّاد: الديوان، تح: أحمد أحمد بدوي وحامد عبد المجيد، بإشراف طه حسين،المطبعة الأميرية بالقاهرة، د.ط، 1951. ص: 36.

ولم يظفر واحد من ملوك الطوائف باهتمام المؤرّخين كما ظفر المعتمد بن عبّاد، وهو الملك الذي توفّرت له أسباب السعادة،ثمّ تكدّست حوله أسباب الشقاء حتّى أشفقَ عليه أصدقاؤه وأعداؤه على حدّ السّواء.[1]

وكانت أوّلية المرابطين في الأندلس من وقعة الزلاّقة في 479هـ . ثمّ عاد يوسف بن تاشفين إلى الأندلس في سنة 481هـ. ولكنّه لم يقم بغزوات ذات خطر. ثمّ رجع إلى إفريقية وقد ازداد سَخطًا على أمراء الأندس جميعًا. فلمّا كانت سنة 484هـ دخل الأندلس للمرّة الثالثة – وكان يُسِرُّ في نفسه القضاء عليهم جميعا – وسار إلى غرناطة واستولى عليها، ثمّ وزّع جيوشه، وفرّق كتائبه، على نواحٍ أخرى من المدن. وركّز قوّته الرئيسية نحو المعتمد. [2]

ولمّا بدأت الفتنة توجّه المرابطون إلى إلى قرطبة وكان عليها ولده المأمون فحاصروها ثمّ قتلوه، ثمّ اندفعوا نحو رُندة أحد معاقل الأندلس الممتنعة وكان عليها ولده الراضي فقتلوه.[3]

وسار جيش ثالث بقيادة سير بن أبي بكر بن تاشفين – وهو ابن أخي أمير المسلمين – إلى إشبيلية، وفي مقاومة المعتمد لسلب مُلكِه .

فنجده يقول[4] : [من الكامل]

لـمّا تـــماسكتِ الدّمـــــــوع وتنبّـــهَ القـــــــلبُ الـصّـديع
قالوا: الخضـــوع ســـــــياسةٌ فَـلْيَبـدُ منـــــكَ لـهُم خضـوع
وألذُّ مِن طـــعمِ الخـــــــضو ع على فـــــمي الـسّمُّ النّقـيع
إن يســـلُبِ القومُ العِـــــــدا مُـلكي وتُســـــلِمني الجُمـوع
فالـــقـــــلبُ بينَ ضُـــــلوعهِ لم تُـسلِمِ القـــــلبَ الضُّلـوع
لـــم أُستَـلبْ شَـــــرفَ الطّبا عِ أيُـسلَبُ الـــــشَّرفُ الرّفيع

[1] – سعد إسماعيل شلبي: البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر عصر ملوك الطوائف، ص: 39.
[2] – ينظر: مقدّمة ديوان المعتمد بن عبّاد، ص: 09.
[3] – ينظر: سعد إسماعيل شلبي: البيئة الأندلسية، ص: 39.
[4] – ينظر: المعتمد بن عبّاد: الديوان، ص:89،90.

قـــد رُمـتُ يـــــومَ نِزالِهِـم ألاَّ تُـحـــصِّنـني الـــدُّروع

نزل عن عرشه إلى الأسر. وكان ذلك يوم الأحد لإحدى وعشرين ليلة خلت من رجب سنة أربع وثمانين وأربعمائة. 484هـ [1]. بعد أن فقد ابنيه المأمون الذي كان على قرطبة والراضي الذي كان على رُندة، "وابنه مالك الذي قُتِل بين يديه، وقد كان معه في القصر"[2]. ويروي الفتح بن خاقان حادثة أسره إذ يقول:" ثمّ جُمِع هو وأهله، وحملتهم الجواري المنشآت، وضمّتهم جوانحها كأنّهم أموات، بعدما ضاق عنهم القصر، وراقَ منهم العصر، والنّاس قد حُشِروا بضِفّتَي الوادي، وبَكَوا بدموع كالغوادي، فساروا والنَّوحُ يحدوهم، والبَوحُ باللّوعة لا يعدوهم"[3]

ويصوّر شاعره ابن اللبّانة بكاءه على بني عبّاد في قصيدة طويلة[4]: [من البسيط]

تبكي السّمـــــاء بمزنٍ رائحٍ غادي على البـــــهاليـــــل من أبناء عبّاد

ولو تقدّمَ التاريخ بهذه المحنة فأصابَ بها والده المعتضد طاغية الأندلس ومُذِلّ المغاربة. الملك الجبّار لاستراح الناس وهدأت قلوب الشامتين.

ورُحِل بالمعتمد وآله بعد استئصال جميع أحواله، ولم يصحب من ذلك كلّه بلغة زاد، فركب في السفين، وحلّ بالعدوة محلّ الدّفين، فكان نزوله من العدوة بطنجة، فأقام بها أيّاما. ولقيه بها الحصري الشاعر.[5]فقال فيه.

قوله[6]: [من الكامل]

شُعـراءُ طـــنجةَ كُلُّهـم والمـغربِ ذَهَبوا من الإغراب أبـــعدَ مذهبِ

[1] – ينظر: المراكشي: المعجب، ص: 202. و ينظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، راجعه وصححه: محمد يوسف الدقاق،دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1987.مج 8، ص: 467.

[2] – ينظر: مقدمة ديوان المعتمد بن عبّاد، ص: 10.

[3] – ينظر: الفتح بن خاقان: القلائد، ص: 90.89.

[4] – ينظر: ابن اللبّانة الداني: ديوان ابن اللبانة الداني مجموع شعره، جمع وتحقيق: محمد مجيد السعيد، دار الراية للنشر والتوزيع عمان ،ط2، 2008. ص: 56.

[5] – ينظر: المراكشي: المعجب، ص: 202.

[6] – ينظر: المعتمد بن عبّاد: الديوان، ص: 92.91.

سألوا الـــعسير من الأسير وإنّــه بســـؤالهم لأحقُّ منـــهم فاعجَبِ
لـولا الـــحياءُ وعـــــزّةٌ لخمية طيَّ الحشا لَحكاهُــم في المطلبِ
قد كانَ إن سُئِلَ الندى يُجزِل وإنْ نادى الصّـــريخُ ببابه اركب يركَبِ

ثمّ انتقل إلى مدينة مكناسة، فأقام بها أشهرا، إلى أن نفد الأمر بتسييرهم إلى مدينة أغمات.
وعندما كان في الأسر وجد رثاء بنيه متنفّسا عن آلامه، ووجد في الجزع عليهم وتعبيرا عن يأسه وتبديد أحلامه:
وقال يرثي ولديه المأمون والراضي، وفيها يشير إلى قتل ابنه أبي عمرو سراج الدولة[1]:[من الطويل]

يَقولون صبرًا , لا سـبيلَ إلى الصَّبرِ سأبكي ، وأبكي ما تطاولَ مِن عُمري
هوى الكَوكَبانِ : الفتْحُ ثُمَّ شـــقيقُهُ يزيدُ، فهل عِند الكـواكِبِ مِن خُبرِ

وقال إثر ثورة ابنه عبد الجبّار[2]: [من المتقارب]

كذا يَهلِكُ السّيفُ في جَفنهِ إلى هزّ كَفّي طويلَ الحنينِ
كذا يعطَش الرُّمحُ لم أعْتقِلْهُ وَلم تُرْوِهِ مِن نجيعٍ يَميني
كذا يُمنَعُ الطَّرفُ عَلْكَ الشَّكيـ مِ مُرتَقِبًا غِرَّةً في كَمينِ

والسائد في شعره هو روح الاستسلام.لجَور الدهر وظلم الأيام. يوصي بنفسه بالصبر. ويوطّنها عليه. وقال[3]: [من البسيط]

اِقنَع بِحـــــظِّكَ مِن دُنياكَ ما كانا وَعَزِّ نَفسكَ إن فارَقتَ أوطـــانا
في اللهِ في كُلِّ مـفقودٍ مضى عِوَضٌ فأَشعِرِ القلبَ سِلـــــوانًا وإيمانا
أَكُلَّما سَنَحتْ ذِكـــرى طَرِبْتَ لـها مَجّت دُموعَكَ في خدَّيْكَ طوفانا

[1] – ينظر: المصدر السابق، ص:105.106.

[2] – ينظر: المصدر نفسه، ص:116.

[3] – ينظر المصدر نفسه، ص: 114.

أما سَمِعتَ بِسُلطانٍ شبـــــيهِكَ قد بَزَّتهُ سودُ خُطوبِ الدّهرِ سُلــطانا
وَطِّن على الكُرهِ، وارقُــب إثْرَهُ فَرَجًا واستغـــــنم الله تغنم منه غفرانا

وبقي بها المعتمد إلى أن توفّي بعد أربع سنوات من الأسر سنة 488هـ.ومن النادر أنّه نودي في جنازته " الصلاة على الغريب " . بعد عظم سلطانه، وسعة أوطانه، وعِظَم أمره وشانه. ويرثي نفسه فيقول في قصيدة مطلعها[1]:

ولـمّا أحسّ بدنوّ وفاته رثى نفسه بهذه الأبيات ووصّى أن تُكتب على قبره[2]:[من البسيط]

قَــبرَ الغريبِ سقاك الــــرّائحُ الغادي حـــــقًّا ظَــفِرتَ بأشــلاءِ ابن عبّادِ
بالحِلـمِ، بالعلــمِ ، بالنُّعمى إذا اتَّصلت بالخِصبِ إن أجدبوا، بالرِيِّ للصّادي

و وفى للمعتمد ثلاثة شعراء؛ هم أبو بكر الداني المعروف بابن اللبّانة، وابن حمديس الصقلّي، ومنهم شاعره أبو بحر بن عبد الصمد[3] الذي رثاه بقصيدة طويلة. يقول في مطلعها[4]:

[من الكامل]

ملكَ الـمُلوكِ أسامعٌ فأنادي أم قد عَدَتكَ عن السّماع عوادِ؟

وقد رثاه ابن اللبّانة بقصيدة يقول في مطلعها: [من البسيط]

لكلّ شيء من الأشياء ميقات وللمُنى من مَنائيهنَّ غايات

ولأنّ شعر الأسر هو مدوّنة الدراسة، فإنّنا أفردنا له التفصيل في عرض مدوّنة الدّراسة. فيما يأتي.

[1] – ينظر: المراكشي: المعجب، ص:205.207.208.

[2] – ينظر: المعتمد بن عبّاد: الديوان، ص:96.

[3] – أبو بحر بن عبد الصمد: هو يوسف بن أبي القاسم خلف بن أحمد بن عبد الصمد(...) وهؤلاء الصمديون قوم من ذوي الهيئات، متقدمون في الكتابة وأدوات أهل النباهات، وأصلهم من أقليم الشبتان، خدم أبو القاسم واالد أبي بحر الخزانة في ألمرية(...) ونشأ أبو بحر فيهم، وهو بحر كاسمه، في نثره ونظمه حسن الحديث حاظر النادر، ذو روية وبديهة. ينظر : ابن بسام: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ق3، مج 2. ص: 810،809.

[4] – ينظر: المقري: النفح، ج4، ص: 259.

5- عرض مدوّنة الدراسة:

لم يجمع المعتمد بن عبّاد ديوانه في عصره، ولم يجمعه له شعراؤه أو ندماؤه ولا روّاة عصره. وإنّما ورد شعره في ثنايا المصادر الأدبيّة التي أرّخت للقرن الخامس الهجري. نحو " قلائد العقيان ومحاسن الأعيان" للفتح بن خاقان (ت 529هـ)، والذخيرة لابن بسام الشنتريني (542هـ)، المعجب للمراكشي(647هـ) ونفح الطيب للمقّري (1041هـ). إلى أن جمعه عام 1951 أحمد أحمد بدوي وحامد عبد المجيد تحت إشراف ومراجعة طه حسين الذي كان آنذاك وزيرا للمعارف العمومية. وهي الطبعة التي اعتمدنا عليها في الدراسة.

ويعدّ شعر الأسر لدى المعتمد بن عبّاد قليلا، إذا ما قارنّاه بشعره قبل الأسر، وذلك يعود إلى أسباب موضوعية. ومن الأسباب الموضوعية مايعود إلى طول فترة الإمارة والملك مقارنة بفترة الأسر التي لا تتعدّى أربع سنوات.

ومن الأسباب متعلّقة بالرواية؛ إمكانية أنّ المعتمد قد قال قصائد أكثر من الموجودة في الدّيوان، خاصة في مواقف تستدعي تدفّق القريحة ، نحو حادثة ثورة ابنه عبد الجبّار، لكنّ الشعراء رواته أشفقوا عليه من العقاب والتعذيب والتنكيل به وبأسرته ففضّلوا عدم رواية تلك القصائد. أو أنّهم قاموا بتدوينها وضاعت مثلما ضاع الكثير من الشعر.[1]

ولئن كان أسر المعتمد يبدأ فعلا في رجب 484هـ، إلاّ أنّ تحديد شعر الأسر لديه يبدأ منذ بداية محنته، أي قبل خمسة أشهر من أسره الفعليّ، عندما أذن يوسف بن تاشفين لجيوش المرابطين بالهجوم على الراضي ولد المعتمد، والذي كان على رُندة حيث قتلوه، وانصرفوا لقتل ولده المأمون وكان على قرطبة، فكان رثاء بنيه فاتحة شعر المحنة، فيقول وقد رأى قمرية نائحة على سكنها، وأمامها وكر فيه طائران يردّدان نغما[2]: [من الطويل]

بَــكتْ أنْ رأتْ إِلـفَيْنِ ضَمَّهُما وَكــرُ مَساءً ، وقد أخْنى على إِلفِها الدَّهـر

[1] – ينظر: أحمد مختار البرزة: الأسر والسجن في شعر العرب، ص: 418.

[2] – ينظر: المعتمد بن عباد: الديوان، ص: 68.

ويقول[1]:[من البسيط]

ياغَـــيْمُ ، عَينيَ أقوى منك تَهـتانا أبْكي لِحُزني ، ومـا حُمِّلْتَ أحْزاناَ

وقد أضفنا القصيدتين إلى شعر الأسر، وذلك بالاحتكام إلى الموضوع رغم أنّ المحقّقين أحمد أحمد بدوي وحامد عبد المجيد ، يصنّفانهما ضمن الشعر الذي يسبق عهد المحنة والأسر و، وذلك لأنهما ركّزا على الإطار الزماني للنصوص.وكان تركيزنا على السياق لأنّ مقتل ولديه كان على يد المرابطين الذين أسقطوا إمارته وملكه. وقد ساعدنا التطبيق على القصيدتين في موضوع الرثاء في فصل الأفعال الكلامية.

ولقد وجدنا في شعر الأسر عند المعتمد نصوصا تنتمي إلى المراسلات الشعرية، بين المعتمد وابنه الرشيد؛ والنصّان موجودان في ديوان المعتمد.وبينه وبين وشاعِرَيه أبي بكر الداني المعروف بابن اللبّانة، وابن حمديس الصقلّي،. وما نجده في ديوان المعتمد بن عبّاد هو القصائد التي قالها المعتمد على اختلاف كونها ابتداءًا أو جوابا أو مراجعة، ونجد بعض المقاطع من شعر أبي بكر الداني الذي يعدّ تتمّة نص المراسلة التي يبتدئها المعتمد، ويحيل على مصادر الشعر الأندلسي مثل الذخيرة لابن بسّام. لأنّ شعر ابن اللبّانة لم يُجمَع أو يُحقّق في ذلك الوقت.وفيما يخصّ ابن حمديس، فإنّنا نجد مطلع الجواب، مع إحالة على ديوان ابن حمديس. إنّ خصوصيّة الأجناس الشعرية في عصر ملوك الطوائف ورواج المراسلات الشعرية في ذلك العصر التي تُمثّل صميم البحث التداولي، . فقد استدعينا قصائد المراسلات من ديوان ابن اللبّانة ومن ديوان ابن حمديس الصقلّي.

وهذا يدفعنا من ناحية أخرى إلى التحرّز من إدراج نصوص الـمُراسلات في غير الفصل الـمُخصّص لها. بما فيها المراسلة الوحيدة بين المعتمد بن عبّاد وابنه الرشيد الذي كان شاعرا.

أمّا من ناحية الموضوعات فقد كان شعره صورة للحياة التي عاشها في عهد الإمارة والـمُلك,حياة الترف والجلال.وكان الغزَل أهمّ أغراض شعر المعتمد في ذلك العهد.

[1] – ينظر : المصدر السابق، ص: 69.

وقد تنوّعت موضوعات شعر الأسر لدى المعتمد، ومنها نجد: الرثاء، الشكوى، الفخر، التهكّم ، الحكمة، والمراسلات الشعرية.وتفصيلها كما يأتي:

الرثاء:

بعد ان انقلبت الحال على المعتمد من ملك إلى أسير، فقد ملكه وأمنه وإلى من ثكل أبناءه الذين قتلوا تباعا، وهم: سراج الدولة الذي قتله ابن عكاشة في قرطبة، والمأمون والراضي اللذان قتلا أول المحنة في قرطبة ورندة، يقول:[1][من الطويل]

يَقولون صبرًا , لا سـبيلَ إلى الصَّبرِ سأبكي ، وأبكي ما تطاولَ مِن عُمري

ويقول في رثاء نفسه[2]: [من البسيط]

قَــبرَ الغريبِ سقاك الــرّائحُ الغادي حـــقًّا ظَــفِرتَ بأشــلاءِ ابن عبّادِ

ويشتكي من قيده فيقول[3]: [من السريع]

قَيدي أما تعلـــمُني مُسلِما أبَيْتَ أنْ تُشــفِقَ أو تَرْحَما

ويقول مفتخرا بأصله اللخمي[4]: [من الرمل]

مَن عَزا الـــــمجدَ إلَيْنا قد صدقْ لم يُلَم من قال ، مهما قال حَـــــقْ

ويتهكّم من المرابطين في قوله[5]:[من البسيط]

هُم أوقـــدوا بَيْن جَنبَيكَ نارا أطـــالوا بها في حَشـــاكَ استعارا

وفي الحكمة قال[6]: [من البسيط]

اِقنَع بِحـــــظِّكَ مِن دُنياكَ ما كانا وَعَزِّ نَفسكَ إن فارَقتَ أوطـــانا

ورغم أنّ ظاهر العنوان يوحي للقاريء- وإن كان متخصّصا- أنّنا سنقتصر على شعر المعتمد بن عبّاد الذي قاله في الأسر إلاّ أنّنا مع تطوّر فكرة البحث والتعمّق في خصوصية الفترة التاريخية

[1] - ينظر: المعتمد بن عباد: الديوان، ص: 105،106.

[2] - ينظر: المصدر نفسه، ص: 96.

[3] - ينظر: المصدر نفسه، ص: 112.

[4] - ينظر: المصدر نفسه، ص:110.

[5] - ينظر: المصدر نفسه، ص: 97.

[6] - ينظر: المصدر نفسه، ص: 114.

التي ندرسها، وجدنا لزامًا علينا دراسة شعر شاعرَيه: أبو بكر الدّاني المعروف بابن اللبّانة، وابن حمديس الصقلّي. اللّذين وجدنا إدراج شعرهما في فصلَين من الدراسة؛ والتفصيل كما يأتي:

في الفصل الثاني الموسوم بـ"الحجاج في شعر الأسر عند المعتمد بن عبّاد" الذي عالجنا فيه فكرة تخفيف القيود على المعتمد جاءت من إقناع – ليس من المعتمد فحسب وإنّما من شعرائه الذين وصفوا قيوده وتنقّلوا بعد زيارته في أغمات إلى إشبيلية. وكان لهم دور في دفع الشعب الإشبيلي إلى الاحتجاج على المعاملة القاسية التي يضيق بها مَلِكهم، وهذا ما كان معروفا في ذلك العصر. وفي دواوينهم من القصائد والمقطوعات التي تثبت فرحتهم وسعيهم لهذا الإنجاز.

وفي الفصل الرابع: المراسلات الشعرية : وهي من الأنواع الشعرية التي لقيت ذيوعا في هذا العصر؛ وهي تعكس مبادىء تداولية أصيلة هي الإنجازية والحوارية والقصد .

ومن المنطقيّ أنّ دراسة المراسلات تداوليا تقتضي إدراج نصّين: الأوّل نصّ الابتداء الوارد في ديوان المعتمد، والثاني الوارد مطلعه في ديوان المعتمد والذي ورَدَ نصّه الكامل تارةً في ديوان أبي بكر الداني المعروف بابن اللبّانة، وطَورًا في ديوان ابن حمديس الصقلّي. بالإضافة إلى مراسلته مع ابنه الرشيد، والتي قمنا بتضمينها في فصل المراسلات الشعرية استنادا إلى التحديد الأجناسي في هذه الدراسة.

والملاحظة الأخرى التي نوردها على المدونة هي أنّ أغلب النصوص الشعرية كانت مُرفقة بنصوص موازية؛ حيث يرى جيرار جينيت :" النص الموازي هو النوع الثاني من المتعاليات النصية، ويشمل شبكة من العناصر النصية والخارج نصية التي تصاحب النص فتجعله قابلا للتداول" ويَعُدّ النص الموازي أحَد المواقع الممتازة للبُعد التداولي للعمل الأدبي.[1]

إنّ هذه النصوص الموازية تساعد الدارس على تحديد مقصدية الشاعر، أو تصنيف النصوص حسب الأغراض.

الملاحظة الثالثة: أغلب شعر المعتمد بن عبّاد في الأسر مقطوعات لا قصائد.[2]حسب قول إبراهيم أنيس فيما معناه أنّ النص الشعري إذا لم يتجاوز عدد أبياته العشرة، فيسمّى مقطوعة؛ ويضرب

[1] – ينظر:نبيل منصر: الخطاب الموازي للقصيدة العربية المعاصرة،ط1، 2007، دار توبقال للنشر والتوزيع. ص:21. وأنواع المتعاليات النصية التي وضعها جيرار جينيت هي: التداخل النصي، النص الموازي، النص الواصف، النص المتفرع، النص الجامع. لمزيد من التفصيل. ينظر ص: 21. وما بعدها.

[2] – ينظر: إبراهيم أنيس: موسيقى الشعر، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة،ط2، 1952.ص:126.

مثالا بنصوص الرثاء التي ينظمها الشاعر ساعة الفزع والهلع. أمّا إذا تجاوزها فهو قصيدة. في إطار حديثه عن العاطفة والوزن[1]. وبالعملية الإحصائية نجد أنّ عدد المقطوعات قد بلغ اثنتين وثلاثين مقطوعة (32) وعدد القصائد سبعة (07).لكن لا يعنينا تفسير الطول والقِصَر، بقدر ما يعنينا الانطلاق من أنّه ملفوظ إنجازي له أهمّيته في الدراسة التداولية.

5. مفهوم التداولية :pragmatique

لقد تعددت المداخل التي اهتمت بدراسة النصوص الأدبية حسب تركيز كل منها الاهتمام على عنصر من عناصر العملية التواصلية واختلفت كالآتي:

1. الاتجاهات التي اهتمت بالمتكلم وتتمثل في الاتجاهات النفسية والتاريخية والاجتماعية
2. الاتجاهات التي اهتمت بالنص البنيوية السيميائية التفكيكية
3. الاتجاهات التي اهتمت بالمتلقي تتمثل في نظرية التلقي والقراءة التي يتزعمها ياوس وأيزر

وقد جاء الاتجاه التداولي في مقاربة النصوص الأدبية وذلك من خلال اهتمام التداولية بكل عناصر الموقف التواصلي من: مرسل ومتلق ونص وظروف محيطة بإنجاز هذا النص، فحول بهذا مجرى الدراسات التي كانت مقتصرة البنية المجردة لموضوع العبارة —وهذا ما تذهب اليه الدراسات البنيوية — الى الاتجاه الى الدراسة التي تاخذ بالحسبان دراسة هذه البنية للتمكن من انجاز العبارة .

وقد كان أول استعمال لمصطلح التداولية مع تشارلز موريسCharles Morris سنة 1938 حيث دل على فرع من فروع ثلاثة احتواها علم العلامات:

1. **علم التراكيبsyntaxe**: غايته دراسة علاقات شكلية تبين العلامات ليوضح الروابط الحاصلة بين الدوال والمدلولات التي تحيل إليها
2. **علم الدلالةsémantique**: مهتمه البحث في العلاقة التي تجمع الدالة بالمدلول أي العلاقة بين الألفاظ ومعانيها

[1] – ينظر: المرجع السابق. ص: 176.

3. **التداوليةpragmatique** : تهتم بدراسة علاقة العلامات بمفسريها[1] بمقاربتنا لمفهوم التداولية نتوصل إلى وضع مبادئ أساسية تبنى عليها هي:

- المادة: المراد بها تلك العلامات أو الخطابات المتداولة بين المتكلميين والمتلقين
- العلاقة: تتمثل في الرابط الجامع بين الخطاب وغايته
- التلقي: تجسده ردة فعل المتلقي بعد وقوع بعد وقوع الفعل الكلامي مثلا: الذي أراده منه مرسله مستخدما أدوات اقناعية معينة

على هذا الأساس تكون التداولية محتملة لعدة تعريفات أهمها ما يربطها بالتواصل حيث يذهب أصحاب فلسفة اللغة الطبيعة مؤكد أن: "توصيل معنى اللغة الإنسانية الطبيعية يكون من خلال إبلاغ مرسل رسالة إلى مستقبل يفسرها"[2] أو بالنظر لها بأنها لسانيات تداولية اهتمت بمعالجة كيفية استعمال المتكلمين للدلالات اللغوية في خطاباتهم أي كيفية إرسال وتأويل هذه الخطابات ويمكن أن نضيف إليها شرط التواصل المتحقق من خلال كفاءة تواصلية تتمثل في استغلال الكفاءة اللغوية في تحقيق التواصل والفعل في المتلقي.

بناء على ما تقدم يتضح أن التداولية هي دراسة استعمال اللغة في الخطاب إذ هي: "تلك الإمكانيات التي تتيح لنا التواصل من خلال الإجابة عن أسئلة هي: ماذا نصنع حيث تتكلم؟ ماذا نقول بالضبط حين نتكلم؟ من المتكلم؟ إلى من يتكلم؟ ما الغاية من الكلام؟"[3]

وهي كما ترى أن ماري ديلروفرانسواز ريكانتي: "دراسة اللغة في الخطاب شاهدة في ذلك على مقدرتها التخاطبية"[4]

ويعرفها الجيلالي دلاش بأنها: "تخصص لساني يدرس كيفية استخدام الناس للدلالة اللغوية في صلب أحاديتهم، وخطاباتهم، كما يعني من جهة أخرى بكيفية تأويلهم لتلك الخطابات والأحاديث[5]"

[1] – ينظر: محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، مصر، ط1، 2002.ص 09

[2] – ينظر: المرجع نفسه، ص: 10.

[3] – ينظر: فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، ترجمة سعيد علوش، مركز الانماء القومي، المغرب، د ط، 1986، ص 07،08.

[4] – ينظر: المرجع نفسه، ص 08.

[5] – ينظر: الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ترجمة محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط،د ت، ص 01.

ويرى المهتمون بالمجال التداولي أنه من الصعب تحديد مجال تخصص التداولية وتعيين موضوعها لما في التحديد من تضييف لمجال الموضوع إلا أن هناك من اقترح تحديدان لمجال تخصصها منهم: فان ديك (van dijk)الذي يرى أن التداولية تعنى بتتبع أثر القواعد التعارف عليها من خلال العبارات الملفوظة وتأويلها. كما تهتم أيضا بتحليل الشروط التي تجعل العبارات جائزة ومقبولة في موقف معين بالنسبة للمتكلمين بتلك اللغة ويحدد لها ثلاثة مهام:

1. صياغة شروط نجاح إنجاز العبارة
2. صياغة مبادئ تتضمن، اتجاهات مجاري فعل الكلام المتداخل الانجاز الذي ينبغي أن يستوفي في إنجاز العبارة حتى تصبح ناجحة
3. الإجابة عن تساؤل: كيف تترابط شروط نجاح العبارة كفعل إنجازي وكمبادئ فعل مشترك الانجاز التواصلي مع بنية الخطاب أو تأويله[1].

وبهذا فهي تسعى الى ايجاد مباديء تشتمل على اتجاهات مجاري فعل الكلام المعقد من خلال اهتمامه بالعبارة من ناحية انجازها بنجاح حيث يحافظ على اهم شرط وهو المتمثل في جعلها مفهومة .

وتهدف الى صياغة مباديء تمكن المنشئين من انجاز افعال لغوية ناجحة من خلال احترامهم للشروط والضوابط والتي هي مباديء للخطاب في اي سياق تواصلي ينتجون فيه عباراتهم .

مما سبق يتضح بجلاء الإطار العام للهدف الذي تصبو إليه التداولية فهي تسعى لتجاوز النظرة الصورية للغة التي كانت محل اهتمام المدارس اللسانية السابقة لتدعو إلى ضرورة إيلاء العناية الكافية بالظروف المواتية والمناسبة عند استعمال اللغة.

وقد انتقلت التداولية بمفاهيمها الغربية للفكر العربي المعاصر ونجد طه عبد الرحمن الذي ترجم المصطلح بالتداوليات. يقول: "وقد وقع اختيارنا منذ 1970 على مصطلح "التداوليات" مقابلا للمصطلح الغربي (براغماتيقا) لأنه يوفي المطلوب حقه باعتبار دلالته على معنيين "الاستعمال"

[1] –ينظر: فان ديك، النص والسياق: استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، ترجمة عبد القادر قنيني، افريقيا الشرق، المغرب، د ط، د.ت، ص 256.

و"التفاعل" خلال عناية التداولية بكل عناصر التواصل لأنها تدرس اللغة وهي تدور بين السنة المتخاطبين ، ودراسة التفاعل بين طرفي العملية التواصلية لأن الأطراف كلها تنتمي إلى ظروف مقامية سواء أكانت داخلية أو خارجية يجب مراعاتها عند الدراسة وعدم إغفال انها تنظر الى المتكلم والمخاطب لتتمكن من دراسة التفاعل الذي يقتضي النظرة العامة لأطراف التواصل وليس النظر لكل طرف على حدة أطراف الخطاب في مقام معين، ولا تعنيها اللغة وهي خارج الاستعمال، ليخلص إلى أن المعنى الذي يحمله الفعل هم "التواصل" ومقتضى التداول –إذا– أن يكون القول موصولا بالفعل[1]."

وتعد الدراسة النظرية لآليات التحليل التداولي للنصوص مهمة، وذلك لارتباطها بمختلف النظريات التي تنتمي إلى الدرس التداولي، والتي تساعد على تأطير التحليل والوصول به إلى نتائج مفيدة في نهاية كل دراسة ، **و**يعد الهولندي هانسون Hanson أول من جرّب التوحيد بطريقة نظامية وتجزئة مختلف المكونات التي تطورت إلى الآن بطريقة مستقلة، يتمثل هذا التوحيد وهذه التجزئة في تقسيم التداولية إلى ثلاث درجات متتابعة، واختيار مصطلح الدرجات بدلا من الأجزاء يدلّل على فكرة العبور المتامي من درجة بلأخرى ، لارتباط كل درجة بمظهر من مظاهر السياق الذي يغتني كلما انتقلنا من درجة إلى الدرجة الأعلى منها. ويشير هذا الانتقال من درجة لأخرى إلى التطور التدريجي من مستوى لآخر. وهذه الدرجات هي:

1. **تداولية من الدرجة الأولى**:تتمثل في دراسة الرموز الإشارية (التعابير المبهمة) ضمن ظروف استعمالها(سياق تلفظها)، وسياقها هو الموجودات ، أو محددات الموجودات، ويتكون هذا السياق من المخاطبين ومحددات الفضاء والزمن؛ ففي هذه الدرجة يتم دراسة الضمائر ومرجعيتها في السياق. إذ تعد أقوالا مبهمة إذا درست خارجه، أما إذا درست حسب إحالتها ومرجعيتها في السياق الذي وردت فيه، فإنها تعطينا دلالات على توظيفها في ذلك السياق.

[1] – ينظر: طه عبد الرحمن، تجديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي، ط2، 2005. ص 243،244.

2. **تداولية من الدرجة الثانية:** تتمثل في دراسة كيفية تعبير القضايا في الجملة المتلفظ بها، وضرورة تمييزها عن الدلالة الحرفية للجملة، **و** يتم في هذه الدرجة دراسة الحجاج في الخطاب ومحاولة إقناع المستمع بالمعلومة التي يحملها الخطاب، والسياق في هذه الدرجة هو مجمل المعلومات والمعتقدات التي يشترك فيها المتخاطبون.
3. **تداولية من الدرجة الثالثة:** وتتمثل في نظرية الأفعال الكلامية التي تنطلق من مسلّمة مفادها أن الأقوال الصادرة ضمن وضعيات محددة تتحول إلى أفعال ذات أبعاد اجتماعية، تحمل معان ضمنية تتم معرفتها من خلال الإحاطة بظروف الفعل الكلامي الاجتماعية، وما يمكن أن تحمله من دلالات ضمنية، في إطار ما يسمى بالسياق الاجتماعي.[1]

وترتبط كل درجة من الدرجات الآنف ذكرها بإستراتيجية معينة في الخطاب ،وهي لا تخرج عن إطار ما يسمى بقوانين الخطاب lois du discours ، وبعرضنا لهذه الدرجات بالتفصيل ، سنجد أن كل درجة ترتبط بإستراتيجية معينة من إستراتيجيات الخطاب، وتعتمد على قانون من قوانينه.

ومن بين أهم المفاهيم المرتبطة بالتداولية مفهوما الافتراض المسبق والاستلزام الحواري.

الافتراض المسبق: presupposition

وهو المعلومات المسلّمة التي يعتبرها المتكلّم قابلة بأن يحصل عليها.إمّا بالإحالة إلى ما سبق أو بالعودة إلى المقام[2] ؛ حيث يؤدّي السياق التخاطبي الدور الأساس في الافتراض المسبق . ويضرب محمود أحمد نحلة مثالا على هذا:" فإذا قال شخص لشخص آخر : أغلق النافذة. فالمفترض سلفا أنّ النّافذة مفتوحة، وأنّ هناك مبرّرا يدعو إلى إغلاقها.وأنّ المخاطَب قادر على الحركة، وكلّ هذا موصول بسياق الحال وعلاقة المتكلّم بالمخاطَب[3] ". فالمتكلّم يوجّه حديثه إلى المخاطَب على أساس ما يفترض سلفا أنّه معلوم له. نستنتج أنّه لا يوجد خطاب يقال من غير افتراض مسبَق. فجميع الخطابات تتأسّس عليه.

[1] –ينظر: فرانسواز أرمينكو: المقاربة التداولية، ص: 38.

[2] – ينظر: براون ويول: تحليل الخطاب، تر: محمد الزليطي و منير التريكي، جامعة الملك سعود الرياض، 1997. د.ط. ص: 96.

[3] – ينظر: محمود أحمد نحلة، آفاق جيدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الاسكندرية، د.ط، 2002. ص: 26

الاستلزام الحواري:conversational implicature

مفهوم ظهر مع غرايس الذي حاول أن يضع نحوا قائما على أسس تداولية للخطاب، حيث يأخذ بعين الاعتبار كلّ الأبعاد المؤسّسة لعملية التخاطب، ويصبح التأويل الدلالي للعبارات متعذّرا إذا نُظِر إليه فقط إلى الشكل الظاهري إلى هذه العبارات. والاستلزام التخاطبي يبقى من أهم الخصائص التي تميّز اللّغات الطبيعية.[1]

ويطلق عليه أحمد المتوكل مصطلح"الاستلزام التخاطبي"[2] ويقوم بطرح تساؤلات وفرضيات عن الانتقال من المعنى الصريح إلى المعنى المستلزم حواريا. وكيفية معرفة وضبط المعنى الذي تخرج إليه صيغ جملية كالاستفهام والأمر والنهي والنداء. فاستعمال الجملة: " ناولني الكتاب من فضلك" على سبيل المثال ، المنجزة في مقام محدد، يخرج معناها من الطلب (الأمر) إلى الالتماس ،وهو ما تفيده القرينة : من فضلك.[3]

إنّ التعامل التداولي مع أيّة مدوّنة يجب أن يتأسس على تموقعها ضمن السياق الذي وردت فيه، والأخذ بعين الاعتبار جميع الظروف المحيطة بإنجاز العبارة، في إطار السياق مع مراعاة أطراف العملية التواصلية ومقصد المتكلّم خاصة.

[1] – ينظر: العياشي أدراوي: الاستلزام الحواري في التداول اللساني – من الوعي بالخصوصيات النوعية للظاهرة إلى وضع القوانين الضابطة لها، منشورات الاختلاف، ط1. 2011. ص: 17،18.

[2] – أحمد المتوكل: الاستلزام التخاطبي بين البلاغة العربية والتداوليات الحديثة، ضمن التداوليات علم استعمال اللغة ، إعداد وتقديم حافظ اسماعيلي علوي. عالم الكتب الحديث، إربد الأردن، ط1. 2011. ص: 294.

[3] – ينظر: العياشي أدراوي: الاستلزام الحواري في التداول اللساني، ص: 19.

الفصل الأول

الفصل الأول: الإشاريات في شعر الأسر عند المعتمد بن عبّاد

1- مفهوم الإشاريات

2- أنواع الإشاريات في شعر الأسر عند المعتمد بن عبّاد:

2-1 الإشاريات الشخصية

2-1-1- ضمائر الحضور

2-1-2- ضمائر الغياب

2-2- الإشاريات المكانية في شعر الأسر عن المعتمد بن عبّاد

2-2-1- المكان الأليف

2-2-2- المكان الـــمُعادي

2-3-الإشاريات الزمانية

1- مفهوم الإشاريات

تُعدّ الإشاريات الدرجة الأولى من درجات التحليل التداولي، وهي بفروعها الثلاثة (الأنا، الهُنا، الآن) تُعنى بتتبُّع العناصر الإشارية الدالة على حضور الأشخاص أو الشخوص والقرائن الزمانية والمكانية في الخطاب؛ المتمثلة في الضمائر وظروف الزمان والمكان، وما تحيل عليه في السياق الذي وردت فيه. وهي:" مفهوم لساني يجمع كلّ العناصر اللّغوية التي تشير مباشرة إلى المقام؛ من حيث وجود الذات المتكلّمة أو الزمان أو المكان، حيث ينجز الملفوظ والذي يرتبط به معناه؛ ومن ذلك: الآن، هنا، هناك، أنا، أنت، هذا، هذه. وهذه العناصر تلتقي في مفهوم التعيين أو توجيه الانتباه إلى موضوعها بالإشارة إليه، وهي تنظّم الفضاء انطلاقا من نقطة مركزيّة هي الذات المتكلّمة"أنا".[1] وبذبك تساعدنا الإشاريات على رصد مسافات القرب والبعد بين الذات المتكلّمة و عناصر السياق الذي تنتمي إليه؛ كأطراف الخطاب، ومكان وزمان التلفظ.

ومرجع الإشاريات "لا يتحدّد إلاّ في سياق الخطاب الذي وردت فيه، لأنها خالية من أيّ معنى في ذاتها. لذلك سميت مُبهمات أو مُتَحوّلات، ورغم أن كل الكلمات في اللغة تحيل على مدلول معين، إلا أن الإشاريات تتواجد في المعجم الذهني للمتكلمين باللغة دون ارتباطها بمدلول معين".[2]

وبالرغم من ارتباط دورها بتعيين بالمرجع الذي تحيل عليه في الخطاب المُتَلَفَّظ به، والعمل على ضبط المقام الإشاري[3] إلاّ أنّ هذا المرجع يتّصف بعدم الثبات؛ لأنه يتغير تبعا للسياق الذي ترد فيه الإشاريات. وتكمن أهمية الإشاريات في أنها تدرس كيفية استعمال الإحالة.

ولا يمكن إدراك المعنى التداولي للإشاريات إلاّ إذا ربطنا استعمالها بالسياق الذي وردت فيه؛ والذي يضم هوية المتكلّم والمتلقّي والإطار الزماني والمكاني للحدث اللغوي." ولا يقف دور الإشاريات في السياق التداولي على الإشاريات الظاهرة، بل يتجاوزها إلى الإشاريات ذات الحضور الأقوى، وهي

[1] – ينظر: الأزهر الزناد: نسيج النص، بحث في ما يكون به الملفوظ نصا، المركز الثقافي العربي، الدر البيضاء، ط1، 1993. ص: 116.

[2]– ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري :إستراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت لبنان، ط. 2004. ص:79.

[3] – ينظر: الأزهر الزناد: نسيج النص، ص: 116.

الإشاريات امستقرّة في بنية الخطاب العميقة عند التلفّظ به، وهذا ما يعطيها دورها التداولي في استراتيجيات الخطاب؛ لأنّ التلفّظ يحدث من ذات متلفّظة بسمات معيّنة، وفي زمان ومكان معيّنين، وهما مكان التلفّظ وزمانه، إذ تجتمع في الخطاب الواحد على الأقلّ ثلاث إشاريات؛ هي:(الأنا، الهنا، الآن).[1] وبوجود الإشاريات بأنواعها في الخطاب، يبقى مدى تحقيق الهدف المتوخّى من الخطاب؛"فكلّ فعل لغوي يكون ناجحا إذا علم المخاطَب قصد وإحالة العبارة، وإذا كان للمتكلّم غرض ينبغي بموجبه أن يشكّل المخاطب هذه المعرفة".[2]

1-1- الإشاريات الشخصية في الدرس اللغوي الغربي:

يتجسّد الخطاب باللغة في جميع مستوياتها ولابد أن يكون لكل كلمة في الخطاب مدلول تحيل عليه ، إلا أنّ بعضا منها يوجد في المعجم الذّهني للمتكلّمين بنفس اللغة، دون ارتباطها بمدلول ثابت، ويصبح مدلولها مرتبطا بالمقام الذي وردت فيه لأنّ معناها يتغيّر تبعا لما تحيل عليه في كلّ خطاب جديد. ويُطلَق عليها مصطلحات عدة كالمبهمات Embrayeurs أو dectiques والمتحوّلات.أو الأشكال الفارغة.

وهي كما تعرّفها أوركيوني orecchioni:" وحدات لسانية وظيفتها دلالية ومرجعية sémantico-référentiel تأخذ بعين الاعتبار بعض العناصر المكوّنة للموقف التواصلي لمعرفة الدّور الذي يمنحه لها المتخاطبون ،والوضعية الزمكانية spatio-temporelle للمتكلّم وبالتالي للمخاطب ."[3]

إن الضمائر هي نقاط الارتكاز الأولى لوضع الذاتية في اللغة. وتتبعها أنواع أخرى من الأسماء المعوضة (كاسم الإشارة والاسم الموصول)، تشاطرها المنزلة ذاتها. إنها الظروف وأسماء الإشارة والأحوال والنعوت وما ينظم العلاقات المكانية والزمانية حول "المسند إليه" بوصفه معيارا: "هذا،

[1] – ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص: 80.

[2] – ينظر: فان دايك: النص والسياق: استقصاء البحث في البحث الدلالي والتداولي، ترجمة: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2000. ص: 266.

[3] -voir: Catherine kerbrat-orecchioni:l énonciation de la subjectivité dans le langage Armand colin quatrième édition p41.

هنا، الآن" وتعالقاتها الكثيرة "ذاك، أمس، العام الماضي، غدا..." الخ وهي تشترك في كونها تعرف فقط بارتباطها بالوضع الخطابي الذي تنشأ فيه أي تبعية للأنا الذي يتلفظ بها[1].حيث تعد اللغة مجالا مهما لتعبير الإنسان عن فكره وذاته على اعتبار أنها وسيلة التواصل اللغوي.

ويسميها جون كوهن J.Cohen في كتابه بناء لغة الشعر" بالمتحوّلات" وهي :"طبقة من الكلمات يتغير معناها تبعا للسياق "[2]وعلى الرغم من أن هذه المتحولات لم توجد في اللغة لكي تؤدي وظيفة مبهمة، وإنما لتعبّر عن معنى معين وشيء واحد، فإنّ استعمال المبدع لها في سياق مطلق " هو سياق القصيدة مثلا" لايحدّه زمان ولا مكان يجعلها عصيّة على التحديد. فهي- وإن كانت تبدو محددة عند بث الرسالة- فإنها تفقد تحديدها بعد أن تفلت القصيدة من بين يدي مُبدعها، وتصبح عناصرها المتحوّلة غامضة المرجع، وهذا ما يجعلها تحتاج إلى التحديد.

ومرونة الضمائر وعدم حملها لمعنى في ذاتها يجعلها قابلة للتّحول حسب السياق الذي ترد فيه. يعطيها ميزة تُـمَكّن المتكلم هذا امتلاك الحقّ في الكلام وتنصيب نفسه على رأس العملية الخطابية وإعطائه لمخاطب مفترض أو موجود واقعا رتبة تداولية محددة.

ويذهب إميل بنفنيست E. Benveniste إلى أنّ اللّغة تقترح بوجه من الوجوه الضمائر بوصفها"أشكالا فارغة" formes vides مناسبة لكل متكلم يمارس الخطاب، يعلّقها بـ "شخصه"، معرّفا نفسه بوصفه" أنا"ومعرّفا شريكا له في الوقت ذاته بوصفه" أنت". وهكذا فإن الوضع الخطابي يشتمل على جميع المعطيات التي تحدد الذات"[3]. فاللغة منظّمة بطريقة تسمح لكل متكلم بامتلاك اللسان كليا، عندما يعين نفسه على رأس العملية التواصلية بوصفه" أنا".

ويرى إميل بنفنيست E. Benveniste أن اللغة تمنح إمكان التعبير عن الذاتية ، من خلال قدرة المتكلم على فرض نفسه "ذاتيا"، وهذه الذاتية أنها تتحدد، لا عبر الإحساس ، بحيث أنها تحتوي دائما أشكالا لسانية تناسب التعبير عنها. بل نقف على أساس "الذاتية"، التي تتحدد بوضعية "الشخص" اللسانية التي تتجلى عند مخاطبتي شخصا خارجا عن "ذاتي" فيصبح صدى لي أقول له

[1]- ينظر: إميل بنفيست، عن الذاتية في اللغة، ضمن :تلوين الخطاب –فصول مختارة من اللسانيات والعلوم الدلالية والمعرفية والحجاج- الدار المتوسطية للنشر ،تونس،ط 1،2007ص ص 109.

[2] – ينظر: جون كوهن: بناء لغة الشعر، – اللغة العليا، ترجمة أحمد درويش، مكتبة الزهراء بالقاهرة، ط1، 1985. ص: 185.

[3]- ينظر: إميل بنفنيست : عن الذاتية في اللغة،ص :110.

"أنت" ويقول عني "أنت"، فالذاتية تتحدد وحدة نفسية تتعالى على مجموعة التجارب المعيشة التي تؤلف بينها والتي تضمن محايثة الوعي. ويرى أنّ الوعي بالذات والتعبير عنها لا يكون إلا عند ما أتوجه إلى شخص ما يكون "أنت" في خطابي، لأنه شرط يستلزم التبادل إذا أصبح "أنا" " أنت" في خطاب من يصبح بدوره "أنا" في خطابه. بهذا المعنى أفترض وجود شخص آخر خارج عني هو"أنت"، وهذا ما يسمى **تقاطب الضمائر** فالتلفظ ب"أنا" يجعله قطبا ومن المفترض أن يقابله قطب آخر هو"أنت"لأن المتكلم لا يتلفظ بالخطاب إلا وهو- على الأقل-شريكا له في الخطاب سواءا أكان سامعا أو قارئا، أي إمكانية تعبير نفس الضمير عن ذوات مختلفة، لأن الضمائر أشكال لسانية فارغة تتناسب مع كل متكلم، فهي تمنح له القدرة على التعبير عن ذاته. في كما هي في اللغة باعتبارها شرطا أساسيا في المسار التواصلي الذي تنخرط فيه ليست إلا نتيجة تداولية بالكامل[1].

2-1- الإشاريات الشخصية في الدرس اللغوي العربي:

مصطلح الضمير هو مصطلح شائع في التراث اللغوي العربي وهو عند القدماء :" اسم جامد يدل على متكلم أو مخاطب أو غائب"[2] . وعند المحدثين يجعله **تمام حسان** مشتملا على ثلاثة فروع هي:" ضمائر الأشخاص والإشارات والموصولات"[3] . ولا تخلو الضمائر في ذاتها من إبهام وغموض في دلالتها "لأن معنى الضمير وظيفي وهو الحاضر أو الغائب على إطلاقهما، فلا يدل دلالة معجمية إلا بضميمة المرجع، وبواسطة هذا المرجع يمكن أن يدل على معين، وتقدم هذا المرجع لفظا أو رتبة أو هما معا ضروري للوصول إلى هذه الدلالة "[4]. لكن هذا القول لا يتحقق في جميع مستويات التعبير، وخاصة التعبير الشعري، لأن الشاعر يعمد عن قصد منه إلى تغييب المرجع عن التركيب الداخلي للصياغة، ليؤدي وظيفته من خلال السياق الخارجي. وتصبح دلالته بذلك غامضة وغير محددة.

---

[1]- ينظر: المرجع السابق، ص 107 .

[2] - ينظر: عباس حسن: النحو الوافي، دار المعارف مصر، ط 3.د.ت، ج1، ص: 196.

[3] - ينظر: : تمام حسان، مكونات الضمائر في النص القرآني الكريم – ضمن اجتهادات لغوية، عالم الكتب القاهرة، ط1، 2007، ص: 225.

[4]- ينظر: تمام حسان،اللغة العربية معناها ومبناها، ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2 ، 1979م، ص :111.

إذ يحتفظ كل نوع من الإشاريات بطرق استعماله وظلال معانيه، وعموما تكتسب الضمائر بهذا المعنى أهمّيتها بصفتها نائبة عن الأسماء والأفعال والعبارات والجمل المتتالية. فقد يحل الضمير محلّ كلمة أو عبارة أو جملة أو عدّة جمل. وذلك يعود لصعوبة تحديد المرجع الذي يُحيل عليه الضّمير سواء أكانت للمتكلم أو للمخاطب أو للغائب.

ونلاحظ أن ضمير المتكلم وضمير المخاطب يفسرهما وجود صاحبهما وقت الكلام، فهو حاضر يتكلم بنفسه أو حاضر يكلمه غيره، فهي ضمائر حضور.

أما ضمير الغائب فصاحبه غير معروف لأنه غير حاضر ولا مُشاهَد فلابدّ لهذا الضمير من شيء يفسّره ويوضّح المراد منه والأصل فيه أن يكون —في غير ضمير الشأن– متقدّما على الضمير مذكورا قبله ليبيّن معناه ويكشف المقصود منه فيجيء الضّمير مطابقا له وهذا الشيء المسفر يسمى "مرجع الضمير".[1]

والمعاني التي تحملها ضمائر الأشخاص لا تخرج بأن تدلّ على:

1. النوع: (التذكير، التأثيث)
2. العدد: (الأفراد، التثنية، الجمع)
3. الوضع: (التكلم، الخطاب، الغيبة)

وفي هذا يقول سيبويه(ت 180هـ) :"اعلم أن المضمر المرفوع، إذا حدّث عن نفسه فإن علامته أنا، وإن حدّث عن نفسه وعن آخر قال:نحن، وإن حدّث عن نفسه وعن آخرين قال: نحن، (...) وأما المضمر المخاطب فعلامته إن كان واحدا: أنت، وإن خاطبت اثنين فعلامتهما: أنتما، وإن خاطبت جمعا فعلامته: أنتم، (...) فأنا وأنت ونحن وأنتما وأنتم وأنتن (...) لايقع شيء منها في موضع من العلامات ممّا ذكرنا، ولا في موضع المضمر الذي لا علامة له، لأنهم استغنوا بهذا فأسقطوا ذلك".[2]

[1]– ينظر: عباس حسن: النحو الوافي ،ج1، ص :230، 231، 232.

[2]- ينظر:سيبويه،الكتاب،تحقيق و وشرح : محمد عبد السلام هارون،مطبعة الخانجي القاهرة، ط 3. 1988. ج3، ص :123.

ورغم تقرير هذه الأصول، إلا أن بعضها- من وجهة نظر الممارسة التداولية- لا تثبت في دلالتها على مرجع معيّن، بل يجد المُرسل أن دلالتها في الأصل لا تفي بالتعبير عن قصده، تماما كما يريد، لذلك يلجأ إلى التلاعب بهذا النظام وإخراج هذه الدوال عن مدلولاتها الأصل. فيحول بعض الأدوات الإشارية في السياق الاجتماعي مثل الضمائر من وظيفتها الدلالية للدّلالة على المرجع، إلى **وظيفتها التداولية** بانعكاسها **مؤشّرا على قصده،** وهذه معانٍ تُفهَم من سياق الخطاب إذ تعد مراعاتها — عند النحاة – شرطا من شروط الإفادة، وهذا ما يطلبه نظام اللغة لكن عندما يتعلق الأمر باستعمال اللغة وفق قصد المتكلم ومراعاتها للمقام الذي يمر به وضرورة إنتاجه لمقال يتواءم معه. فإن الأمر يختلف فنجد من ذلك مخاطبة الغائب بضمير المخاطب، وذلك باستحضار المخاطب بالتحديد الذهني لمخاطبته في أمر يهم المتكلم.

ومن ذلك أيضا اختلاف المواقف الاجتماعية بين المتكلّم والمخاطَب، فنجدهم يخاطبون المخاطب المفرد بخطاب الجماعة وذلك لشحن كلامهم بالاحترام.

وبالنسبة للغائب بمخاطبته بصفات التكريم. ك: جلالة الملك أو يقال: "جلالته"[1].

وهذا المخطط يوضّح لنا تنويع وتوزيع الضمائر حسب الطرح الذي قدّمه تمام حسان:

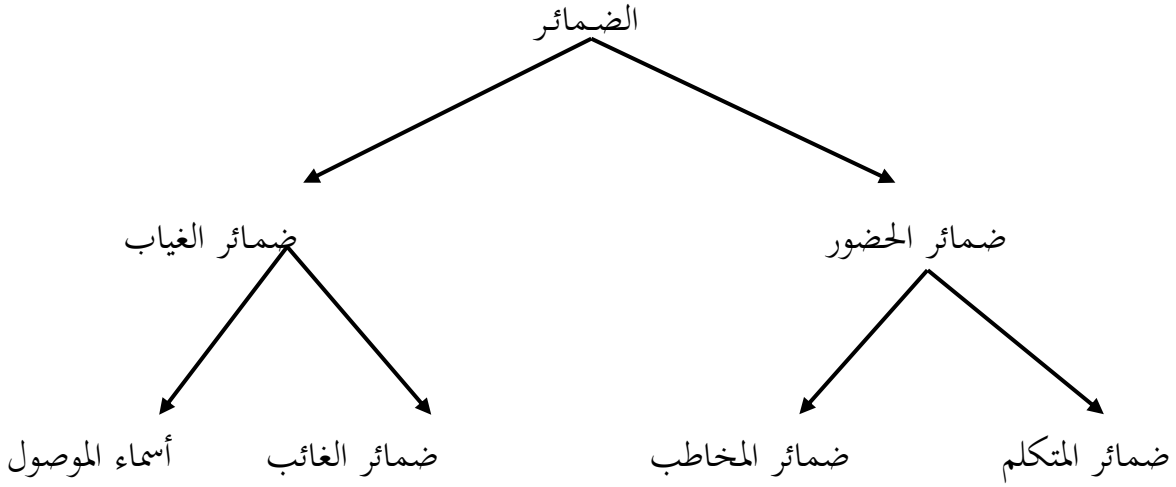

[1]- ينظر: تمام حسان- مكونات الضمائر في النص القرآن الكريم، ص: 226.

وقد عرض النحاة القدامى لتعريف الضمائر على أنها مُبهمات، فابن يعيش (ت 643هـ) مثلا يرى أنها سُميت بهذا الاسم: "لأنك تشير بها إلى كل ما بحضرتك، وقد يكون بحضرتك أشياء فتُلبَس على المخاطب ،فلم يدْرِ إلى أيهما تشير فكانت مبهمة لذلك، ولذلك لزمها البيان بالصفة عند الإلباس ومعنى الإشارة الإيماء إلى حاضر بجارحة، أو ما يقوم مقام الجارحة فيتعرف بذلك، فتعريف الاشارة أن تخصص للمخاطب شخصا يعرفه بحاسة البصر"[1]. فمدلول المبهمات إذن لا يتضح إلا من خلال التلفظ بالخطاب.

أمّا تمّام حسّان فيعدّ الضمير قسما مستقلا بذاته من أقسام الكلم، ويرى أنّ الضمائر:"لا تخلو في ذاتها من إبهام وغموض في دلالتها، لأن معنى الضمير وظيفي ؛ وهو الحاضر أو الغائب على إطلاقهما فلا يدل دلالة معجمية إلا بضميمة المرجع، وبواسطة هذا المرجع يمكن أن يدل على معين. وتقدم هذا المرجع لفظا ورتبة أو هما معا ضروري للوصول إلى هذه الدلالة".[2]

ويتّضح من خلال التعريفين السابقين نجد أن الضمائر لا تدل بنفسها، وأن معناها وظيفي يتعلق للسياق الذي ترد فيه، وعلى المتلقي أن يكشف المرجع الذي تحيل عليه الضمائر في الخطاب.

[1] - ينظر: ابن يعيش: شرح المفصل للزمخشري، قدم له ووضع حواشيه وفهارسه:اميل بديع يعقوب ،دار الكتب العلمية بيروت لبنان،ط1: 2001 ، ج3 ،ص :221 .

[2]– ينظر: تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، ص :110.

2- الإشاريات في شعر الأسر عند المعتمد بن عبّاد:

تعد الإشاريات أكثر الوحدات اللغوية التي تتطلب معلومات عن السياق ،ليَتيسّر فهمها.

وتنقسم إلى ثلاثة أنواع رئيسة، من خلال دلالة كل نوع على نوع معيّن من الإشاريات، وهي تعبّر عن (الأنا،الهنا،الآن) حيث " إذا أردنا أن نفهم مدلول هذه الوحدات إذا ما وردت في مقطع خطابي، استوجب منّا ذلك –على الأقل– معرفة هوية المتكلم والمتلقي و الإطار الزماني والمكاني للحدث اللغوي."[1] لأن الهدف هو:"فحص العلاقة بين المتكلم والمتلقي في مقام استعماليّ خاص بدرجة أكبر من تتبّع العلاقة المُمكنة بين جملة وأخرى، بصرف النظر عن واقع استعمالها".[2]ويمكننا أن نقسّمها إلى ثلاثة أنواع هي: الإشاريات الشخصية، الإشاريات المكانية، والإشاريات الزمانية.

وقد تنوّع استعمال الإشاريات في شعر الأسر عند المعتمد بن عبّاد؛ فنجد الإشاريات الشخصية التي استعملها للتعبير عن ذاته، وكيفية التعبير عن قصده من خلال المسافة التخاطبية التي يضبط بها علاقاته التخاطبية مع المخاطبين، أو مع ذوات كانت شريكة له في المقام التواصلي.

والإشاريات المكانية؛ التي تمثّلت في مختلف الأماكن التي عاش فيها، أو التي آل إليها، وإبراز موقفه منها. والإشاريات الزمانية؛ التي خصّت أحداثا مُشرقة من تاريخه وأخرى مُظلمة.

وفيما يأتي تفصيل كلّ نوع على حدة.

1-2-الإشاريات الشخصية:

يتنوّع استعمال الإشاريات الشخصيّة في شعر الأسر عند المعتمد بن عبّاد، فنجد حضور ضمائر الحضور وضمائر الغياب؛ لكنّ ضمائر الحضور تفوق في نسبة الاستعمال ضمائر الغياب،

[1] –ينظر:ج.ب . براون ، ج.يول: تحليل الخطاب ، ترجمة وتعليق : محمد لطفي الزليطني –منير التريكي،ص:35.

[2] – ينظر:المرجع نفسه ، ص:36.

ويمكن تفسير ذلك بأنّ الشاعر يعبّر عن ذاته، ويستحضر ذواتا يخاطبها، أكثر ممّا يتحدّث عن ذواتٍ غائبة.

ولأن تفسير استعمال ضمائر الحضور وجود صاحبها وقت الكلام فهو حاضر يتكلم بنفسه أو حاضر يكلمه غيره، فهي ضمائر حضور. واستغنت عن الصفات لأن الأحوال المقترنة بها قد تغني عن الصفات والأحوال المقترنة بها، حضور المتكلم والمخاطب والمشاهدة لهما، يقول ابن يعيش في شرح المفصّل:" فأعرَف المضمرات المتكلم لأنه لا يكلمك غيره، ثم المخاطب والمخاطب تلو المتكلم في الحضور والمشاهدة".[1] يركز على ترتيب الضمائر من حيث الحضور والغياب وأولوية ضمير المتكلم بوصفه الضمير الأول للحضور، ويليه ضمير المخاطب لأن المتكلم لابد له أن يكلم غيره، ويصنف ضمير الغائب على أنه ضمير غياب لا يشترط حضور صاحبه وقت الكلام.

2-1-1- ضمائر الحضور:

وهي ضمائر المتكلّم وضمائر المخاطَب، ولئن كان استعمالها متساويا، فذلك لأنّ الشاعر عبّر عن ذاته أكثر ممّا عبّر عن الآخرين، وأكثر ممّا استحضر ذواتا، لأنّ الشاعر يعبّر عن ذاته باستعمال ضمائر المتكلّم، ويعبّر عنها باستعمال ضمائر المخاطَب، من خلال تجريد ذات من نفسه ومخاطبتها، وبالتالي فهو لا يخاطب سوى نفسه.

1-1-1-2-ضمائر المتكلّم:

نجد استعمالها في حالات المفرد والجمع، وفي حالات الانفصال والاتّصال لتحمل وظائف نحوية كالفاعلية والمفعولية، لها تفسيرات تداولية تتعلّق بقصد الشاعر من إيرادها في الخطاب.

1-1-1-1-2-ضمير المتكلّم المفرد"أنا":

[1] -ينظر: ابن يعيش: شرح المفصل للزمخشري ، ج2، ص: 292.

وهو أكثر عنصر في القدرة على التعبير عن الذاتية في اللغة، وبالتالي التمكن من امتلاك ناصية الحديث، واكتساب السلطة بالخطاب من خلال مجرد التلفظ به.

فنجده يقول[1] : [من الكامل]

لـمّا تــماسكتِ الدّمـــــوع وتنبّـهَ القـــــلبُ الـصّـديع
قالوا: الخضــوع ســـــياسةٌ فَـلْيَبـدُ منـــكَ لـهُم خضـوع
وألذُّ مِن طــعمِ الخـــــضو ع على فـــمي الـسّمُّ النّقـيع
إن يســلُبِ القومُ العِـــــدا مُـلكي وتُســـلِمني الجُمـوع
فالــقـــلبُ بينَ ضُـــــلوعهِ لم تُـسلِمِ القـــلبَ الضُّلـوع
لــم أُستَـلبْ شَـــــرفَ الطّبا عِ أيُـسلَبُ الـــشَّرفُ الرّفيع
قـــد رُمـتُ يـــــومَ نِزالِهِـم ألاَّ تُـحـــصِّنني الـــدُّروع
وبـَرَزتُ لـيـــس سِوى القـمـيـ ص على الـــحشا شَيءٌ دَفوع
وَبذَلتُ نفـــسي كَيْ تـسـيلَ إذا يَـــسـيلُ بـــها النَّجيع
أَجَـــلي تَـأخَّرَ لـــم يـكُن بِـهوايَ ذُلّـي والـخُـضـوع
ما سِرتُ قَـــطُّ إلـــى القِتا لِ وكـــان مِن أمَلـــي الرُّجوع
شِيَمـــُ الأُلى أنـــا مِنـهمُ والأصـلُ تتـــبَعـــهُ الفُروع

في هذه القصيدة يستعمل مختلف الضمائر لكنّه يُغلِّب استعمال ضمير المتكلّم فيجعل هذا المتكلّم هو المحور في هذه القصيدة، ولعلّ ذلك يرجع إلى شدّة الهول الذي يعانيه، وهو يرى مُلكَه ينهار أمامه. يعبّر به عن رأيه في مَن نصحه بالخضوع والاستسلام، وضرورة مدافعته عن مُلكه، فيستعمل ضمير المتكلّم المتّصل الذي يؤدّي وظيفة الفاعليّة ؛في ملفوظات من قَبيل: **رُمتُ، بَذلتُ، بَرَزتُ**. واستعماله في وظيفة المفعولية في: **تُسلمُني** فهو يضع احتمال تمسّكه وحيدا بعَرشه وتخلّي الجموع عنه، وهو بهذا يرفض أن تُحصّنه الدّروع في قوله: **ألاّ تُحصّنني**. كما نجده يستعمل

[1] – ينظر: المعتمد بن عبّاد: الديوان، ص:90،89.

ضمير المتكلّم في حال ضمير للملكيّة: **مُلكي** فهو يؤكّد على حقّه، فهو يفتتح هذه القصيدة بوصف لحال تماسك الدّموع، وتنبّه القلب وكأنّه يستيقظ من الصّدمة. دعوة بالاستسلام والخضوع، فيُغيّب من قال هذا الرأي ليثبت أنّه مردود، وهو يقابل بين استعمال ضمير الغائب وضمير المُخاطَب، ويُغلق حلقة التواصل لأنّه حوار مُنتهٍ. ثمّ يشرع في إسناد الأفعال إلى ذاته.

ويعزّز التمسّك برأيه في إحالة مُطلَقة عامّة يُدركها الجميع مفادها أنّ القلب يستحيل أن تُسلِمَه الضلوع مادام مستقرّا بينها. إضافة إلى هذا يعضد ضمير المتكلم بضمائر الغياب من جهة وبالإطلاق من جهة أخرى، في قوله: **قالوا الخضوع سياسة**.

وفي قوله[1]: [من البسيط]

لَو أستـطيعُ على التزويدِ بالذَّهَـبِ فَعلتُ لـــكن عداني طـارقُ النُّوَبِ

يا ســائلَ الشِّعرِ يجْتابُ الفَلاةَ بهِ تزويدُكَ الشِّــعرَ لا يُغني عن السَّغَبِ

زادٌ مِـــن الرّيحِ لا رِيٌّ ولا شِـــبَعٌ غَـــــــدا لهُ مؤْثِرًا ذو اللُّبِّ والأدَبِ

أصبَحْتُ صِفرًا يَدِي مِـمّا تَجودُ بِهِ ما أعجَبَ الحادِثَ المَقدورَ في رَجَبِ

ذُلٌّ و فَقــرٌ أَزالا عِـــزَّةً وغِنـــى نُعمى اللّـيالي مِنَ البلـــوْى على كَثَبِ

قَد كانَ يستلـــبُ الجبارَ مهجَتهُ بَطـشي ويحيا قَـــتيلُ الفقرِ في طَلَبي

والـمُـــلْكُ يَحرُسُهُ في ظِلِّ واهِبِهِ غُـــلْبٌ مِنَ العُجْمِ أو شُمٌّ مِنَ العَرَبِ

فَحينَ شـــــاءَ الذي آتاهُ ينزِعُهُ لَـمْ يُجْدِ شيْئاً قِـــراعُ السُّمرِ و القُضُبِ

فَهاكَها قِطْعَةً يُطوى لـــها حسَدًا السّـــــــــيفُ أصدَقُ أنباءً من الكُتُب

[1] – ينظر: المصدر السابق، ص:92.

يستعمل ضمير المتكلّم مع الفعل لتعبّر عن الفاعليّة المُعطّلة، التي يعجز فيها الفاعل عن تنفيذ الفعل: **أستطيع، فعلْتُ، أصبحتُ صِفرا يدي ممّا تجودُ به.**

ويفتح المجال للمفعولية للتعبير عن واقعه: **عداني طارق النُّوَب.**

في حين أنّ استعماله مع الاسم: **بطشي ،طلبي،** يعني استذكار الماضي الذي كان يملك فيه السلطة والقوة.

وفي قوله [1]: [من الوافر]

دعا لي بالبقاءِ ، وكيف يـــــهوى أسيرٌ أن يـــــطول بـــــه البقـــاءُ
أَلَيْس الـــــــموتُ أرْوَحَ مِن حياةٍ يـــــطولُ على الشَّقِيّ بـــها الشَّقاءُ
فَمن يَكُ مِن هَـــــــواهُ لِقاءُ حِبٍّ فـــإنَّ هـــــــوايَ مِن حتفي اللِّقاءُ
أَأَرْغبُ أن أعـــــــيشَ أرى بنـاتي عَـوَاريَ ، قـــــــد أضرَّ بها الحَفاءُ
خوادِمَ بنـــــــتِ مَن قد كانَ أعلى مَـــــــــراتِبِهِ ـــ إذا أبدو ـــ النِّداءُ
وَطَـــردُ النّاسِ بـــين يَديْ مَمَـرّي وَكـــفُّهُمُ إذا غـــــــــصَّ الفِناءُ
وركـــــضٌ عن يـمينٍ أو شِـــمالٍ لِنظمِ الـــــــــجيشِ إن رُفِعَ اللِّواءُ
يُـعَـــــــنّيـهِ أمـــــامٌ أو وراءٌ إذا اختـلَّ الأمـامُ أو الـــــــــوَراءُ
ولكـــنَّ الـــدُّعاءَ إذا دعـــــاهُ ضـميرٌ خـــــــــالِصٌ نَفَعَ الدُّعاءُ
جُزيـــــتَ أبـا العلاءِ ، جزاءَ بَـــرٍّ نـــــــــوى بِرًّا ، وصاحبَكَ العَلاءُ
سيُسلي النَّفس عمَّن فاتَ علـــمي بـــــأنَّ الكُلَّ يُـــــــــدرِكُهُ الفَناءُ

يعبّر المعتمد عن نفسه بأوصاف: **أسير، الشقيّ.** التي تعبّر عن الثبات والدّوام.

ويستعمل ضمائر المتكلّم مع الفعل لا ليقوم بوظيفة الفاعلية، وإنّما لينفي رغبته في عيش حياة مِلؤها الذلّ والهوان.في: **أأرغبُ، أعيشُ.**

[1] – ينظر: المعتمد بن عبّاد: الديوان، ص:90.

وينسب إلى نفسه أسماء: **ممرّي**. دليلا على أنّه كان يحمل سلطة، عزّزت شعوره بأنّه مَلِك لكن سرعان ما تُسلَب منه وقت التلفّظ بالخطاب.

2-1-1-1-2- ضمير المتكلم للجمع:

الضمير"نحن"من أصناف تلك الإشاريات الشخصية للدلالة على المتكلم الحاضر، انطلاقا من أنه" يسمى ضمير المتكلم والمخاطب،:ضمير حضور، لأن صاحبه لابد أن يكون حاضرا وقت النطق به"[1]، ولذلك يعد استعمال المرسل للضمير نحن دليل على استحضار الطرف الآخر إن كان غائبا عن عينه.سواء من حيث دلالته على الجمع أو تعظيم المفرد. والضمير "نحن" يقوم بهذه الدلالة بنفسه، معتمدا على تكوينه ،وصيغته الخاصة به، (...) ومثالها: نحن في: نحن نسارع للخيرات فإنها لفظة واحدة في تكوينها، وصيغة مستقلة بنفسها، في أداء الغرض منها، وهو التكلم مع الدلالة على الجمع، أو على تعظيم المفرد، ولم يتصل آخرها اتصالا مباشرا بما يساعدها على ذلك الغرض"[2] .

ومن جهة أخرى يمكن استعمالها على نحو تداولي بوصفها دلالة على التضامن فيما وضعت له، وفي غير ما وضعت له، فهو من العلامات اللغوية التي يستعملها المرسل للتعبير عن قصده في التضامن مع المرسل إليه . ومن أهم الاستعمالات التداولية للضمير "نحن" عندما يجمع المرسل في خطابه بينه وبين المرسل إليه دلالة على التضامن بينهما. أي بين أنا وأنتم في البنية العميقة للخطاب. ففي قوله[3] : [من الرمل]

مَن عَزا الـــــــمجدَ إلَيْنا قد صدقْ لم يُلَم من قال ، مهما قال حَـــــقْ
مجدُنا الشّـــــــمسُ سناءً وسنـــًا مَنْ يَرُمْ سَـــتْرَ سَناها لم يُطِـــــــقْ
أيُّـــها النّـــاعي إلَيْنا مَـــــجدَنا هل يَضيرُ المَجْدَ أَنْ خَـــــطبٌ طَرَقْ
لا تُرَعْ للـــــدّمعِ مِن آمـــــاقنـا مَزَجَـــنْهُ بِـــــــدمٍ أيـــدي الحُـرَقْ

[1] – ينظر: عباس حسن: النحو الوافي ، ج1، ص:218.
[2] – ينظر: المرجع نفسه ، ج1، ص : 235.
[3] – ينظر: المعتمد بن عباد، الديوان، ص: 109.

حَنِقَ الدّهرُ علـــــــيْنا فسَـــــطا وكذا الــدّهرُ عـــــلى الحُــرِّ حَنِــقْ
وقديـــمًا كَلِفَ الـمُلكُ بـــــنـــا ورأى مِـــــــنّا شُـــموسًـا فَعـشِقْ
قـــد مـــــضى مِنّا مُلوكٌ شُـهِروا شُهرةَ الشَّمسِ تـــــجلّتْ في الأُفق
نـــحنُ أبـــــناءُ بني ماء السَّـما نحـوَنا تَطـــــــمحُ ألحـاظُ الحدَقْ
وإذا ما اجـــتمع الدّيـــــــنُ لنا فَحقيرٌ ما مـــــــــــن الدُّنيا افترقْ

وقد أحال في حالَي الانفصال، في قوله:"**نحن بني ماء السّماء**" والاتصال، في: **إلينا، مجدنا، آماقنا، علينا، بنا، منّا،نحونا، لنا.** إلى اللخميّين من ملوك الحيرة، وهو يحمل قيمة تداولية تتمثل في مبدأ المشاركة مع أشخاص غير موجودين في الواقع، لكن كل ما هو موجود مرتبط ببني ماء السّماء ومنهم المعتمد بن عبّاد. فقد مرّت عصور على حياة ملوك الحيرة، أمّا المعتمد بن عباد فيلغي المتلقي في زمانه الذي لايبدي معه أيّ نوع من التضامن في هذا النص ، إنّه الهروب من الواقع المليء باليأس، الذي سيجد له مسوّغا إذا ما أعلن مشاركته مع اللخميّين. فهو يعمل على استحضار أصله اللخميّ وإن كانوا غائبين عن عينه، وهو ما يعبّر عن قصد الشاعر من الخطاب.فاستعمال الضمير المتصل للجمع أضاف من خلاله تحديدات تقرّب هويّته من المتلقّي؛ ومن هذه التحديدات انتسابه إلى بني ماء السّماء من ملوك لخم. حيث إنّ ذكر الأنساب بالعلامة الخاصّة وهي **اسم العَلَم**، لها بُعد دلالي وتداولي في السياق الذي وردت فيه، وهو في هذه الحالة لا يتعلّق باسم شخص واحد، وإنّما جُملة من الـمُلوك استمرّ مُلكهم في الحيرة نحو ستّة قرون من الزمن. **نحن، مجدنا، منّا ملوك، نحن بني ماء السّماء.**

وقوله[1] [من الطويل]:

لك الحمدُ من بعد السيوف كُبولُ بساقيّ منها في السجونِ حجولُ
وكُنّا إذا حانت لِنَحرٍ فـــــريضةٌ وَنـــادتْ بأوقاتِ الصّلاةِ طُبولُ
شَهِدنـــا فكَبّرنـــا فظلَّتْ سُيوفُنا تُصلّي بِهـــاماتِ الـــعِدا فَتُطيلُ
سُجودٌ على إثر الرُّكـــوعِ مُتابَعٌ هُناكَ بـــــأرواحِ الكُماةِ تَسيلُ

[1] – ينظر: المصدر السابق، ص: 111.

يبتدئ استعماله بإيراد ضمير المتكلّم المفرد المتّصل بالاسم في: **ساقَيَّ**. ثمّ ينتقل من ذكر المفرد إلى ذكر الجمع: **كُنّا، شهِدنا، كبّرنا**. التي تدلّ على الفاعليّة. وقوله: **سيوفنا**. الدالّة على الملكيّة؛ وهذا الاستعمال يعكس قوّة الانتماء إلى الدّولة التي كانت أقوى دويلات الطوائف، وحقّقت التوسّع على حساب جيرانها.

وفي قوله:[1] [من الرمل]

قُلْ لِمن جمعَ العلمَ وما أحصى صوابه

كانَ في الصرّة شِــعرٌ فـتنظّرنا جوابـه

قد أثبْنــاكَ فهلاّ جلَبَ الشّعرُ ثوابَــه

كان لبداية أسره صورة واضحة للتعبير بأنّه مازال يشعر بأنّه مَلِك، وهذا يتّضح من خلال استعماله لِـ: **تنظّرنا، أثبناكَ**. وهو يختار أن يأخذ الضمير دور الفاعليّة في حالة الاتّصال. وهذا يُثبت قيامه بأفعال: الانتظار والثواب. وهنا تحديدا يتجلّى تعظيم الذّات. وهو من الوظائف التداولية التي يأخذها الضمير"**نحن**".

2-1-1-2- ضمائر المخاطب:

لقد استعمل المعتمد ضمائر المخاطَب بتنوّع، في حال المفرد والجمع:

2-1-1-2-1- ضمير المخاطَب المفرد:

لا يقف استعمال الضمير "أنت" في السياق عند الإحالة على المرجع فقط، بل يتجاوز ذلك ليصبح دليلا على غرض تداولي؛وهو المشاركة بين الأطراف في الخطاب ، من خلال كون المخاطب مفترضا، أو الكتابة لمخاطب حتى وإن كان مفترضا. وهذا ما يوصف بـ(أنت) التعاونية، وعليه فإنه:" يتوفر للمرسل عند التفاعل ثلاثة نماذج من الاستعمال، أنت التعاونية أو المتبادلة،

[1] – ينظر: المعتمد بن عباد: الديوان،ص: 111.

أنتم التعاونية أو المتبادلة، أو الاستعمال المختلف؛ فيشير استعمال أنت إلى أن المشاركين في الخطاب يعتبرون أنفسهم ذوي علاقة حميمة من الناحية الاجتماعية، ويمكن تعريف العلاقة الحميمة بأنها التعابير عن: القيم المشتركة، والقرابة، والجنس، والجنسية، والموقع الوظيفي، وتكرار التواصل".[1]

وهذا الضمير يحيل في شعر الأسر عند المعتمد بن عبّاد إلى أشخاص محدّدين: الأوّل هو يوسف بن تاشفين، والثاني هو المعتمد نفسُه. وذلك أنّ المعتمد يجرّد من نفسه ذاتا يحاورها. وتفصيل ذلك فيما يأتي:

فهو يحيل حينا على مخاطَب محدّد هو **يوسف بن تاشفين**، إذ يتذكّر بلاءه في معركة الزلاّقة.فيمدحه، في قوله[2] [من المتقارب]:

وَيَوْمَ الـــــعُروبَةِ ذُدتَ العِـدَا نَـــصرْتَ الـــهُدى، وأبَيْتَ الفِرارَا
ثَبَتَّ هُـنـــاكَ ، وإنَّ القُـــــلـــو بَ بين الـــــضُّلوعِ لَـــتأْبى القَرارا
ولَـوْلاكَ يا يـــوسُفُ الـمُتَّـــقَى رأيْنا الـــــجزيرَةَ للـــــكُفرِ دارا
رَأَيْـنا السُّيـــوفَ ضُـحى كالنُّجو مِ، وكالـلّيْلِ ذاكَ الـــــغُبار الـمُثارا
فللَّـــــهِ دَرُّكَ فـي هَـــــولِهِ لـــــقد زاد بأسُـــــكَ فيه اشتِهَارا
تَـــــزيدُ اجتـزاءً إذا ما الرِّمـــا حُ عـــــندَ التّنـــاجُزِ زِدنَ اشتِجارا
كأنَّـــكَ تـــحسبـها نَرجِـــسًا تُـــديرُ الـدّماءَ عليْـها عُقـــــارَا
تُريـك الرّمـــــاحُ الـقَدود انثنَاءً وتـــــجلو الصّفاحُ الخدودَ احمرارا
إذا نـــــارَ حربـــــكَ ضَرَّمْتَهَا حَـــــسبنا الأســـــنَّةَ فيها شَرارا
سَتلْـقى فِـــعالكَ يومَ الحسـا بِ تَنَثَّـــرُ بالـــــمِسك منك انتثارا
وللـــــشُّهـــــداءِ ثـــناءٌ عليْكَ بِحُـــــسنِ مُقامِـــــكَ ذاكَ النَّهارا
وأنَّهـــــم بـــــك يَستبـــشِرو نَ ألاّ تـــــخافَ وألاَّ تُضـــــارا

[1] – ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص: 288.

[2] – ينظر: المعتمد بن عبّاد: الديوان، ص: 98.

ويتجلّى مبدأ المدح من خلال وظيفة الفاعلية التي يسندها المعتمد بن عبّاد إلى يوسف بن تاشفين. نحو: **ذُدتَ، نَصَرتَ، أبَيْتَ، ثبتَّ**. فكلّها أفعال ماضية منتهية في الزمان، تدلّ على شجاعة الممدوح، والذي يكرّس للمدح هو استعمال الاسم الصريح ليوسف بن تاشفين، وما يحمله من تحديد لأفعال الشخصية وتأكيد نسبة الأفعال لها، ويذكر حسن بلائه أثناء المعركة، والأجر الذي ينتظره عند الله سبحانه وتعالى يوم القيامة.

لكنّ الدارسين يَرَونَ أنّ هذه القصيدة تحديدا ما هي إلاّ مدح للذّات من خلال مدح الآخر، فالمعتمد كان يقصد الفخر بشجاعته في معركة الزلاقة، فالأندلسيون اهتموا بالتأريخ لوقائعهم، ومدح بلاء ملوكهم فيها.

إضافة إلى أنّه لا يوجد سبب مُقنع لمدح المعتمد بن عبّاد ليوسف بن تاشفين، وهو الذي أذلّه وأَسَرَه وسلب منه مُلكه، وإن كان هذا المدح يشمل فترة تميّزت بالوفاق بين القائدَيْن، وهي ذلك التحالف الذي كان في وجه العدوّ القشتاليّ.لكن الأدعى أن تكون هذه القصيدة فخرا شخصيا.

إضافة إلى ما يورده المقري في النفح و إميليو جارثيا جوميث :"كان يوسف بن تاشفين لا يكاد يعرف العربية: حدث عندما جاز إلى الأندلس جوازه الأول مُعينا لأمراء الطوائف أن أنشده نفر من الشعراء شيئا من شعرهم، فقا له المعتمد: أيعلم أمير المسلمين ما قالوه؟ قال: لا أعلم، ولكنهم يطلبون الخبز".[1]

فيوسف لم يكن يهتمّ بالشعر ولا يفهمه. بسبب أصله الأمازيغي، وبسبب انشغاله بالجهاد، والروح العملية التي يحملها بين جوانحه.

والحالة الثانية التي يستعمل فيها ضمير المخاطَب المفرد، هي في مخاطبة نفسه، في مثل قوله:[من الطويل]:[2]

أنباءُ أسرِكَ قد طبَّـــــــــقن آفاقا بل قد عَمَمْنَ جِهاتِ الأرضِ إقلاقا

سَرَتْ مِنَ الغَربِ لا يُطوى لها قَدَمُ حتّى أَتَتْ شَـــــــرقها تَنعاكَ إشراقا

[1] – ينظر: المقري: نفح الطيب، ج4، ص: 181.إميليو جارثيا جوميث: الشعر الأندلسي، ص: 42.41.. وينظر: المقري: النفح ج4، ص: 370. وينظر: إحسان عباس: تاريخ الأدب الأندلسي، ص: 63.

[2] – ينظر: المعتمد بن عبّاد، الديوان، ص: 110.

فـــأحْرَقَ الفجْـعُ أكبـادًا وأفئـــدةً وأغـرَقَ الدّمعُ آمـاقا وأحداقـــــا
قد ضاقَ صدرُ المعالي إذْ نُعيتَ لها وقيـــــلَ: إنَّ عليْكَ القيدَ قد ضاقا
أنَّ غُلِبتُ ، وكُـنتُ الدَّهرَ ذا غَلَبٍ للـغالبين ، وللـسُّبَّـاقِ سَـبَّاقـــــا
قُلتُ: الخُطوبُ أذلَّتــني طوارِقُــها وكـــان عزميَ لـــلأعـداءِ طرَّاقـــا
متى رأيتَ صُـــروفَ الدَّهــرِ تاركـةً إذا انبرت لذوي الأخـــــطارِ أرماقا

فالمعتمد يفترض ذاتا تحاوره، هذا الحوار الداخلي الذي يقدّم صورة وافية عن هول الصّدمة التي حلّت به؛ ليعبّر بها عن تجربة المعاناة من الأسر وسوء المعاملة.

فما يدلّ منها على المخاطب: **أنباء أسركَ، تنعاكَ**.وما يدلّ منه على المتكلّم: **أنّ غُلِبتُ، قلتُ: الخطوب أذلّتني طوارقها**. فالشاعر بدل أن يبثّ شكواه للمخاطَبين في العالم الخارجيّ يجد أنّ من الأولى بثّ شكواه لنفسه، وهذا يعبّر عن العزلة وخصوصية التجربة. إذ أنّه مهما شكا للمخاطبين الواقعيّين لن يرجع عليه ذلك بشيء. لكن عندما يحدّث نفسه، فهو أدرى بوضعه وأقدر على مساندة ذاته.

والحالة الثالثة هي في أن يجرّد من نفسه ذاتا تتحدّث عن هذا الأسير، من غير إقامة حوار، مثل القصيدة التي أنشدها عندما دخل عليه بناته السجن في يوم عيد، وكنّ يغزلن للناس بالأجرة في أغمات، فرآهنَّ في أطمار رثّة، وحالة سيّئة، فصدّعن قلبه وأنشد[1]:[من البسيط]

فيما مضى كُنتَ بالأعيادِ مســـرُورا فساءَكَ الـــعيدُ في أَغماتَ مأْسُوراَ
تَـرى بناتِـــــكَ في الأَطمارِ جائِعةً يَغـــزِلنَ للنَّاسِ ، لا يَملِكنَ قِطميراَ
بَـــرزْنَ نَحوَكَ للـــتّسليمِ خـاشـــعةً أَبـصـــارُهُـنَّ حَســـيراتٍ مكاسِيرَا
يَطَأْنَ في الطـــيِّنِ ، والأقدامُ حافِيةٌ كأنَّـها لم تَـطأْ مِـسكًا وكـافـــورَا
لا خَدَّ إلاَّ ويشـــكو الجدْبَ ظاهِرُهُ وليْـسَ إلاَّ مـــع الأنـــفاسِ مَـمْطورَا
أفطرْتَ في العيدِ لا عادتْ إساءَتُـــهُ فكـــانَ فِـــطرُكَ لـــلأكبادِ تـــفطيرا

[1]- ينظر: المصدر السابق، ص: 110.

قــد كــان دهرُكَ إن تــأمرهُ مــمتثِلا فــــردَّكَ الــدّهرُ منــهِيًّا ومــأمــورَا
مَن بــاتَ بعدَكَ في مُــلكٍ يُسرُّ بــه فإنّما بـــــــات بالأحلام مغرورا

تقوم هذه القصيدة على الوصف، فهو يسرد أفعال هذا الأسير؛ في: **كنتَ، ساءكَ، ترى، نحوكَ، أفطرتَ، ردّكَ**.. يساندها بسر أفعال بناته. ويورد ضمير المخاطب متّصلا بالاسم في: **فطرك، دهرك**. التي تدلّ على انقلاب الحال.

إضافة إلى مخاطبته لذوات؛ **قبر الغريب، غربان أغمات، قيدي،** ممّا يدلّ على العزلة والوحدة، فهو يحسّ بأنّه فَقَد التواصل مع العالم الخارجي، فلم يعُد يعني له شيئا، فآثَرَ أن يُخاطب من يُدرك أساسًا بأنّه لن يُجيبه.

2-2-1-1-2- ضمير المخاطَب للجمع:

إنّ أهمّ ما يميّز استعمال الضمير أنتم هو التحديد؛ فهو يقصد مخاطَبه وبالتالي يصبح هذا المخاطَب المرجع للضمير أنتم في هذا الخطاب، ذلك لأنّه موجّه من الذات الشاعرة **لأهل فاس،** الموجودون بالفعل في واقعه، ويبقى مستوى العلاقة معهم، هذا المستوى غير المهمّ بالنسبة للمعتمد، فهو لا يحتفي بوجودهم ولا بالعفو عنهم بقدر ما يتّخذ هذا مدخلا للتعبير عن حاله، وهذا هو أصل العلاقة التي تربطه بهم. في قوله[1]: [من البسيط]

أمَا لانسكاب الدّمعِ في الخدِّ راحةٌ لقَد آنَ أنْ يفنى ويفنى بهِ الخــدُّ
هَبُوا دَعـوةً يا آلَ فاسٍ لِــمُبتـــــلًى بما مِنهُ قد عافاكُم الصَّمَدُ الفَردُ
تَخلَّصتُمُ من سجن أغماتَ والْتوَتْ عَلَيَّ قُيــودٌ لــم يَحِـنْ فَكُّها بَعدُ
مـن الدُّهمِ ، أمّـا خَلقُــها فــأساوِدُ تَلَوّى، وأمّا الأَيدُ والبطشُ فالأُسدُ
فهُنّئْتُــمُ النُّعمى، ودامـت لِـكُلّكم سعادتهُ إن كان قـــد خانني سعْدُ
خَـــرَجْتُم جَماعاتٍ، وخُلِّفتُ واحِدًا ولله فـــــي أمري وأمرِكـم الحمد

[1] – ينظر:المعتمد بن عباد: الديوان، ص: 94.95.

إنّ استعمالات الضمير أنتم في :**تخلّصتم، خرجتم**. تتّخذ وظيفة الفاعلية التي يُجري المعتمد مقابلة لها مع أفعالا دالّة عليه: **التوت عليّ، خُلّفتُ**. فهو يقارن بين قدرتهم على التخلّص والخروج، وعجزه المتمثّل في التواء القيود عليه، وأن خُلِّفَ وحيدا دونهم.

3-1-1-2- ضمائر الغياب:

في النص الشعري القديم لا يحتل الغموض مساحة كبيرة لأنه نص يفتح المجال للتلميح واللامباشرة – ماعدا الإلغاز والمعمّيات- ، فهو يحمل المتلقي على إمكانية تأويل المعنى، الذي لا يكون مستغلقا من البداية وهذا نتيجة لما وضعه البلاغيون من شروط للعملية التواصلية، التي يعد الابتعاد عن تعقيد الكلام أحدها رغم أن هناك فرقا بين الغموض وتعقيد الكلام. التي يُقصَد فيها إخفاء المعنى بالتلاعب الدلالي، من خلال بعض مباحث علم الدلالة .

وصاحب ضمير الغائب غير معروف لأنه غير حاضر ولا مشاهد فلابد لهذا الضمير من شيء يفسره وبوضح المراد منه والأصل فيه أن يكون –في غير ضمير الشأن- متقدما على الضمير مذكورا قبله ليبين معناه ويكشف المقصود منه، فيجيء الضمير مطابقا له وهذا الشيء المسفر يسمى "مرجع الضمير".

2-1-1-3-1- ضمير الغائب للمفرد:

وخصوصية استعمال المعتمد بن عباد للغائب المفرد تجلّت في استعمال الاسم الموصول، الذي يعدّ من العلامات التي تدلّ على الغياب.و يجب التيقظ لوجود صلة الموصول إذ هي التي تعمل الدلالة التي يشير إليها الاسم الموصول لأن الدلالة تتحدد بعناصرها فمن شروطها «أن تكون معلومة للمخاطب في اعتقاد المتكلم قبل ذكر الموصول، لأنّ القصد من الصلة تعريف الموصول بما يعلمه المخاطَب من حاله ليَصحَّ الإخبار عنه »[1].الذي يعد أهمها. ويرى السكاكي أن:" اسم

[1]- ينظر: عبد السلام محمد هارون: الأساليب الإنشائية في النحو العربي، دار الجيل بيروت، ط2، 1979، ص :30.

الموصول يستخدم في الكلام متى صح إحضاره في ذهن السامع بواسطة ذكر جملة معلومة الانتساب إلى مشار إليه"[1].

وقد فطن عبد القاهر الجرجاني مبكرا للفوائد الدلالية والبلاغية المتحققة من استعمال اسم الموصول في النص الشعري يقول: "وليس شيء أغلب على هذا الضرب الموهوم من الذي فإنه يجيء كثيرا على أنك تقدر شيئا في وهمك ثم تعبر عنه بالذي. ومثال ذلك قوله:

أخوك الذي إن تَدْعُه لمُلِمَّةٍ يُجِبك وإن تغضب إلى السيف يغضب

فأنت قدّرت إنسانا هذه صفته، وهذا شأنه وأحلت السامع على من يعني في الوهم، دون أن يكون قد عرف رجلا بهذه الصفة فأعلمته أن المستحق لاسم الأخوة هو ذلك الذي عرفه"[2].

وإذا كان البلاغيون العرب ركّزوا فيما سبق على الاسم الموصول الذي، فإنّنا سنركّز على استعمال "**مَن**" اسم الموصول وتبيّن استعمالات الإحالة فيها.

ففي قوله[3]:[من الكامل]

قُبِّحَ الدهرُ فماذا صنَعَا كُلّما أعْطى نَفيسًا مَنَعَا
قدْ هوى ظُلمًا بِمَن عاداتُهُ أنْ يُنادي كلَّ مَنْ يهوى "لَعَا"[4]
مَنْ إذا الغيثُ هَمى مُنهمِرًا أَخْجَلَتْهُ كَفُّهُ فانقَطَعا
مَن غمامُ الجودِ مِن راحتِهِ عَصَفَت ريحٌ بِهِ فانقشَعَا
مَن إذا قيلَ الخَنا[5] صَمَّ وإنْ نَطقَ العافونَ[6] هَمْسًا سَمِعَا
قُل لِمَن يطْمعُ في نائلِهِ قَد أَزالَ اليأسُ ذاكَ الطَّمَعَا

[1] – ينظر: السكاكي: مفتاح العلوم، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان، ط1. 2000. ص: 418.

[2] – ينظر: عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، وعلق عليه: محمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، د.ط. د.ت ص: 143.

[3] – ينظر: المعتمد بن عباد: الديوان، ص: 108

[4] – "لعا": صوت معناه الدعاء للعاثر بأن يرتفع من عثرته. ينظر: مجموعة من الباحثين، المعجم الوسيط، ص: 829

[5] – " الخنا": خنا فلان، أي: أفحش في منطقه. ينظر: المعجم الوسيط، ص: 260. .

[6] – " العافون": طالبوا المعروف.ينظر: المعجم الوسيط، ص: 612.

راحَ لا يَملِـــــكُ إلاّ دعْـــــوةً جَـــــبَرَ الله العُفـــــاةَ الـــــضُّيَّعا

في هذه القصيدة يركّز على صفة الجود. وقد قيلت في سياق الاستقبال غير المتوقّع الذي استقبله به شعراء المغرب وطنجة. والكلام موجّه لمن يطمع في جوده في الوقت الحاليّ، فيصف الشاعر هذا الأسير، بالحديث عن أفعاله، فهذه الأفعال كفيلة بالإخبار عن صاحبها والدّلالة عليه. في:

- **أكثر جودًا من الغيث إذا انهمر.**
- **يحمل في كفّه غمام الجود.**
- **يسمع العافين ويجيبهم.**

كلّ هذه الصفات تدلّ على المعتمد. وتعمل على تعريف الموصول (المعتمد بن عبّاد) بما يعلمه المخاطَب عنه من الأخبار.

2-3-1-1-2- ضمير الغائب للجمع:

استدعاه للتعبير عن التغييب الذي يقصد المعتمد تطبيقه على أشخاص بعينهم، والتعريض بأعمالهم الفظيعة التي تشي بسوء المعاملة. ونجده فيما يأتي:

ففي القصيدة التي قالها عندما منعته حوّاء بنت تاشفين من خباء عارية.

في قوله[1][من البسيط] :

هُم أوقـــــدوا بَيْن جَنبَيكَ نارا أطـــــالوا بها في حَشـــــاكَ استعارا
أمَا يُخجِلُ المجـدَ أن يُرحِلـو كَ ولم يُصـــحِبوكَ خِباءً مُعارا
قـــنّعوا المجدَ إن كـــــان ذا كَ – وحاشاهم– منكَ خِزيا وَعـارا
يَـــقِلُّ لِعينيك أن يجعلـــــــو سَوادَ العيون عليـــــــكُم شِعارا
تُـــراهُم نسوا حين جزت القفارَ حنينا إليـهم وخُضـــــتَ البِحارا
بـــعهدٍ لـــزومٍ لسُبـــل الوفا إذا حـــادَ من حـــادَ عنها وجارا

[1] – ينظر: المعتمد بن عبّاد، الديوان، ص: 97.

وَ قلبـــي نَـــزوعٌ إلى يوسفٍ فَلـــوْلا الضـــلوعُ عليه لَطـــارا

يبتدئ القصيدة باستعمال ضمير الشأن"**هم**"؛ الذي – وإن كان الغرض منه التفخيم والتعظيم- فإنّه يمكن أن يعبّر عن عكس هذا المفهوم تمامًا؛فيعبّر عن التحقير، والتعريض. وضمير الشأن؛ كما يعرّفه ابن يعيش بقوله :" اعلم أنهم إذا أرادوا جملة من الجمل الاسمية أو الفعلية، فقد يقدمون بها ضميرا يكون كناية عن تلك الجملة، وتكون الجملة خبرا عن ذلك الضمير وتفسيرا له (...) ولا يفعلون ذلك إلا في مواضع التفخيم والتعظيم. وذلك قولك :"هو زيد قائم " ف:"هو " ضمير لم يتقدمه ظاهر إنما هو ضمير الشأن والحديث، وفسره ما بعده من الخبر وهو : "زيد قائم" ولم تأت في هذه الجملة بعائد على المبتدأ، لأنها هو في المعنى، ولذلك كانت مفسرة له، ويسميه الكوفيون الضمير المجهول لأنه لم يتقدمه ما يعود إليه."[1]وهو من أهم المعاني العدولية الأسلوبية للضمائر.[2].

وقد سمى ضمير الشأن بهذا الاسم لأنه يرمز للشأن، أي: للحال المراد الكلام عنها، والتي سيدور الحديث فيها بعده مباشرة، ويقول عبد القاهر الجرجاني في ذلك:"ليس إعلامك الشيء بغتة مثل إعلامك له بعد التنبيه عليه والتقدمة له، لأن ذلك يجري مجرى تكرير الإعلام، في التأكيد والإحكام، ومن ههنا قالوا: إن الشيء إذا أُضمِر ثم فُسِّر كان ذلك أفخم له من أن يذكر من غير تقدّم إضمار".[3] وتسمية ضمير الشأن أشهر تسمياته، كما يسمى: "ضمير القصّة"، لأنه يشير إلى القصة "أي: المسألة التي سيتناولها الكلام" ويسمى أيضا: ضمير الأمر، وضمير الحديث، لأنه يرمز إلى الأمر العام الذي يجيء بعده، والذي هو موضوع الكلام والحديث.

ويقول عباس حسن: "العرب الفصحاء – ومن يحاكيهم اليوم- إذا أرادوا أن يذكروا جملة اسمية، أو فعلية، تشتمل على معنى هام، أو غرض فخم، يستحق توجبه الأسماع والنفوس إليه-لم يذكروها مباشرة، خالية مما يدل على تلك الأهمية والمكانة، وإنما يقدمون لها بضمير يسبقها، ليكون الضمير– بما فيه من إبهام يتمثل في تعدد المرجع، وبخاصة إذا لم يسبقه مرجعه مثيرا للتطلع

[1] - ينظر: ابن يعيش : شرح المفصل للزمخشري ،ج3. ص: 335،336.

[2] – ينظر: عباس حسن: النحو الوافي،ج1. ص: 238.

[3] – ينظر : عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز في علم المعاني، ص:102.

إلى ما يزيل إبهامه، باعثا للرغبة فيما يبسط تركيزه فتجيء الجملة بعده، والنفس متشوقة لها، مقبلة عليها، في حرص ورغبةّ. فتقديم الضمير ليس إلا تمهيدا لهذه الجملة الهامة. لكنه يتضمن معناها تماما، ومدلوله هو مدلولها، فهو بمثابة رمز لها، ولمحة أو إشارة موجهة إليها.[1]

فالشاعر وإن بدأ بضمير الشأن، فذلك يعكس غايات تداولية هامّة، لأنّ كلّ الأفعال التالية منسوبه لمرجع هذا الضمير الذي يُعرَف من خلال استغلال الخطاب الموازي الـمُرفق مع النص.

هم : أوقدوا بين جنبيك نار،أطالوا بها في حشاكَ استعارا، يُرحلوك، يُصحبوك، نَسوا .

كلّ هذه صفات سلبية ألحقها بالمرابطين، فعرّفهم بأفعالهم، ولم يورد غير ذكر قائدهم يوسف بن تاشفين؛ ولاستعمال العَلَم دوره في الخطاب.

وفي قوله[2]: [من الكامل]

شُعـراءُ طـــنجةَ كُلُّهم والمـغربِ ذَهَبوا من الإغراب أبـــعدَ مذهبِ
سألوا الـــعسير من الأسير وإنّـه بســـؤالهم لأحقُّ منـــهم فاعجَبِ
لـولا الـــحياءُ وعـــــزّةٌ لخمية طيَّ الحشا لَحَكاهُـم في المطلبِ
قد كانَ إن سُئِلَ الندى يُجزِل وإنْ نادى الصّـــريخُ ببابه اركب يركَبِ

إنّ هذا التعريض الواضح بشعراء طنجة وتعميم الـحُكم على كلّ شعراء المغرب، تمّ بناؤه بداية بذكر الشعراء، ليعرف المتلقّي في أيّ زمان، أعمال هؤلاء الشعراء، وهي:

-**ذهبوا من الإغراب أغرب مذهب**: وذلك بتهافتهم على المعتمد وطلب المال منه، وهو أسير.

- **سألوا العسير من الأسير**: ففي حال الأسر يعدّ المال من بين أصعب المتطلّبات، وهذا الذي لم يُراعِه هؤلاء الشعراء.

[1] -ينظر: عباس حسن: النحو الوافي ،ج1. ص: 238.

[2] - ينظر: المعتمد بن عبّاد: الديوان، ص: 92.91.

2-2- الإشاريات المكانية:

وهي عناصر إشارية تدل على أماكن يعتمد استعمالها وتفسيرها على معرفة مكان المتكلم وقت التكلم،أو على مكان آخر معروف للسامع أو المخاطَب، ويكون لتحديد المكان أثر في اختيار العناصر التي تشير إليه قربا أو بعدا أو جهة.

ويستحيل على الناطقين باللغة أن يستعملوا أو يفسروا كلمات مثل: هذا، ذاك، هنا، ونحوها. إلا إذا وقفوا على ما تشير إليه بالقياس إلى مركز الإشارة إلى المكان، فهي تعتمد على السياق المادي المباشر.

وأكثر الإشاريات المكانية وضوحا هي أسماء الإشارة نحو: ذا، وذاك للإشارة إلى قريب أو بعيد من مركز الإشارة المكانية وهو المتكلم، وكذلك هنا وهناك وهما من ظروف المكان التي تحمل معنى الإشارة إلى قريب أو بعيد من المتكلم ،وسائر ظروف المكان مثل: فوق، تحت، أمام، خلف ...إلخ كلها عناصر إشارية لا يتحدد معناها إلا بمعرفة موقع المتكلم واتجاهه.[1] ولا يمكن للمتكلم أن يتخلّى عن المكان عند تلفّظه بالخطاب، وهذا ما يعطي الإشاريات المكانية مشروعية إسهامها في الخطاب، فنجد أنها تختص" بتحديد المواقع بالانتساب إلى نقاط مرجعية في الحدث الكلامي، وتقاس أهمية التحديد المكاني بشكل عام انطلاقا من الحقيقة القائلة بأن هناك طريقتين رئيستين للإشارة إلى الأشياء هما: إمّا بالتسمية أو الوصف من جهة أولى، أو بتحديد أماكنها من جهة أخرى."[2]

وعند الحديث عن المكان في الشعر، نجد اهتمام الشعراء والرؤية العربية بالمكان على أنه طلل، يمثل في عين الشاعر منظرا جديدا، وفي نفسه إحساسا متميزا، فيتحول المكان من دلالته الجغرافية إلى أطلال شخصية لا يمكن فهمها والوعي بأهميتها إلا بالعودة إلى السياق الذى وردت فيه، والمتمثل في حياة الشاعر وما اعتراها من ظروف، فرضت أهميتها في استعمال الدلالة السياقية للمكان، لتوضيح مقصود الكاتب.

[1]-ينظر: محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص: 54.

[2] -ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري : استراتيجيات الخطاب، ص :84.

وعند العودة إلى مدوّنة الدّراسة نجد أنّ الشاعر احتفى بذكر أسماء الأماكن ووصفها. ولا نجد غير أثر بسيط لاستعمال العناصر الإشاريّة الأخرى كأسماء الإشارة مثلا. وهذا ما يدفعنا إلى الاتّجاه نحو استغلال البحوث في المكان، عموما عند المنظّرين له في الدراسات السردية مثل غاستون باشلار، أو المطبّقين له في الشعر مثل حبيب مونسي.

وسنعتمد على تقسيم المكان إلى مكان أليف ومكان مُعادٍ، لأنّها تناسب المدوّنة.

فالمكان يرتبط بمفهوم الحرية؛ لأنّ الإنسان يصبو إلى حرّية الحركة، والمكانُ من بين معيقاته.

إذ :"يمكن القول إن الانسان والمكان – من هذا المنحى- تظهر بوصفها علاقة جدلية بين المكان والحرية. وتصبح الحرية في هذا المعنى مجموعة الأفعال التي يستطيع الانسان أن يقوم بها. دون أن يصطدم بحواجز أو عقبات أو أيّ بقوة ناتجة عن الوسط الخارجي لا يقدر على قهرها او تجاوزها."[1]

وليس من المبالغة القول أنّ علاقة الانسان بالمكان هي علاقة معقّدة تنطوي على جوانب شتّى: "فهناك أماكن جاذبة تساعدنا على الاستقرار وأماكن طاردة تلفظنا. فالإنسان لا يحتاج فقط مساحة فيزيقية جغرافية يعيش فيها ولكنّه يصبو إلى رقعة يضرب فيها بجذوره وتتأصّل فيها هويته"[2]. فإذا كانت البيئة يمكن أن ترفض الإنسان أو تحتويه من جهة ،"فإنّ الإنسان طبقا لحاجته ينتعش في بعض الأماكن ويذبل في بعضها وقد تكون نفس الأماكن جاذبة أو طاردة.[3]

ويخضع اكتمال الرؤية الشعرية للأمكنة للحال الشعورية التي تكتنف الشاعر تجاه المكان .فيحيلها إلى مجموعة أبيات تقدّم تصورا دقيقا لحاله تلك. والمكان – بالمعنى الفيزيقي- أكثر التصاقا بحياة البشر من حيث إن خبرة الانسان بالمكان وإدراكه له يختلفان عن خبرته وإدراكه للزمان ,فبينما يُدرك الزمان إدراكا غير مباشر من خلال فعله بالأشياء فإنّ المكان يُدرك إدراكا حسّيا مباشرا.[4]

[1] – ينظر: يوري لوتمان: مشكلة المكان الفنّي، ضمن: جماعة من الباحثين: جماليات المكان، عيون المقالات، دار قرطبة، الدار البيضاء، ط2. 1988.ص: 62.

[2] – ينظر: المرجع نفسه، ص:63.

[3] – ينظر : المرجع نفسه: ص: نفسها.

[4] – ينظر: المرجع نفسه ، ص: 79.

وقد اختلفت مواقف الشاعر تجاه المكان وهذا الاختلاف ما هو إلا نتيجة رؤية الشاعر للمكان وطبيعة العلاقة بين كلّ منهما. ويمكن أن تكون رؤية ايجابية تتمثل بالأُلفة، وقد تكون سلبيّة متمثلة بالعدائية أو العيش في حال غربة تجاه مكان ما. وكلٌّ من هذه الاماكن محدّد لنا بشكل يوضّح موقف الشاعر تجاه المكان.[1]

1-2-2- المكان الأليف(المُحبّب):

يعرّفه غاستون باشلار بأنّه:"مكان المعيشة المقترن بالدفء والحماية والحنان، ويمنح هذا المكان الحلم والتذكر والسعادة".[2] حيث تتمظهر الأُلفة في أماكن مثل البيت عموما .كالبيت الذي يولد فيه الإنسان. على أن التعبير عن الأُلفة يقتضي البساطة والتعبير عمّن عاشوا معنا في ذلك البيت لأنّ: "البيت الذي ولدنا فيه بيت مأهول" يمكن أن يشكّل كلّ ركن فيه ذكرى سعيدة وحلما جميلا.[3] والشاعر يرى أنّ المكان الأليف بالنسبة إليه هو قصوره ومجالسه، وبساتينه.

وقوله[4]:[من البسيط]

بكى المُبـــارَكُ في إثرِ ابنِ عبّادِ بَكى عـــــلى إثْرِ غِـــزلانٍ وآسادِ
بَكَتْ ثُريّاهُ لا غُـمَّتْ كـــواكبُها بَكى عـــــلى إثْرِ غِـــزلانٍ وآسادِ
بَكى الــوحيدُ بكى الزّاهي وقُبّتُهُ والنَّـــهرُ والتَّــاجُ كُــلٌّ ذُلُّهُ بــادي
ماءُ الــسّماءِ على أبْنـــائِهِ دِرَرُ يا لُـــجّةَ البـحرِ دومي ذاتَ إزبادِ

فَقد" تذكّر منازله فشاقته، وتصوّر بهجتها فراقَته، وتخيّل استيحاش أوطانه، وإجهاش قصره إلى قُطّانه، وإظلام جوّه من أقماره، وخلوّه من حُرّاسه وسُمّاره".[5]فالمكان المفقود بالنسبة للمعتمد بن عباد ليس مجرد سطح جغرافي كان يحكمه، وإنما هو مكان يحوي عمر الشاعر وحياته بكل ما فيها من شعر ومجالس وأدب، ومن لهو وطرب، ومن حبّ وصداقات ومغامرات.وقد مني بطامّة كبرى

[1] – ينظر: محمد عبيد صالح السبهاني: المكان في الشعر الأندلسي من الفتح حتّى سقوط الخلافة، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط1. 2007. ص: 105.

[2] – ينظر: غاستون باشلار: جماليات المكان،تر: غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط2، 1984.ص: 40.39.38.

[3] – ينظر: المرجع نفسه، ص: 43.

[4] – ينظر: المعتمد بن عباد، الديوان، ص:95.

[5] – ينظر: المقّري: نفح الطيب، ج 4، ص: 274.

هي فقد اشبيلية: وطبيعي لشاعر مثله أن يبكي إمارته ودولته وما كان فيه من عز وسلطان وأُبّهة وحياة مرفّهة، واسمه ملء الآذان في الاندلس, والشعراء يغدون عليه ويروحون بفرائد من أمداحهم . وهو يسبغ عليهم عطايا , وهو يسيغ عليهم عطايا كأنها سحب غَدقة مُنهلّة، وكلّ ذلك امّحى وزال، وكأنه كان حلما واستيقظ منه على اليأس والبؤس.[1]

ففي صورة انقلابية نجد المعتمد بن عباد يُبكي الأمكنة عليه، فيترك لها التعبير عن مشاعرها في ظل فقدانها راعيها مما يبرز ارتباط الشاعر الكبير بالمكان . إنه بكاء للأمكنة التي عاش فيها من مثل قصوره: **المبارك وثُريّاه والوحيد والزاهي وقُبّته** ،كما بكى **النّهر والتاج** عليه. الكل يبكيه بعد أن شعروا بالذل والهوان من بعده. وهو الذي طالما أشعرها بالعزّة والكرامة.

ويصف لنا المقّري صاحب النفح قصره الزّاهي:" وكان القصر الزاهي من بين أجمل المواضع لديه وأبهاها، وأحبّها إليه وأشهاها، لإطلاله على النّهر، وإشرافه على القصر، وجماله في العيون، واشتماله بالزهر والزيتون، وكان له به من الطّرب، والعيش المزري بحلاوة الضّرب، مالم يكن يجلب لبني حمدان، ولا لسيف بن ذي يزن في رأس غُمدان، وكان كثيرا ما يُدير به راحَه، ويجعل فيه انشراحه، فلمّا امتدّ الزمان إليه بعُدوانه، وسدَّ عيه باب سُلوانه، لم يحنّ إلاّ إليه، ولم يتمنّ غير الحُلول لديه".[2]

والشاعر حينما يعدد الأمكنة لا يقصد من وراء ذلك تقريرا مجرّدا لأحداث تاريخية، أو ليعلمنا بامتلاكه لها، ولكن لما كان لهذه المواضع من خصوصية عنده، ولأنّه شعر بفقدها حقًّا. أراد أن يعبّر عنها في دائرته الشعرية؛ وليظهر مدى التصاقه بها جعلها هي التي تبكي عليه وتحنّ إليه. وهذا يشير إلى قسرية الفقد والرغبة العارمة في العودة اليها، إذ شهدت تلك المواضع بأماكنها وأنهارها وقصورها عزّه وعزّ ملكه، فكأنّه يستصرخها ويستنطقها لتبكي زوال ملكه.

[1] – ينظر: شوقي ضيف: عصر الدول والإمارات الأندلس، دار المعارف، د.ط، 1989. ص: 340.

[2] – ينظر: المقّري: نفح الطيب، ج 4، ص: 275

وقوله[1]: [من الطويل]

تُؤَمِّلُ النّفسُ الشجِيَّةُ فَرجَـــــةً وَتأبى الخُطوبُ السّودُ إلاّ تَمادِيا
لَياليكَ مِنْ زاهيكَ أصْفى صَحبتَها كَذا صَحِبَتْ قَبْلُ المُلوكُ اللَّيالِيا
نَعيمٌ وبُـــؤسٌ ذا لذلـــكَ ناسِخٌ وَبَعــدَهُما نَسخُ المَنايا الأَمــانِيا

في هذه القصيدة ينسج الشاعر خيوط الأمل للعودة إلى الفرح في كنَف الوطن. لكن الخطوب تأبى عليه ذلك. وهربا منها فضّل تذكّر قصره **الزاهي** .فيلجأ الى عقد مقارنة بين زمنين متناقضين في حكايتين متناقضتين ,وحالين متناقضين :(**النعيم /البؤس**) (**الزّاهي/السجن**)

(المنايا /الأماني)

وقوله[2]: [من الكامل]

غَـنَّـتْـكَ أغْماتِـــيَّةُ الألحانِ ثَـقُلَتْ على الأرواحِ والأبْـــدان
قد كان كالثعبانِ رُمْحُكَ في الوغى فغَدا عليك الــرُّمحُ كـالثُّـــعبانِ
مُتَمَدِّداً بِحِذاكَ كُـــلَّ تَـمَدُّدٍ مُــتَـعطِّـــفاً لا رَحمــةً للـــعاني
قلبي إلـــى الرّحمن يشــكو بثَّهُ ما خـاب مَن يشكو إلى الرّحــمـن
يا سائلا عن شـــــأنِه ومكانه ما كــان أغْــنى شــأنَهُ عن شـــاني
هاتيـــك قينتُهُ وذلـــك قَصـرُه مِــن بـــــعد أيّ مقاصِرٍ وقِيــان
مِـــــن بعدِ كُـــلِّ غريرةٍ رومِيَّةٍ تحكي الحمائِمَ في ذُرى الأغــصان

إنّه يستخدم لغة الرثاء ليصوّر مأساته بفقدان ملكه، ووطنه وإن كان في الأصل يرجو منقلَبه، إلّا أنه يقع فريسة للمكان .وهو **القصر** وما يحتويه من **قيان** . وهو يقابل بين القصر . المكان المرغوب وبين أغمات المكان المعادي، منسوبا إليه في : **أغماتية الألحان.**

[1] – ينظر: المعتمد بن عباد: الديوان، ص: 115.

[2] – ينظر: المصدر نفسه، ص: نفسها.

أضافة إلى القبر؛ الذي جعل منه مكانًا أليفا، لأنّه لم يجد المفرّ ممّا هو فيه، واقتربت نهايته، فعبّر عن يأسه، وهنّأ ذلك القبر بدفينه.

ولـمّا أحسّ بدنوّ وفاته رثى نفسه بهذه الأبيات ووصّى أن تُكتب على قبره[1]:[من البسيط]

قَــبرَ الغريبِ سقاك الـــرّائحُ الغادي حـــــقًّا ظَــفِرتَ بأشــلاءِ ابن عبّادِ
بالحِلـمِ، بالعلــمِ ، بالنُّعمى إذا اتَّصلت بالخِصبِ إن أجدبوا، بالرِيِّ للصّادي
بالطّاعن ، الضّارب ، الرّامي إذا اقْتتلوا بالـــموتِ أحمرَ ، بالضّرغامةِ العادي
بـــالدّهرِ في نَقَمٍ ، بـــــالبحرِ في نَعَمٍ بالبَــدرِ في ظُلَمٍ ، بالصّدر في النّادي
نعـم ، هو الـحقُّ وافـاني بهِ قَـــــدَرٌ مِنَ السّـماءِ ، فوافـــــاني لميـــعادِ
ولَـــمْ أَكُنْ قبل ذاكَ النَّعشِ أعـــلَمُهُ أنَّ الجِـــبالَ تَهــادى فَــوقَ أعوادِ
كَفَاكَ ، فــارفُقْ بما استُودِعتَ مِن كَرَمٍ رَوّاكَ كُـــــلُّ قَــطوبِ البــرقِ رعّادِ
يبــكي أخاهُ الـــذي غيَّـــبتَ وابِـلَهُ تحت الصّــفيحِ ، بدمــعٍ رائحٍ غادي
حتّـــى يَـــجودَكَ دمعُ الطّلِّ مُنــهَمِرا مِـــن أعيُـــنِ الزُّهرِ لـم تبخَل بإسْعادِ
ولا تَزَل صـــــلواتُ اللهِ دائـمـــــةً عـــــــلى دفينك لا تُحصى بتعداد

بقيت ذكرى المعتمد بن عباد خالدة في أغمات، من خلال القصيدة التي أوصى أن تُكتَبَ على قبره.

ويعبّر عن نفسه بـ: **الغريب**، وذلك لأنّه بالفعل غريب عن وطنه ومُلكه. ومن النادر أنّه نودي في جنازته " الصلاة على الغريب " . بعد عظم سلطانه، وسعة أوطانه، وعِظَم أمره وشانه.[2]

ثمّ يوضّح نَسَب الغريب صاحب القبر، وهو **ابن عبّاد**، ونجده يعرّف نفسه بنسبته لبني عبّاد، ويرمي من ذلك إلى أنّ كلّ مارٍّ بالقبر لابدّ وأن يتذكّر محنة المعتمد، ونكبته، وأسره.ثمّ يعزّز الغريب ابن عبّاد بالصفات التي هو أهل لها: **الحلم، العلم، النعمى، الخِصبأ الرّي،الطاعن، الضارب، الرامي، الضرغامة، الدهر، البحر، البدر، الصدر.**

[1] – ينظر: المعتمد بن عبّاد: الديوان، ص:96.

[2] – ينظر: المراكشي: المعجب، ص:205.207.208.

2-2-2- المكان المعادي (المرفوض):

هو المكان الذي أُجبرنا على العيش فيه ولا نشعر تجاهه بأي أُلفة. بل الشعور نحوه بالعِداء والكراهية [1].و لعل من أبرز هذه الأماكن السجون والمعتقلات.

إذ يتحدد موقف السجن الخاص، مادام الزمن الذي يجري فيه لا يسلك مجرى الزمن الخارجي فللسّجن زمنه الخاص، الذي يتخلّل الذات المسجونة ويطبعها بحركته شبه الراكدة.

والتي من شأنها تبليد الإحساس وقتل المبادرة وإنماء الثورة. بيد أنّ هذا الزمن الدائري يتيح شيئا من الانفراج والانفتاح، فيفتح صدره للتأمّل والمراجعة . وبذلك ينتفي وجوده المادي ليسكن جزيرة تقع على مسافة مابين الواقع واللاواقع.[2]

فالسجن يشمل موقفا متباطئا تغمره الذكرى، وتعود فيه المواقف السالفة لتأخذ نصيبها من التروي والدرس. فالسجن مكان لا يمتّ ظاهريا بصلة للمواقف التي سلفت، وإنما العلاقة هنا علاقة إطلالة واستشراف[3]

والسجن إن تحقق مكانيا موقفا للقهر والحجر، فإنّه زمنيا تعطيل لسيرورة الحياة. يعبّر عنها الإقصاء المكاني والزماني، إذ لا وجود للسجن في المكان العام المشترك ولا الزمان العام.[4]

والمكان المعادي؛ هو المكان الذي ارتبط بالوحشة والعزلة والأسر والانتقال من حال جيدة إلى أسوأ حال، وتتصدّر أغمات الأماكن المعادية لدى المعتمد كيف لا وهي التي خطّ فيها نهايته، والتي شهدت على ذلّه بعد عِزّه الذي كان، كما يشير إلى أماكن أخرى معادية ارتبط ذكرها بالسياق التاريخي الشخصي لحياة المعتمد بن عباد وهي كما يأتي:

[1] – ينظر: محمد عبيد صالح السبهاني: المكان في الشعر الأندلسي، ص: 120.

[2] – ينظر: حبيب مونسي: فلسفة المكان في الشعر العربي قراءة موضوعاتية جمالية، من منشورات اتحاد الكتّاب العرب، دمشق، 2001. ص: 97.

[3] – ينظر: المرجع نفسه، ص: نفسها.

[4] – ينظر: المرجع نفسه، ص: نفسها.

أغمات: خلّد أسر المعتمد ذكر أغمات؛ وهي:"ناحية في بلاد البربر من أرض المغرب، قرب مراكش، وبينهما ثلاثة فراسخ[1]. وهي مدينتان متقابلتان كثيرة الخير (...) وليس بالمغرب فيما زعموا، بلد أجمعُ لأصناف من الخيرات ولا أكثر ناحية ولا أوفر حظّا منها". وقد ذكرها المعتمد في أسريّاته أربع مرّات فكانت بذلك المكان الأكثر ذكرا، وقد قدّم لها أوصافا معيّنة عكست نظرته إليها.

فنجد نظرته حينا نظرة عامة، فيربط ذكرها بذكر الأسر من غير تفصيل؛ في قوله: [من البسيط]

فيما مضى كنتَ بالأعياد مسرورا فَساءكَ العيدُ في أغماتَ مأسورا

فهو يراها سجنا في قوله: [من الطويل]

تخلّصتم من سجن أغمات والتوت عليّ قيـــود لم يَحِن فكُّها بعدُ

فهو يربط ذكرها بذكر القيود، وانعدام العدل في إخراج من عاثوا فسادا من فاس وإبقائه هو في الأسر.

وينسب إليها أصوات القيود، ويشبّهها بالألحان الثقيلة على الأرواح والأبدان: [من الكامل]

غنّتكَ أغماتيّة الألـــــــــحان ثقُلـــت على الأرواح والأبدان

ويراها مكانا موحشا تنعب فيه الغربان؛ التي لا تعيش إلاّ في الأماكن غير المأهولة والبعيدة عن الناس والسكّان: [من البسيط]

غربانَ أغماتَ لا تعـــــدمْنَ طَيّبةً من اللّيـــــالي وأفنانًا من الشّجرِ

في حين أنّها مكان يتّسم بالجمال الطبيعي، إلاّ أنّ المعتمد أضفى رؤيته على المكان، فجعله مكانًا مُعاديًا لأنّ الإنسان بطبعه يصبو إلى الحرّية وبالتالي يعادي كلّ مكان يسلبه إياها.

المغرب،طنجة: لم ينظر المعتمد إلى المكان في حديثه عن المغرب؛ " وهي بلاد واسعة (...) و وعثاء شاسعة، قال بعضهم: حدّها من مدينة مليانة، وهي آخر حدود إفريقية إلى آخر جبال السوس التي وراءها البحر المحيط ، وتدخل في جزيرة الأندلس إلى الشمال"[2]، وطنجة؛ وإنّما استعملهما للنّسب إليهما، وذلك لارتباط ذكرهما بمجموعة الشعراء الذين ترصّدوا طريق المعتمد

[1] – ينظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، د.ط. 1977.مج1، ص:225.

[2] – ينظر: المرجع نفسه ، مج 5، ص: 161.

ليجود عليهم بالعطايا، وذلك بعد أن سمعوا صلته التي بعث بها إلى الشاعر المغربي الحُصري[1]. في قوله[2]: [من الكامل]

شُعـراءُ طـــنجةَ كُلُّهـم والمـغربِ ذَهَبوا من الإغراب أبـــعدَ مذهبِ
سألوا الـــعسير من الأسير وإنّـه بســـؤالهم لأحقُّ منـــهم فاعجَبِ
لـولا الـــحياءُ وعـــــزّةٌ لخمية طيَّ الحشا لَحكاهُـم في المطلبِ
قد كانَ إن سُئِلَ الندى يُجزِل وإنْ نادى الصّـــريخُ ببابه اركب يركَبِ

أماكن أخرى عبّر المعتمد عن عدائه لها، بالرغم من أنها كانت محبّبة، وتنتمي إلى دولته أيّام عزّه. غير أنّه نظر إليها بعد الأسر نظرة عبّرت عن تجربة معاناته في ثكل الأبناء؛ وهذه الأماكن تظهر في قوله: [3]:[من الطويل]

بَنِيَّ ، صغيرٌ، أو خليلٌ مُوافِقٌ يُـمـزّقُ ذا قَفْرٌ، ويُغرِقُ ذا بحرُ
ونَجمانِ، زَيْنٌ للزَّمانِ، احتواهما بقُرطُبةَ النَّكداءِ، أو رُنْدَةَ، القبرُ

قرطبة: "مدينة عظيمة بالأندلس وسط بلادها، وكانت سريرا لـمُلكها وقصبتها، وبها كانت ملوك بني أميّة"[4] التي لم يدّخر المعتمد أو غيره من ملوك الأندلس جهدا في جعلها في حوزته، وذلك لارتباط ذكرها بمقتل ابنه المأمون الذي ولاّه عليها، وقبلها ابنه الظافر الذي قتله ابن عكاشة؛ فقد حاول الاستيلاء عليها وانتزاعها من بني جهور سنة 461هـ، وفشل في السيطرة عليها، وعاد للاستحواذ عليها في 471هـ. وقد بذل المعتمد وقبله أبوه المعتضد كبير الجهد والدّهاء للاستيلاء عليها، إضافة إلى أنّ قرطبة عاصمة الدولة الأموية، وأكبر حاضرة من حواضر الأندلس، فأصبحت النكداء.

[1] – الحُصْري: هو أبو الحسن علي بن عبد الغني الضرير. وهو غير أبي إسحاق الحصري صاحب زهر الآداب، ولكنه ابن خالته.
ينظر: المراكشي: المعجب، ص: 205.
[2] – ينظر: المعتمد بن عبّاد: الديوان، ص: 92.91.
[3] – ينظر: المصدر نفسه، ص:69.68.
[4] – ينظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، مج 4، ص: 324.

رُندة:" بضمّ أوّله وسكون ثانيه، معقل حصين بالأندلس، من أعمال تاكرنا، وهي مدينة قديمة، وهي بين إشبيلية ومالقة"[1] التي قُتل بها الراضي وكان آمرا عليها بإذن أبيه، فأصبحت القبر.

إن الإشاريات المكانية ترتبط بالسياق الوجودي للشاعر ومعرفة إحالتها، لا تتأتّى إلا بمعرفة الخلفية التاريخية التي أدّت إلى تلك الصورة.

3-2- الإشاريات الزمانية:

هي كلمات تدل على زمان يحدده السياق بالقياس إلى زمان التكلم،فزمان التكلم هو مركز الإشارة الزمانية في الكلام، فإذا لم يعرف زمان التكلم أو مركز الإشارة الزمانية التبس الأمر على السامع أو القارئ.

على أن الإحالة إلى الزمان، لها علاقة وطيدة بالسياق الذي ترد فيه، في حالة اتساع دلالة بعض العناصر الإشارية في التعبير عن الزمان،فمثلا :"يتجاوز مدلول كلمة اليوم في عبارة بنات اليوم دلالة هذا العنصر الإشاري إلى الزمن الكوني الذي يتحدد بأربع وعشرين ساعة إلى أن يشمل العصر الذي نعيش فيه، فهذه الدلالة الإضافية موكولة إلى السياق الذي ترد فيه هذه العناصر الإشارية"[2]. وتجدر الإشارة إلى أن المقياس الشعوري يختلف في صميمه عن المقياس الزماني ، الذي يعتمد في القياس على الأشهر والأسابيع والأيام والساعات ، لأن الفترات الزمنية الموضوعية قد تنكمش في شعور الإنسان أو تتمدد وتبدو طويلة، وذلك تبعا لمجرى الشعور وسرعة ذلك المجرى، حيث لا وجود للحياة الإنسانية دون الانفعال والشعور الدائم بالذات، فالإنسان يعيش في قبضة مشقّة نفسية دائمة، فهو بين توقّع من المستقبل ،ومعاناة من الحاضر، واستنادا على ميراثه النفسي والاجتماعي من الماضي".[3]

ومما ينبغي اللفت إليه هو أن العناصر الإشارية قد تكون دالة على الزمن الكوني الذي يفترض سلفا تقسيمه إلى فصول، وسنوات وأشهر وأيام وساعات... وقد تكون دالة على الزمن النحوي

[1] – ينظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، مج 3، ص: 73.

2 – ينظر: محمود أحمد نحلة ، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ص: 52.

[3] - ينظر: محمد عبد الواحد حجازي: الأطلال في الشعر العربي –دراسة جمالية،دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط1. 2002 . ص :16.

الذي ينقسم بدوره إلى ماض وحاضر ومستقبل، إذ يمكن أن يتطابق الزمن الكوني والزمن النحوي، وقد يختلف الزمن النحوي عن الزمن الكوني فتستخدم صيغة الحال (الحاضر) للدلالة على الماضي، وصيغة الماضي للدلالة على الاستقبال، فيحدث لبس للقارئ لا يحله إلا المعرفة بسياق الكلام ومرجع الإشارة، وما يمكن الخروج به من خلال النظر إلى واقع الاستعمال اللغوي- سواء العادي أو الأدبي-هو أنه في أكثر الأحيان لا يوجد تطابق بين الزمن النحوي والزمن الكوني.[1]، فلحظة التلفظ هي المرجع ولهذا "يجب أن نربط الزمن بالفعل ربطا قويا في مرحلة أولى، ونربط، كذلك، بين الزمن والفاعل، لأهميته الكبرى، في مرحلة ثانية" ومن أجل تحديد مرجع الأدوات الإشارية الزمانية، وتأويل الخطاب تأويلا صحيحا، يلزم المرسل إليه أن يدرك لحظة التلفظ، فيتخذها مرجعا يحيل عليه، و يؤوّل مكوّنات التلفظ اللغوية ،بناء على معرفتها".[2]

وترتبط الإشاريات الزمانية من خلال لحظة التكلّم حيث تتحدّد مواقعها عبر مقولة البَعد والقَبل[3] .

وتحدّدها **أوركيوني** تبعا لأزمنتها كما في الجدول الآتي:[4]

	الإشاريات	الإشاريات المتعلقة بالمقام
التزامن	حاليا	في هاته اللحظة- حينئذ
القبلية	أمس- في اليوم السابق	البارحة- الأسبوع الفارط
البعدية	غدا- السنة القادمة	بعد غد — السنة المقبلة
	مستقبلا	بعد قليل
المحايد	اليوم، هذا الصباح	في يوم آخر

فالإشاريات التزامنية يقترن استعمالها ودلالتها بالوقت الحاضر

والإشاريات القبلية:هي التي تعبّر عن الزمن الماضي المنقضي.

[1]- ينظر: محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر،ص:53.

[1] - ينظر: المرجع نفسه،ص نفسها.

2 – ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص :83،84.

[3] – ينظر: ذهبية حمو الحاج: لسانيات التلفظ وتداوليات الخطاب، دار الأمل تيزي وزو ، د.ط. د.ت.ص: 165.

[4] – ينظر: ك. أوركيوني: فعل القول من الذاتية في اللغة، تر: محمد نظيف، افريقيا الشرق، د.ط. 2007.ص:71.

الإشاريات البعدية: تعبّر عن الزمن المستقبل.
الإشاريات الحيادية: هي الإشاريات التي لا تدلّ على زمن محدّد.

وصادف أن دخل عليه بناته السجن في يوم عيد، وكنّ يغزلن للناس بالأجرة في أغمات، فرآهنَّ في أطمار رثّة، وحالة سيّئة، فصدّعن قلبه وأنشد[1]:[من البسيط]

فيما مضى كُنتَ بالأعيادِ مسـرُورا فساءَكَ العيدُ في أَغماتَ مأْسُوراَ
تَرى بناتِكَ في الأَطمارِ جائِعةً يَغزِلنَ للنَّاسِ ، لا يَملِكنَ قِطميراَ
بَرزْنَ نَحوَكَ للتّسليمِ خاشعةً أَبصارُهُنَّ حَسيراتٍ مكاسِيرَا
يَطَأْنَ في الطِّينِ ، والأقدامُ حافِيةٌ كأنَّها لم تَطأْ مِسكًا وكافورَا
لا خَدَّ إلاَّ ويشكو الجدْبَ ظاهِرُهُ وليْسَ إلاَّ مع الأنفاسِ مَمْطورَا
أفطرْتَ في العيدِ لا عادتْ إساءَتُهُ فكانَ فِطرُكَ للأكبادِ تفطيرا
قد كان دهرُكَ إن تأمرهُ ممتثِلا فردَّكَ الدّهرُ منهِيًّا ومأمورَا
مَن باتَ بعدَكَ في مُلكٍ يُسرُّ بهِ فإنّما باتَ بالأحلام مغرورا

نلاحظ من خلال هذه القصيدة، حضور إشاريات زمانية واضحة تمثّلت في: **العيد، كأن لم تطأ مسكا وكافورا.**

ففي البيت الأوّل يقارن بين الأعياد في فترة مُلكه، وبأنّها أعياد قليلة معدودة، على صيغة جمع القلّة، فبالرغم من أنّه حكم عشرين سنة، إلاّ أنّه بسبب تلك المعاناة في أغمات أحسّ أنّها أعياد قليلة، ويقارنها مع مرور العيد في أغمات في أسْره، وهو لا يخرج عن تجربته بل ينكبُّ عليها، فقد اختار موقف العيد، الذي سُمِّي عيدا "لأنه يعود كلّ سنة بفرح مجدّد"[2]،أمّا عند الشّاعر فإنّ العيد ساءه، إذ رأى رأى بناته، فحزَّ في نفسه الحال التي صرنَ إليها.باستعمال قرائن زمنية تدلّ على الزمن الحاضر: **ترى، يغزلنَ، لايملكنَ، يطأنَ** ، وهو دليل على وجود تزامنية مع زمن التكلّم، فهو يصف بناته يوم العيد الذي قال فيه القصيدة، واستعماله للفعل: **برزنَ**. في صيغة الماضي ، إنّما جاء لداعي السّرد والتعبير عن تعاقب الأحداث، لينتقل بهذا الفعل من رؤيته لبناته ثمّ قدومه

[1] – ينظر: المعتمد بن عبّاد: الديوان، ص: 101.
[2] – ينظر: ابن منظور: لسان العرب، مج: 11، ص: 215.

إليهنّ للتسليم وهنّ **خاشعة أبصارهنّ حسيرات مكاسير**. ويرتدُّ من واقعه الأليم إلى ذكرياته وماضيه، فيتذكّر في شطر واحد " **يوم الطين**" ، في قوله: **كأنّها لم تطأ مسكا وكافورا**. حيث:" رأت الناس يمشون في الطين، فاشتهت المشي في الطين، فأَمَر المعتمد، فسُحقت أشياء من الطيب، وذُرَّت في ساحة القصر حتّى عمّته، ثمّ نُصبت الغرابيل، وصُبّ فيها ماء الورد على أخلاط الطيب، وعُجنت بالأيدي حتّى عادت كالطين، وخاضتها مع جواريها. وغاضَبها في اعض الأيّام، فأقسمت أنّها لم ترَ منه خيرا قطّ، فقال: ولا يوم الطين؟ فاستحْيت واعتذرت"[1].

فيصبح التعبير قبليّا أي التعبير عن الماضي الذي يقع قبل زمن التكلّم، ثمّ لا يلبث أن يعود إلى الحاضر، لكنّه يغلق دائرة الاهتمام به على زوجه اعتماد وبناته. من خلال القرينتين: **الأنفاس، الأكباد**. وهذا يحصر المعاناة والهمّ في آل عبّاد لا غيرهم.

في هذه القصيدة نلاحظ غلبة الأفعال المصرّفة في الزمن الحاضر الذي يُعبِّر عن لحظة التكلّم، ويُستغلُّ في الوصف. والأفعال الماضية جاءت لداعي السّرد.

كما نلاحظ أنّ الإشارة إلى يوم الطين لا يمكن أن يصل إليها القارئ، إلاّ إذا كان على اطّلاع على السيرة الذاتية للشاعر وتفاصيل الأحداث التي ميّزت حياته قبل الأسر.

وفي قصيدة أخرى، يذكر فيها **يوم العروبة**.

في قوله[2] [من المتقارب]:

وَيَوْمَ الـــــعُروبَةِ ذُدتَ العِـدَا نَـــصرْتَ الــهُدى، وأبَيْتَ الفِرارَا
ثَبَتَّ هُـنــاكَ ، وإنَّ القُـــلــو بَ بين الــــضُّلوعِ لَــتأْبى القَرارا
ولَـوْلاكَ يا يـــوسُفُ الـمُتَّــقَى رأيْنا الــــجزيرَةَ للــــكُفرِ دارا
رَأَيْـنا السُّيــوفَ ضُـحى كالنُّجو مِ، وكالــلّيْلِ ذاكَ الــغُبار الــمُثارا
فللَّــــهِ دَرُّكَ فـي هَــــولِهِ لــــقد زاد بأسُــــكَ فيه اشتِهَارا
تَــــزيدُ اجتـزاءً إذا ما الرِّمــا حُ عــــندَ التّنــاجُزِ زِدنَ اشتِجارا
كأنَّـكَ تــحسبــها نَرجِــسًا تُــديرُ الـدّماءَ عليْـها عُقــارَا
تُريــك الرّمــــاحُ الـقَدود انثنَاءً وتــــجلو الصّفاحُ الخدودَ احمرارا

[1] – ينظر: المقّري: نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، ج4 ، ص: 273.

[2] – ينظر: المعتمد بن عبّاد: الديوان، ص: 98.

إذا نـــــارَ حربـــــكَ ضَرَّمْتَها حَـــــسبنا الأســـــنَّةَ فيها شَرارا
سَتلْقى فِـــعالكَ يومَ الحـسا بِ تَنَثَّـــرُ بالـــــمِسك منك انتثارا
وللـــشُّهـــــداءِ ثـــناءٌ عليْكَ بِحُـــــسنِ مُقامِـــــكَ ذاكَ النَّهارا
وأنَّهـــــم بـــــك يَستبـــشِرو نَ ألاّ تـــــخافَ وألاَّ تُضـــــارا

و**يوم العروبة** هو يوم الجمعة، يوم **وقعة الزلاّقة** في 12 رجب 479هـ. التي كانت بين المسلمين في الأندلس من جهة، وبين الأدفونش من جهة ثانية، وكانت الدائرة فيها على الأذفونش.

والزلاقة هي أرض في بلاد الأندلس[1]. من بلد بَطَلْيَوْس[2]، وقبلها انتقل المعتمد بن عبّاد إلى العدوة مستصرخا بعد أن اتفقت كلمة أمراء الطوائف على الاستنجاد بإخوانهم أصحاب اللثام، ، فعبر البحر إلى مراكش،فاستجاب يوسف بن تاشفين لندائهم، وعبر بحر الزقاق إلى الأندلس في جيش لجب، وسارت قوى الإسلام تحت راية يوسف والمعتمد إلى قتال ألفونسو، ويذهب ابن الأثير صاحب الكامل إلى أنّها كانت يوم الجمعة في العشر الأُوَل من شهر رمضان،[3] وفيه دارت المعركة وكانت الدائرة فيها على القشتاليين.

فأظهر يوسف وأصحابه من الصبر وحسن البلاء والثبات ما لم يكن يحسبه المعتمد، وهزم الله العدوّ، واتّبعهم المسلمون يقتلونهم في كلّ وجه، ونجا الأدفونش بأعجوبة، فكان هذا أحد الفتوح المشهورة بالأندلس، اعزّ الله فيه دينه وأعلى كلمته، وقطع طمع الأدفونش عن الجزيرة بعد أن كان يقدر أنها في ملكه، وأنّ رؤوسها خدم له ، وذلك كلّه بحسن نيّة أمير المسلمين[4]. وكان يوم العروبة يوما مشهودا شدّ مشاعر شبه الجزيرة كلّها لأنه حمل طابع الجهاد في سبيل الله عند المسلمين آنذاك في وجه الصليبيين القشتاليين.

ففي هذه القصيدة استذكار للماضي وإشادة ببلاء يوسف بن تاشفين وببلاء المعتمد في خطاب خفيّ، من خلال استعمال قرائن زمنية دالّة على الماضي: **ذُدتَ، نَصرتَ، أبَيْتَ، رأيْنا.**

وفي قوله:

[1] – ينظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج:4، ص:21.
[2] – ينظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج:8 ص:48.
[3] – ينظر: المرجع نفسه ، ج:8 ص:58.
[4] – ينظر: المراكشي: المعجب، ص: 95.

وفي قوله[1]: [من البسيط]

أصبَحْتُ صِفرًا يَدِي مِـمّا تَجودُ بِه ما أعجَبَ الحادِثَ المَقدورَ في رجبِ

رجب: وهو الشهر الذي انتزع المرابطون فيه الـمُلك من المعتمد فانقلبت حياته إلى الأسر وجود تراكيب إضافية: يوم+ اسم . مثل : **يوم الحساب** ، **يوم نزالهم** والتي تحدد أياما بعينها، ارتبط الأول بجزاء الجهاد يوم الحساب، وهو يوم القيامة

في قوله[2] [من المتقارب]:

سَتلْقى فِـــعالكَ يومَ الحـسا بِ تَنَثَّـــرُ بالـــــمِسك منك انتثارا

وارتبط الثاني بحادثة استلاب مُلكه، وشجاعة الشاعر في ذلك اليوم، الذي بذل فيه كلّ جهد في هذا اليوم. فنجده يقول[3] : [من الكامل]

قـــد رُمـتُ يـــــومَ نِزالِهم ألاّ تُـحـــصِّنني الـــدُّروع

[1] – ينظر: اللمعتمد بن عبّاد: الديوان، ص:92.

[2] – ينظر: المصدر نفسه، ص: 98.

[3] – ينظر: المصدر نفسه، ص: 90.89.

خاتمة:

في ختام هذا الفصل نصل إلى جملة من النتائج:

– تعبّر الإشاريات عن السياق الوجودي للمتخاطبين، وترتبط بوجود الاستراتيجية التضامنية أو عدمه، لمعرفة مدى البعد والقرب في العلاقات بين المتخاطبين في النص.

– إنّ الخطاب الشعري يمتاز بالخصوصية، وذلك لأنّ المتكلّم فيه غالبا هو الشاعر، الذي لا يختار دائما إعطاء الكلمة للذوات التي يحاورها، وبالتالي يستغلّ امتلاك السلطة بالخطاب. وهذا ما يساعده على التعبير عن ذاتيته.

– تساعد تنظيرات غربية وعربية على استجلاء توظيف الإشاريات في الخطاب، والوصول إلى الغرض التداولي في الخطاب. مثل: التزامنية في الزمن الذي اقترحته أوركيوني، التعبير عن الذاتية في اللغة الذي اقترحه بنفنيست، وتصنيف الضمائر التقني إلى ضمائر حضور وضمائر غياب وهو ما اقترحه تمّام حسّان، وما يزخر به النحو العربي من تفطّن لضمائر الحضور وضمائر الغياب.

– إنّ شعر الأسر عند المعتمد بن عبّاد خطاب تتوفّر فيه الإشاريات على تنوعها.

– عبّرت الإشاريات الشخصية عن الذوات التي استدعاها المعتمد في أسرياته، فكانت طرفا الحوار أو موضوعا له.

– استعمال ضمائر الحضور بنسبة تفوق بكثير استعمال ضمائر الغياب فاستعماله لضمائر التكلم والخطاب بمختلف فروعها غلب على استعمال ضمائر الغياب المتمثلة في ضمائر الغائب. وهذا دليل على نتيجة تداولية هامة توحي باستحضار الشاعر للذوات التي كان يخاطبها.

– عبّرت ضمائر الحضور عن المعتمد في حالتين: في حالة التكلم استعملت للتعبير عن نفسه ومخاطبتها.والتعبير عن فخره بالأصل اللخمي،واستعملها في حالة الخطاب، للتعبير عن يوسف بن تاشفين، وتعهبيره عن نفسه من خلال التعبير عنه بضمائر الخطاب. وتشخيصه لذوات من الطبيعة ومخاطبتها، لبعبّر بذلك عن الوحشة والوحدة.

– استعمل الاسم الموصول للدلالة على نفسه من خلال صفاته.

– استعمل ضمائر الغياب للتعبير عن الذوات المعيقة له والتي أراد تغييبها،وتمثلت في المرابطين، وشعراء طنجة.في حالة الغائب للجمع.

– ساعدنا تقسيم الإشاريات المكانية إلى مكان أليف وآخر مُعادٍ، في حسن التصنيف والوصول إلى نتائج تهمّ الدراسة التداولية، وقد استعمل الإشاريات المكانية في تعبيره عن أماكن أليفة أحبّها أو عاش فيها أو تذكّرها، وهي: . تمثلت في الأبنية التي شادها هو وأسلافه، ومظاهر مُلكه من قصور وأبني سلطانية.مثل: الزاهي، المبارك، الثريّا، القبّة. كما عدَّ القبر مكانًا أليفا بعدما أحسّ بدنوّ أجله.

– عبّر المكان الـمُعادي عن :

أماكن مغربية نسب إليها أسره ومعاناته.مثل أغمات التي خلّدها بشعره، والمغرب التي نسب إليها أسْره، وطنجة التي نسب إليها الشعراء الذين غيّبهم في الإشاريات الشخصية.

أماكن أندلسية كرهها بسبب الأحداث التي وقعت فيها وهي: قرطبة التي قُتِل فيها ابناه، ورُندة التي قُتِل فيها ابنه الآخر.

– تميّز استعمال الإشاريات الزمانية بالدقّة والتحديد؛ فالمعتمد ذكر أحداثا وقصصا خاصة بحياته، لا يمكن بأيّة حال معرفتها دون الاطّلاع على سيرته، نحو: يوم الطين الذي يشكّل مرحلة هامة من حياته التي تميزت بالدَّعة والاستقرار السياسي.

وتمثلت الإشاريات الزمانية الأخرى في الأحداث السياسية المفصلية في تاريخه، وهي معركة الزلاقة (يوم العروبة) والذي يمثّل أوّل عهد المرابطين بالأندلس والخطوة الأولى لتضعضع الملك ولو بعد حين. ورغم تحديد الإشاريات الزمانية إلا أنها تلتقي بأمرين:قصد المعتمد من تضمينها في شعره: وهو تخليد هذه الأحداث وتبيان أهم المراحل في حياته.

وقد عملت الإشاريات عموما على إشراك القارئ و تحفيز المتلقي على معرفة سيرته الشخصية وإعطاء صورة عامة له عند عامة القُرّاء .

الفصل الثاني

الفصل الثاني: الحجاج في شعر الأسر عند المعتمد بن عبّاد

1- مفهوم الحجاج

2- الحجاج في الفكر الغربي المعاصر

3- الحجاج في الشعر العربي القديم

4- الحجاج في شعر الأسر عن المعتمد بن عبّاد

4-1- الحجاج بالأصل اللخمي

4-2- الحجاج بالمشترك

4-3-السلّم الحجاجي

4-3-1- الروابط الحجاجية

4-3-2- العوامل الحجاجية

4-4- الحجاج التقويمي

4-5- حجاجية القيد

4-5-1- القيد عند المعتمد

4-5-2-القيد عند شاعرَي المعتمد:

4-5-2-1- القيد عند الدّاني (ابن اللبّانة)

4-5-2-2- القيد عند ابن حمديس الصقلّي

1- مفهوم الحجاج :

أ-**لغة** : جاء في لسان العرب :"حاججته أحاجّه حجاجا ومحاجّة حتّى حججته أي غلبته بالحجج التي أدليت بها(...)وحاجّه محاجّة وحجاجا نازعه الحجّة (...) والحجّة الدليل والبرهان".[1] وبهذا يكون الحجاج هو النزاع والغلبة باستعمال الحجج والبراهين والأدلّة، وفي قول ابن منظور:"رجل محجاج أي جدل"[2]يجعل الحجاج مرادفا للجدل ، الذي هو: "مقابلة الحجّة بالحجّة"و"اللّدد في الخصومة والقدرة عليها"[3]، ويظهر جليّا ا، الحجاج مرادف للجدل من جانب انطلاقهما من الخصومة والقدرة على استعمال الحجج ، من أجل غلبة الخصم والتفوّق عليه .

ب-اصطلاحا: يتطوّر المفهوم الاصطلاحي حسب تعرّض المهتمّين به لماهيته في مختلف العصور، ففي البلاغة العربية نجد الجاحظ(ت255هـ) تعرّض للحجاج على أنه "البيان" و يرى أنّ:" مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام ، فبأيّ شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى ، فذلك هو البيان في ذلك الموضع".ويوضّح مفهوم البلاغة والبيان مستشهدا بما لدى الهنود إذ يقول:"أوّل البلاغة اجتماع آلة البيان ، وذلك أن يكون الخطيب رابط الجأش ، ساكن الجوارح، قليل اللحظ، متخيّر اللفظ، لا يكلّم سيّد الأمة بكلام الأمة ولا الملوك بكلام السوقة "[4].فالحجاج يتمّ عند الجاحظ بإفهام القائل السامع المعنى الذي يقصده بوضوح، بمراعاة مقامات المتكلّمين والمستمعين المتفاوتة."[5]ويقسّم البيان إلى ثلاث وظائف هي:

-الوظيفة الإخبارية المعرفية التعليمية(حالة الحياد): إظهار الأمر على وجه الإخبار قصد الإفهام.

- الوظيفة التأثيرية(حالة الاختلاف): تقديم الأمر على وجه الاستمالة وجلب القلوب.

- الوظيفة الحجاجية(حالة الخصام):إظهار الأمر على وجه الاحتجاج والاضطرار.

---

[1] -ينظر: ابن منظور : لسان العرب ، مج :3.ص: 228.

[2] -ينظر : المرجع نفسه، مج:11، ص: 105.

[3] -ينظر: المرجع نفسه،ص: نفسها.

[4] -ينظر: الجاحظ: البيان والتبيين، تح: عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل بيروت، لبنان ، د.ط.د.ت. ج1،ص:76.

[5] - ينظر:راضية خفيف بوبكري : التداولية وتحليل الخطاب، (مقاربة نظرية)، مجلة الموقف الأدبي، العدد399. تموز2004. ص:03.

وهذه الوظائف تشكل جوهر النظرية التداولية في الدراسات المعاصرة باعتبارها مقاربة تهتم بالتواصل بالدرجة الأولى والإقناع والتأثير وإيصال المعنى وتقديم الفائدة؛ ومنها فإن غايتها منفعية بحتة". ولهذا اهتم محمد العمري بالبيان عند الجاحظ حتّى أنه عدّ التداولية بعدا جاحظيا في أساسه.

وفي سياق إيلاء أهمية بالغة للمقام في الفهم والإفهام، يقول أبو هلال العسكري(ت392هـ): "فإذا كان موضوع الكلام على الإفهام ، (...) فالواجب أن تقسّم طبقات الكلام على طبقات الناس، فيخاطب السوقي بكلام السوقة والبدوي بكلام البدو، (...) ، ويتجاوز به ما يعرفه إلى مالا يعرفه، فتذهب فائدة الكلام ، وتعدم منفعة الخطاب"[1]. ويضعه ابن وهب(ت.....) تحت تسمية الجدل:"وأما الجدل والمجادلة فهما قول يقصد به إقامة الحجة فيما اختلف فيه من اعتقاد المتجادلين، ويستعمل في المذاهب، والديانات، وفي الحقوق، والخصومات، والتوسّل في الاعتذارات يدخل في الشعر وفي النثر".[2] يحق له الاعتراض عليها"،

أما في التقاليد الغربية فقد كان اهتمام أرسطو :Aristote(ت 322 ق.م) منصبا على فنون الكلام، و لا سيما الخطابة و الشعر منها، و لذلك نجد نظّر لهما ،و أرسى قواعدهما الفنية و العقلية، التي صارت فيما بعد منهجا اتبعه من جاء بعده.

ففي كتابه"الخطابة" اهتم بالإقناع وأدواته، إذ جعله بؤرة الخطابة:" فالريطورية قوة تتكلّف الإقناع الممكن في كلّ من الأمور المفردة."[3]

نجد أن الحجاج ارتبط بالبلاغة ، سواء أكان في الفكر العربي ؛ عند الجاحظ أو أبي هلال العسكري ، أو في الفكر الغربي القديم ، عند أرسطو مثلا، الذي اهتم بالإقناع الخطابي ، في تنظيره لبلاغة الخطابة.

وقد اهتم اليونان القدامى بفنون الكلام، خاصة الخطابة و الشعر والمناظرة ، لأنها فنون يظهر فيها الإقناع وتطبيق ما يسمونه بـ"الجدل"، و لذلك نجد أن فلاسفتهم أرسطو المبادىء الأساسية

[1] –ينظر:أبو هلال العسكري: الصناعتين الكتابة والشعر، تح: محمد علي البجاوي ومحمد أبو الفضل دار الفكر العربي، ط2. د.ت.:ص :35.

[2] –ينظر: ابن وهب: البرهان في وجوه البيان، تقديم وتحقيق: حفني محمد شرف، مطبعة الرسالة ، عابدين ،مصر، د.ط.د.ت ،ص:176.

[3] –ينظر: أرسطو طاليس: الخطابة، الترجمة العربية القديمة، حققه وعلق عليه: عبد الرحمان بدوي، ، دط، دار القلم بيروت، 1976.ص: 09.

للقيام بهذه الأنشطة والقواعد الفنية و العقلية، التي اعتمد عليها الفكر الحديث والمعاصر في تأطير النظريات المعاصرة.

وكان "أرسطو" ممن نظر للخطابة والشعر معا، و انطلق في تنظيره للخطابة مما وضعه "سقراط"، حيث جعل لها خطتين: جدلية و نفسية، و رأى أنه لا بد للخطابة الجدلية من أمرين: التركيب الذي يجمع به الخطيب نواحي الفكرة المتفرقة ليتمكن من تحديد الكلام، و التحليل الذي يرد الفكرة إلى آراء جزئية، وسمى أصحاب القدرة على التركيب و التحليل (جدليين)، فالخطابة عنده نوع من الجدل، أو هي الجدل بعينه.[1]

بينما ربط "أرسطو"بين خاصة الكلام والتعبير عند الإنسان وبين الإقناع:"فالإنسان لأنه متكلم معبر يبحث بطبعه عن الإقناع، ويحاول أن يصل بكلامه إلى إقناع أكبر عدد ممكن من الناس بوسائل مستمدة من التفكير. "[2]

ويجد أن الخطابة والجدل متصلان ببعضهما، ويتحدان في موضوعاتهما. "لأنها أمور يمارسها كل الناس ويعرفونها في صورها المتحدة في الأقل". [3]

وفي سبيل اللجوء إليهما"إن كل الناس يلعبون للخطابة والجدل بدرجات متفاوتة، وكل إنسان يحاول ما أمكنه الجهد أن يعارض حجة من الحجج أو يدعمها".[4] ويميز منهجها ومهمتها الالتجاء إلى العكس (عكس القضايا).

2- الحجاج في الفكر الغربي المعاصر:

أ- عند بيرلمان:

يعدّ بيرلمان Perlman مؤسس البلاغة البرهانية الجديدة وهذا مع زميله تيتيكا teteka في مؤلّفهما :"مقالات في الحجاج " "traité de l'argumentation"، ويريان أن:" موضوع نظرية الحجاج هو درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم، بما يعرض عليها من أطروحات ، أو أن تزيد في ذلك التسليم"[1]، وبيرلمان يهدف من خلال صياغة نظريته في البرهان إلى "دراسة تقنيات الخطاب ،التي تسمح بتأييد الأشخاص للفروض التي تقدّم لهم ،أو تعزيز هذا التأييد على تنوّع كثافته"[2].

[1] -ينظر: عبد الله صولة : الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية،دار الفارابي ،بيروت لبنان ،ط2،ص: 27.

[2] -ينظر: صلاح فضل :بلاغة الخطاب وعلم النص،أدبيات مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، ط2، 1996. ص:92.

ويعتبر المؤلّفان أن الغاية من الحجاج هي الفعل في المتلقي على نحو يدفعه للعمل أو يهيّئه للقيام بالعمل،إذ "غاية كل حجاج أن يجعل العقول تذعن لما يطرح عليها من آراء، أو أن تزيد في درجة ذلك الإذعان، . فأنجع الحجاج ما جعل حدّة الإذعان تقوى درجتها لدى المستمعين ، بشكل يبعثهم على العمل المطلوب (إنجازه أو الإمساك عنه) ، أو هو على الأقل ما وفق في جعل السامعين مهيّئين للقيام بذلك العمل في اللحظة المناسبة".[1]

ومؤلّف بيرلمان وتيتيكاه ينزّل الحجاج في صميم التفاعل بين الخطيب وجمهوره ويجعلانه شيئا مفارقا للجدل من ناحية، وصناعة الخطاب من ناحية أخرى، رغم اتصاله بهما. فهو يأخذ من الجدل التمشي الفكري الذي يقود إلى الأثر الذهني في المتلقي،وإذعانه إذعانا نظريا لفحوى الخطاب وما جاء فيه من آراء ومواقف، ويأخذ من الخطابة توجيه السلوك أو العمل والإعداد له والحض عليه. وباختلاف الحجاج عن الجدل وصناعة الخطاب وجمعه بين التأثير النظري والسلوكي العملي، يشكّل بلاغة جديدة"[2].

كما أن بيرلمان أولى عناصر الحجاج أهمية خاصة في إنشائه لنظرية الحجاج التي لاتكتفي بالأساليب اللغوية بل تولي اهتماما بالظروف الخارجية التي تتعلق بكل من المخاطب والمقام خاصةلأن نظرية البرهان عند بيرلمان لـ"بحث سبل التأثير عبر الخطاب بشكل فعّال في الأشخاص" ويكون الحجاج عنده:"عبارة عن تصور معيّن لقراءة الواقع اعتمادا على بعض المعطيات الخاصة، بكل من المحاجج والمقام الذي ينجب هذا الخطاب".[3] ويربط وجود المعنى بالسامع " الذي لولاه لما كان حجاج أصلا ".

وفي سياق حديثه عن وجود آليات تعمل على تحريك المقصودين إلى الفعل وتغيّره حسب المقام ، ويربط بيرلمان الحجاج بعوامل لغوية تتمثل في الوضوح، وعوامل غير لغوية (نفسية

[1] –ينظر: عبد الله صولة : الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية،ص: 27.

[2] – ينظر: سامية الدريدي : الحجاج في الشعر العربي القديم بنيته وأساليبه حتى نهاية القرن الثاني للهجرة بنيته وأساليبه، عالم الكتاب الحديث، أربد، الأردن، ط1، 2008 .ص:21،22.

[3] –ينظر: محمد سالم ولد محمد الأمين: مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة،عالم الفكر، الكويت ، ع2.يناير ، مارس، 2000.ص:61.

اجتماعية)تتمثل في الاحترام والوعي بظروف مختلف الأصعدة السياسية والاجتماعية من خلال الملامح الآتية:

-أن يتوجه إلى مستمع.

-أن يعبّر عنه بلغة طبيعية.

-مسلّماته لا تعدو أن تكون احتمالية.

-لا يفتقر تقدّمه إلى ضرورة منطقية بمعنى الكلمة.ليست نتائجه ملزمة. [1]

وإلا فقد الحجاج أثره وفاعليته.

ب- الحجـاج عند ديكرو:.Ducrot. O

صار الحجاج مع اونسكمبر Encombre و ديكرو Ducrot يعالج في إطار لساني محض أو يكاد ، وذلك من خلال كتابهما" الحجاج في اللغة"، ويجعلان الحجاج كامنا في اللغة ذاتها، لا في يمكن أن ينطوي عليه الخطاب من بنى شبه منطقية كما هو عند بيرلمان وتيتكاه.[2]

فالحديث في الحياة اليومية —مثلا-، في أبسط صوره ،يجعل المتكلم في سعي إلى التأثير في أفكار و معتقدات المستمع؛ فيعمل على إقناعه، و تعزيته، و حضّه على قول شيء أو القيام بفعل ،دون أن يضطرّ للظهور بوجه بوجه المقنع أو المحرك.

ويهتم " ديكرو" بتأكيده على العلاقة الوطيدة بين قوانين الخطاب والحجاج ، هذه القوانين تتدخل في تحديد المحتويات الحجاجية؛حيث تكمن وظيفة قوانين الخطاب في تحديد معالم الدلالات الحجاجية. فالإخبارية من قوانين الخطاب لكنها ثانوية في الحجاج ،لكنها تتدخل في آراء و سلوكات المتكلم أو المستمعين ، عن طريق التأثير فيهم؛ و ذلك بحملهم على الوصول إلى الأمر الذي يقصده المتكلم من إن الحديث عن الحجاج في اللغة هو حديث عن نمط من العمليات التخاطبية التي تدخل ضمن تفسيرنا للغةعلى أساس كونها نشاطا كلاميا يتحقق في الواقع وفق معطيات معينة من السياق.

والخطاب كما يذهب إلى ذلك " ديكرو"Ducrot. O و "انسكومبر"Anscombre ليس فقط وسيلة ، بل هو غاية أيضا، فهو وسيلة إخبارية تكمن غايتها في التأثير على الغير.

[1] -ينظر: المرجع السابق،ص: نفسها .

[2] -ينظر: عبد الله صولة : الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية،ص: 33.

ويورد "ديكرو"المثال التالي :"نقول عن المتكلم إنه يقوم بحجاج. حينما يقدم القول ق1 و غايته في ذلك جمل المستمع على الاعتراف بقول ق2 .

لكن هذه العملية وباعتراف الباحثين لا تتم ببساطة فليس بمجرد التلفظ يقول معين ق1 نكون قد حملنا المخاطب على استنتاج ق2. بسبب تدخل عوامل لغوية وغير لغوية في التحديد الحقيقي للدلالات".[1]

للتدليل على أن هذه التسلسلات الحجاجية تجعل المتلقي يقوم بعمليات استنتاجية معقدة للوصول إلى قصد المتكلم وفهمه ، ومدى وجود إمكانية الإذعان لما يقول، من خلال التمعن في كلامه ، والذي إن أنتج مجرد التعاطف أو التغيير الدقيق على أفعال المتلقي ، فإن المتكلم يعد قد قام بفعل الإقناع من خلال الحجة التي قدمها ، والتي أدّت بالمتلقي لسلسلة الاستنتاجات المعقدة.

3-الحجاج في الشعر العربي القديم:

يعدّ القول بأن الشعر لا يخاطب في النفس إلا المشاعر والقلوب ولا يتجاوز فعله في المتلقي الإمتاع والإلذاذ والإطراب دون أن يكون للعقل دور في هذا الإمتاع، من المسلّمات الشئعة في الثقافة العربية. ولهذا شاعت أفكار تربط وقد ارتبط على هذا الأساس تعريف الشعر على أساس ارتباطه بـ**التخييل**، وهو مصطلح يوناني استعمله الشرّاح العرب لكتاب أرسطو في الشعر وأوّلهم **الفارابي** (ت 339هـ). ويعرّف ابن سينا (ت 370 هـ) الشعر تعريفا قائما على التخييل بأنه"كلام مخيل مؤلف من أقوال موزونة متساوية وعند العرب مقفاة"[2] ويضيف قائلا أن الكلام المخيل "هو الكلام الذي تذعن له النفس فتنبسط عن أمور وتنقبض عن أمور من غير روية وفكر واختيار، وبالحملة تنفعل له انفعالا نفسانيا غير فكري، سواء كان القول مصدقا به أو غير مصدق به"[3].

[1] – ينظر:عمر بلخير:تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية ، منشورات الاختلاف ، الجزائر العاصمة، ط1. 2003.ص121،120.

[2] -ينظر:ابن سينا : تلخيص كتاب أرسطاطاليس في الشعر–وقد ورد ضمن :كتاب أرسطاطاليس في الشعر، نقل أبي بشر متى بن يونس القنائي، تح : شكري محمد عياد، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، 1967 ،ص:197.

[3] – ينظر : المرجع نفسه ، ص: نفسها.

وقد اعترف النقد العربي للشاعر بسلطته على النفس وقدرته على النفاذ إلى مناطق التلقي والفعل فيها فالشعر كما يقول **عبد القاهر الجرجاني**:"يكفي فيه التخييل، والذهاب بالنفس إلى ما ترتاح إليه من التعليل"[1]. وبهذا يصبح التخييل عنده"ما يثبت فيه الشاعر أمرا هو غير ثابت أصلا، ويدعي دعوة لا طريق إلى تحصيلها، أو يقول قولا يخدع فيه نفسه ويريها مالا ترى"[2]،

وقد ذهب حازم القرطاجي إلى نفس الفكرة في دور الشعر في تحريك الوجدان وإحداث الانفعال في تعريفه الشعر **بأن:**"الشعر كلام موزون مقفى من شأنه أن يحبب إلى النفس ما قصد تحبيبه إليها، ويكره إليها ما قصد تكريهه،لتحمل بذلك على طلبه أو الهرب منه، بما يتضمن من حسن تخييل له، ومحاكاة مستقلة بنفسها أو متصورة بحسن هيأة تأليف الكلام، أو قوة صدقه أو قوة شهرته، أو بمجموع ذلك . بحركتها الخيالية قوى انفعالها وتأثيرها ... فأفضل وكل ذلك يتأكد بما يقترن به من إغراب . فإن الاستغراب والتعجيب حركة للنفس إذا اقترنت الشعر ما حسنت محاكاته وهيأته"[3]

إذن نستنتج أن **التخييل الشعري** انتقل من دائرة البحث الفلسفي إلى دائرة البحث البلاغي والنقدي وقد نال قدرا من سوء الظن وذلك بسبب نظرة الفلاسفة له بارتباطه بالملكات الإنسانية الدنيا [4]، لأن التخييل يحدث في النفس انفعالا من غير استحضار للعقل، في لحظة استقبال الشعر ، مما يفتح المجال للنفس لتتأثر من غير إعمال العقل في مكونات التخييل الشعري المتمثلة في المعاني والأسلوب الذي تساق على منواله الفكرة المخيّلة.

فحازم القرطاجني مدرك لتأثير التخييل على المتلقي ويقدم في منهاجه تعريفا يقول فيه: "أن تتمثل للسامع من لفظ الشاعر المخيل أو معانيه أو أسلوبه ونظامه، وتقوم في خياله صورة أو صور ينفعل لتخيلها وتصورها، أو تصور شيء آخر بها انفعالا من غير روية إلى جهة من الانبساط

[1] –ينظر : عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة في علم البيان،صحّحه وعلّق حواشيه: محمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1988. ص: 235.

[2] –ينظر: المرجع نفسه، ص: 239.

[3] – ينظر: حازم القرطاجني، : منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تقديم وتحقيق : محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط 3 ، 1986 . ص 71.

[4] –ينظر : جابر عصفور: الصورة الفنية في التراث البلاغي والنقدي: المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء، ط3. 1992.ص72.

أوالانقباض"[1]، ومدى تأثره بها وتأثيره فيها. وعجزه عن الوصول إلى المعارف الراقية، نتيجة لهذا يمكننا فهم حديث ابن رشيق في بداية كتابه "العمدة" عن ارتباط الشعر بالسحر.[2] ويسهب حازم القرطاجني في الحديث عن الصدق والكذب في الأقاويل الخطابية والشعرية ، ويرى أن ذلك ضروري لهذه الصناعة. في قوله : «لما كان كل كلام يحتمل الصدق والكذب إما أن يرد على جهة الإخبار والاقتصاص وإما أن يرد على جهة الاحتجاج والاستدلال، وكان اعتماد الصناعة الخطابية في أقاويلها على تقوية الظن لا على إيقاع اليقين – اللهم إلا أن يعدل الخطيب بأقاويله عن الإقناع إلى التصديق، فإن للخطيب أن يلم بذلك في الحال بين الأحوال من كلامه – واعتماد الصناعة الشعرية على تخييل الأشياء التي يعبر عنها بالأقاويل وبإقامة صورها في الذهن بحسن المحاكاة، وكأن التخييل لا ينافي اليقين كما نافاه الظن، لأن الشيء قد يخيل على ما هو عليه وقد يخيل على غير ما هو عليه، وجب أن تكون الأقاويل الخطبية- اقتصادية كانت أو احتجاجية – غير صادقة ما لم يعدل بها عن الإقناع إلى التصديق، لأن ما يتقوم به وهو الظن مناف لليقين، وأن تكون الأقاويل الشعرية اقتصادية كانت أو استدلالية غير واقعة أبدا في طرف واحد من النقيضين اللذين هما الصدق والكذب، ولكن تقع تارة صادقة وتارة كاذبة، إذ ما تتقوم به الصناعة الشعرية وهو التخييل غير مناقض لواحد من الطرفين. فلذلك كان الرأي الصحيح في الشعر أن مقدماته تكون صادقة وتكون كاذبة، وليس يعد شعرا من حيث هو صدق ولا من حيث هو كذب بل من حيث هو كلام مخيّل"[3].

ويقسم عبد القاهر الجرجاني المعاني إلى قسمين: عقلية وتخييلية ويوازن بينهما على أساس ما فيهما من صدق أو كذب فتكون المعاني الحقيقية هي مدار أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم وكلام الصحابة وآثار السلف الصالح الذين شأنهم و قصدهم الحق.

والمعاني التخييلية هي دعوى تخادع النفس وتريها ما لا ترى، ومثال ذلك قول أبي تمام:

---

[1] –ينظر حازم القرطاجني، : منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص: 89.

[2] – ينظر: ابن رشيق ، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، حققه وفصّله وعلّق على حواشيه : محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان، ط5. 1981،ج1،ص: 27.

[3] – ينظر:حازم القرطاجني : منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، ص :62 ، 63 .

لا تنكري عطل الكريم من الغنى فالسيل حرب للمكان العالي[1]

فهذا قد خيل إلى السامع أن الكريم إذا كان موصوفا بالعلو والرفعة في قدره، وكان الغني كالغيث في حاجة الخلق إليه وعظم نفعه. وجب بالقياس أن يزل عن الكريم زليل السيل عن الطود العظيم، ومعلوم أنه قياس تخييل وإيهام لا تحصيل وإحكام، فالعلة في أن السيل لا يستقر على الأمكنة العالية أن الماء سيال لا يثبت إلا إذا حصل في موضع له جوانب تدفعه عن الانصباب، وتمنعه عن الانسياب، وليس في الكريم والمال شئ من هذه الخلال".و عبد القاهر الجرجاني يرى أن هذا قياس خادع اعتمد عليه أبو تمام، لإثبات هذا المعنى.

وقد أدّى إقصاء الشعر من دائرة المنطق وتجريده من مقولات العقل، إلى إشارة قضية خطيرة تتمثل في تحديد الأجناس الادبية. إذ عدّ الكثيرون أن الشّعر إذا دخل باب المنطق لان وضعفت طاقته الحجاجية وتحول إلى خطبة. وهذا كان أبرز منفذ تسرب منه النقاد إلى شعر الكميت بن زيد الاسدي شاعر الشيعة[2] يقول الجاحظ: "وفي الخطباء من يكون شاعرا ويكون إذا تحدث أو وصف أو احتج بليغا مفوها بينا، وربما كان خطيبا فقط وبين اللسان فقط (...) ومن يجمع الشعر والخطابة قليل (...) ومن الخطباء الشعراء الكميت بن زيد الأسدي وكنيته أبو المستهل" .،"ما تعطف به القلوب النافرة ، ويؤنس القلوب المستوحشة ،وتلين به العريكة الأبيّة المستصعبة ، ويبلغ به الحاجة، وتقام به الحجة ،فتخلص نفسك من العيب، ويلزم صاحبك الذنب ، من غير أن تهيجه وتقلقه، وتستدعي غضبه ، وتثير حفيظته."[3]

نستنتج أن ارتباط الشعر بمخاطبة النفس البشريةوما يعتورها من انقباض أو انبساط، وارتباط الخوض فيه بما يسمى الملكات الدنيا، الناتج عن تأثر البيئة النقدية بالآراء الفلسفية التي روّج لها الشرّاح العرب لكتاب أرسطو في الشعر ، وتسلل هذه الأفكار إلى البيئات التطبيقية في دراسة الشعر. جعل النقاد القدامى يبتعدون عن الاهتمام بآليات تأثير الشعر واعتماده على الاستنتاج.

---

[1] -ينظر:أبو تمام :ديوان أبي تمام،تقديم وشرح محي الدين صبحي ،دار صادر بيروت لبنان ،ط1.المجلد 2.ص:37.والبيت من قصيدة في مدح الحسن بن رجاء.

[2] - ينظر:الجاحظ: البيان والتبيين، ج4، ص:48.47.

[3] -ينظر : أبو هلال العسكري :الصناعتين، الكتابة والشعر، تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي ، ط2. د.ت. ص:57.

لكننا ننطلق من أن الشعر مثل أي خطاب موجه من متكلم إلى متلقّ مقصود، وبتسليمنا بأنه لاوجود لخطاب بريء لا يروم صاحبه من وراء صياغته إلى التأثير في الآخر والعمل على إقناعه من خلال الاستعانة بما تقدّمه له الإمكانات التعبيرية التي تتيحها له اللغة، والسياقات المختلفة التي يورد فيها خطاباته.

4- الحجاج في شعر الأسر عند المعتمد بن عبّاد:

ننطلق في دراسة الحجاج في شعر الأسر عند المعتمد بن عبّاد من أنّه لا يوجد خطاب بلا حجاج؛ فالشاعر يمكن أن يروم من خلال قصيدته إسماع صوته للمتلقّين، ولفت الانتباه إلى فكرته، لكن لابدّ من التأثير؛ الذي قد يكون التعاطف مع الشاعر في حالة المتلقّي الكوني. والإقدام على إنجاز أفعال حسب فهم المعنى الذي يقصده، في حالة المتلقّي المقصود في الفترة المدروسة. ولقد أدّى بنا إلى البحث في الحجاج في شعر الأسر عند المعتمد بن عبّاد هذا التساؤل:
ما الذي يمكن أن يُقنِع به المعتمد متلقّيه، وهو الذي استقبل أسره بالاستسلام؟
ما هي مختلف أنماط الحجج التي يمكن أن يكون أوردها في شعره خلال فترة الأسر؟

4-1- الحجاج بالأصل اللخمي:

وينتمي إلى الحجاج بالمثل التاريخي الذي يكون باستحضار الوقائع المستمدّة من التاريخ العربي الذي يجمع الشاعر بمخاطبيه، وإجراء المقارنة التي يدفع الشاعر مخاطَبه للقيام بها. فيصبح لهذا المشترك عموما قدرة تواصلية بالغة التأثير، يمتلكها الشاعر ويسلّطها على مخاطَبه – مهما كان نوع هذا المخاطَب – وفي شعر الأسر عند المعتمد بن عباد نجده يستعمل حُججا لها علاقة بأصله اللخمي، ورصد هذه العلاقة لا يتمّ إلاّ بمعرفة نَسَب المعتمد والاطّلاع على المراجع التي وردت فيها قصائده، إذ يعدّ الاكتفاء بالديوان أمرا غير ذي جدوى.
فالمعتمد يرتدّ إلى ملوك الحيرة ويُجري مقارنات بينه وبينهم.لعلّه يجد في هذا تنفيسا عن حاله التي آل إليها، ولعله يُقنع مخاطَبه بأنّ التاريخ يُعيد نفسه. وهذا يمنحه الشرعيّة في طرحه لتبرير فشله في الحفاظ على مملكته إشبيلية، وتبرير الأخطاء التي وقع فيها والتي كلّفته مُلكَه.

إنّ استسلام المعتمد للأسر، وعدم إيراد معنى الإفراج عنه في أيٍّ من قصائده في الأسر، وعدم مدحه للمرابطين مُمَثَّلين في شخص زعيمهم يوسف بن تاشفين ، ولا استعطافهم .إنما كان شعره في الأسر تعبيرا خالصا عن معاناته، متذكّرا أيّامه الخالية.

وتركيزه من ناحية ثانية على أصله اللخميّ في قصائد الأسر، وذلك باستدعاء شخصيات أو أعمال تعود إلى فترة حُكم المناذرة للحيرة، و ما ينبغي منّا الإشارة إليه؛ هو الإيجاز والإجمال في الذكر، فلا يصل الدارس إلى العلاقة بينه وبين هذه الأحداث والشخصيات، دون العودة إلى تاريخ العرب في تلك الفترة.

لنصل بذلك إلى إيجاد العلاقة ومناط الحجاج بين استسلام المعتمد وأصله اللخمي؛ وقد وجدنا أنّه يحمل قيمة حجاجية هامة، نستجليها فيما يأتي:

فنجده يقول في أسره مفتخرا بأصله اللّخمي[1]:[من الرمل]

مَن عَزا الـــــمجدَ إلَيْنا قد صدقْ لم يُلَم من قال ، مهما قال حَـــــقْ

مجدُنا الشّـــــمسُ سناءً وسنـــًا مَنْ يَرُمْ سَـــتْرَ سَناها لم يُطِـــــــقْ

أيُّـــها النّـــاعي إلَيْنا مَـــــجدَنا هل يَضيرُ المَجْدَ أَنْ خَـــــطبٌ طَرَقْ

لا تُرَعْ للـــــدّمعِ مِن آمـــــاقنـا مَزَجَـــنْهُ بِـــــــدمٍ أيـــدي الحُـرَقْ

حَنِقَ الدّهرُ علـــــــيْنا فسَـــــطا وكذا الـــدّهرُ عـــــلى الحُـــرِّ حَنِـقْ

وقديـــمًا كَلِفَ الـمُلكُ بـــــنـــا ورأى مِـــــــنّا شُـــموسًـا فَعـشِقْ

قـــد مـــــضى مِنّا مُلوكٌ شُـهِروا شُهرةَ الشَّمسِ تـــــجلّتْ في الأُفق

نـــحنُ أبـــــناءُ بني ماء السَّـما نحـوَنا تَطـــــــمحُ ألحـاظُ الحدَقْ

وإذا ما اجـــتمع الدّيـــــنُ لنا فَحقيرٌ ما مـــــــــن الدُّنيا افترقْ

فنَعْي المجد في عصر المعتمد لا يُعَدُّ ذا بال، لأنّه مسبوق بنعي في عصر ملك النعمان بن المنذر وبالرغم من النهاية الأليمة التي انتهى بها لايزال الناس على مرّ العصور يتغنّون بأيّامه. وشهرتُه وغيرُه من ملوك الحيرة أمر معترف به في مختلف البيئات.

[1] – ينظر: المعتمد بن عبّاد: الديوان، ص: 110.

نستنتج أنّ هذا النعي لم يؤثّر في **مجد** اللخميّين من ملوك الحيرة. ونعي ملك المعتمد لن يؤثّر في مجده .

فهذا المجد متأصّل في اللخميّين، وما الحوادث التي ألـمّت بملوك الحيرة قديما؛ ونذكر منها: الطريقة التي قُتِل بها بعض ملوك المناذرة، ومنهم المنذر بن ماء السماء الذي قتله الحارث بن الأعرج أبي شمر جبلة الغساني في اليوم المعروف بـ:" يوم عين أباغ"[1]، وما حلّ بالمنذر بن المنذر بن ماء السماء والذي سار طلبا لثأر أبيه عند الحارث بن الأعرج الغساني، في اليوم المعروف بـ:" يوم مرج حليمة".[2] وما حدث لعمرو بن المنذر بن ماء السماء، والذي يُدعى عمرو بن هند، وقتله على يد عمرو بن كلثوم التغلبي.[3] و وقعة ذي قار التي قضى بعدها النعمان بن المنذر.[4]وما يحدث للمعتمد بن عبّاد حاليّا ليست إلاّ خطبا طرق والمجد باقٍ لا يضيرُه شيء، فالناس لن يتذكّروا مأساته في الأسْر ودوران الحال عليه، وإنّما سيتذكّرون أيّام مُلكه، والعزّ الذي أصاب الأندلس في أيامه.

وقد قال هذه القصيدة بعد أن تذكّر أنّه- أيّام ملكه- سمع خبرا أيقن أنّه نَعْيٌ لـمُلكه، يتلخص في" أنْ حُكِيَ عن رجل أنّه رأى في منامه إثر الكائنة عليهم كأنّ رجلا صعد منبر جامع قرطبة

واستقبل الناس يُنشدهم : [5]

رُبَّ رَكبٍ قد أنـــــاخوا عيسَهُم في ذرى مَجدِهم حينَ بَـــسَقْ

ســــــكت الدّهرُ زمانًا عنهُمُ ثمّ أبـــــكاهم دما حين نطقْ

لكنّنا نتساءل عن علاقة هذا القول مع الأصل اللّخمي للمعتمد بن عبّاد، وهو ما يقول به ابن بسّام أنّ البيتَين رواهما الرواة في" خبر النعمان بن المنذر، وهو أنّه نزل تحت شجرة، ومعه عديّ بن زيد. فقال له: أتدري ما تقول الشجرة أيّها الملك؟ قال: وما تقول؟ قال:

[1] – ينظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج1، ص:426.

[2] – ينظر: المرجع نفسه، ص: 430.

[3] – ينظر: المرجع نفسه، ص: 433.

[4] – ينظر: المرجع نفسه، ص: 374. وما بعدها.

[5]– ينظر : ابن بسام ، الذخيرة، ج 3، ص: 58.

رُبِّ رَكـــــــبٍ قد أناخوا حولنا يشربون الخمر بالـــــماء الزّلال
ثُمَّ أَضْحَوْا لَـــــعبَ الدّهرُ بهم وكَذاكَ الـــــدّهرُ حالٌ بعد حال

فتكدّر على النعمان نعيمُ يومه الذي كان فيه" [1]

عند عقد مقارنة بين الحادثتين، نجد أنّ المعتمد بالرغم من أنه استولى على قرطبة أقوى حواضر الأندلس وعاصمة الدولة الأموية، وما تحمله قرطبة من قدسية عند الأندلسيّين، إلاّ أنّ تحالفه مع يوسف بن تاشفين، هو الذي أسقطه وأزال مُلكه. نفس الأمر بالنسبة للنعمان الذي وثق في عديّ بن زيد، وخدعه وانتقم منه بأن أدّى به إلى السجن والهلاك على يد كسرى مُوَلِّيه على الحيرة.فالحادثتان ترميان إلى أنّ نفس الأسباب تؤدي إلى نفس النتائج.

يقول[2]:[من البسيط]

ماءُ السَّماءِ على أبنـــــائهِ دِرَرُ يالُجّةَ البحْرِ دومي ذاتَ إزْبـــادِ

وفي هذا البيت إشارة إلى ماء السماء، وهو مركّب إضافي يتكون من ماء + السماء، ويشكّل دلاليا مشتركا لفظيا؛ ليدلّ على أمرين متمايزين:

الأول: **ماء السماء** أمّ ملوك الحيرة من اللّخميّين، تدلّ عليها القرينة اللفظية: **على أبنائه،**

الثاني: **ماء السماء،** وهو المطر الذي يسقط من السماء.

وهذا مناط الحجاج، في أنّ **ماء السماء** يهمّها حال **خَلَف أبنائها،** فهي تبكي عليهم مادام يسقط المطر من السماء، وما دام البحر يذرف الزَّبد؛ وهذه الظواهر الطبيعية مستمرّة في الزمان، وكأنّ تكرارها يعيد إلى الأذهان **قصّة بني ماء السماء.**

وقوله[3]: [من الطويل]

نعيمٌ وبُؤسٌ ، ذا لذلـــــكَ ناسِخٌ وَبعـــــدَهُما نسخُ المَنـــايا الأمانيا

فهنا يذكر يومي البؤس والنعيم اللذين جعلهما المنذر بن ماء السماء [4]، ولا يقصد النعيم والبؤس في البيت تمام ما كان يحتفي به المنذر، إنّما يعني أن البؤس عند الملوك الذين جار عليهم

[1] – ينظر: المرجع السابق، ص: 59.
[2] – ينظر: المعتمد بن عبّاد: الديوان، ص: 95.
[3] – ينظر: المصدر نفسه ، ص:117.
[4] – ينظر: شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي – العصر الجاهلي، دار المعارف مصر، ط7،د.ت، ص: 45.

الدهر يأتي بعد النعيم الذي عاشوا فيه، فيمحو البؤس الحالّ النعيم السابق.تماما كحال الموت بعد العيش والأمل في الدنيا.

قوله[1]: [من الطويل]

مدى الدّهر ، فلْيَبْكِ الغَمامُ مُصابَه بِصِنْوَيْهِ يُعذَرُ في البُكاء مدى الدّهرِ

بِعَيْنِ سحابٍ واكِفٍ قطرُ دمعِـــه على كُلِّ قَبْرٍ حَلَّ فيه أخو القَــطر

فالغمام هو **ماء السماء** وهي أمّ الملوك المناذرة. والذي ينزل من السحاب في صفة قَطْر . **فالقطر** هو ابن ماء السماء، **والمعتمد** هو ابن ماء السماء – من ناحية انتسابه للّخميّين – وهو ما يدفع المتلقّي إلى استنتاج أنّ المعتمد أخو القطر. هذا الاستنتاج الذي يُحاول فيه إقناع المتلقّي، بأنّ تواتر هطول المطر مبعثه الحزن الدّائم على مُلوك الحيرة، وخَلَفهم المعتمد بن عبّاد. وهو بالتالي يدفع متلقّيه إلى القيام بما يجعله يذعن إلى رأيه، ويقبل طرحه، بل ويتعاطف معه.

4-2- الحجاج بالمشترك:

لم يلجأ المعتمد إلى ذكر الحجج الجاهزة وهي الأمثال والمأثور من كلام العرب، إنّما نجد في استعماله لأسماء الحيوانات في قصائده استعمالا حجاجيا يزيد في سعيه لكسب تأييد متلقّيه، وقد كان كما يأتي:

الغربان: يخرج المعتمد عمّا أَلِفته العرب من التطيّر بالغراب، فقد كانوا يسمونه الأعور تطيرا منه[2].، ولأنه حديد البصر قالوا عند خوفهم من عينه "الأعور"[3]. والغراب أكثر من جميع ما يُتَطيّر به في باب الشؤم، والغراب كثير المعاني في هذا الباب، فهو المقدّم في الشؤم، فالمشترك والمتداول هو التطير من الغراب واتّخاذه نذير شؤم، لكن في حال المعتمد نجد أنّ السياق يكشف لنا أنّ الغربان لـمّا نعِبت بجوارِ المكانِ الذي كان أسيرا فيه، ثمّ ورد إثر ذلك النبأ بقدوم بعض نسائه عليه. أحسّ بأنّها بشّرته، وألغى المشترك والمتعارف عليه من التطيّر بالغربان.

[1] – ينظر: المعتمد بن عبّاد: الديوان، ص: 105.

[2] – ينظر: الجاحظ: الحيوان، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي القاهرة، ط4، 1983.ج3، ص: 428.

[3] – ينظر: المرجع نفسه، ص: 439.

فيقول [1]:[من الكامل]

غربانَ أغماتَ لا تعـــدمْنَ طيّبةً مِن اللَّيالي ، وأفنانا مِنَ الشَّجَـرِ
تُظِلُّ زُغـــــبَ فِراخٍ تَستَكِنُّ بها مِنَ الحَرورِ ، وتَكفيها أذى المطرِ
كما نعـــــبتُنَّ لي بالفأْلِ يُعجِبُني مُخَبِّراتٍ به عن أطْيـــــبِ الخبرِ
أنَّ النُّجومَ التي غابت قد اقتربت مِنّا مَـــــطالِعُها تسري إلى القمرِ
عَليَّ إن صدَّقَ الرّحمنُ ما زعَمت ألاَّ يَـــروعَنَّ مِن قوسي ولا وَتَري
واللهِ ، واللهِ ، لا نَفَّرتُ واقِعَـــها ولا تـــــــطَيَّرتُ للغِربانِ بالعَوَرِ
ويا عقارِبَها لاتعـــــــدمي أبدًا شجًّا وعَقـــرًا ولا نَوْعًا مِنَ الضَّرَرِ
كما ملأْتُنَّ قـــلبي مُذ حَلَلْتُ بِها مَخافَةً أَسْـــلَمَتْ عيني إلى السَّهَرِ
ماذا رَمَتْكَ به الأيّامُ يا كَـــبِدي مِن نَبْلِهِنَّ ولا رامٍ سِوى القـــدَرِ
أَسرٌ وعُسرٌ ، وَلا يُســـــرٌ أُؤَمِّلُهُ أستغفر الله ، كـــم لله من نـــظرِ

فالغراب جلَبَ للمعتمد الخبر السّارّ وأصبح يحمل عنده فألاً حسنا، لأنّ غربته عن الناس والوحدة التي عاناها في السجن، جعلته يصوغ قوانين جديدة تتماشى مع حاله ولا يشترط أن يقتنع بها الآخر، بل عليه أن يفهمها بربطها بالسياق ، فيقبل المتلقي الغراب جالبا للفأل الحسن، والمعتمد هنا يلجأ إلى تحسين القبيح، ليعبّر به عن مدى وحدته ومعاناته،فيعترف أن العرب تلقّب الغراب بالأعور وتتطير منه، لكن في حاله لا يجد إلاّ أن يتمسك بأيّ إشارة تساعده على توقّع حدوث أمر مستحبّ. لكنّه سرعان ما يتراجع عن المخاطرة المتمثلة في الخروج عن المشترك وصدم المتلقي، وذلك في حديثه عن العقارب، فيدعو عليها وينظر اليها نفس النظرة المشتركة عند العرب. فينسب اليها سهره لأنّ العرب تخاف اللسع فيبيت يقظا مخافته، ويبتعد بنا عن الاعتقاد بأنّ الدّاعي الى سهره هو غربته ووحدته وبعده عن أهله. وتفسير هذا لأنه لم يعُد يحسّ بحرقة الغربة والوحدة والمعاناة منها.

القطا:

واجتاز يوما عليه في أسره سربُ قطا، فهاج وجده، وأثار من لاعج الشوق ماعنده.

[1] – ينظر: المعتمد بن عبّاد: الديوان، ص:100.

فقال[1]: [من الطويل]

بَكـــيْتُ إلى سِرب القَطـــا إذ مررْنَ بي سوارِحَ ، لا ســـــجنٌ يـعوقُ ولا كبلُ
ولـــم تَكُ ــ واللهُ المعيذُ ــ حَـــسادةً ولكنْ حنينًا أنَّ شَـــكلي لها شَكْـلُ
فأسرحُ ، لا شَملي صديعٌ ، ولا الحشا وَجيعٌ ، ولا عَيْنايَ يُبـــكيهما ثُكـلُ
هنيـــئا لها أنْ لـــــم يُفَرَّقْ جميعُها ولا ذاقَ منـــها البُعدَ مِن أهلِها أَهلُ
وأَنْ لم تَبِتْ مِثـــــلي تطيرُ قلوبُها إذا اهتزَّ بابُ السّجن أو صلصلَ القُفلَ
وما ذاكَ ممّا يعـــــتريني , وإنّما وصفتُ الذي في جِبلَةِ الخلـقِ مِن قَبلُ
لِنَفسي إلى لُقيا الحِمامِ تَـــــشوُّقٌ سواي يحبُّ العيش في ساقِهِ حَـــجلُ
ألا عَصَمَ اللهُ القطا في فـــــراخِها فإنَّ فِراخي خـــــانَها الماءُ والظلُّ

ويورد الجاحظ عن القطا حديثا فيقول:"فلمّا تهيأ للقطاة ثلاثة أحرف قاف وطاء وألف، وكان ذلك هو صوتها سموها بصوتها، ثم زعموا أنّها صادقة في تسميتها نفسها قطا[2]. فجعلوها صادقة ومخبرة ومريدة".[3]والشاعر يستمدّ من المعنى المتعارف عليه من خلال مفهوم المشترك، أنّ القطا ستُخبر من تلقاه بتَوْق المعتمد إلى الحرّية، وأنّها ستكون صادقة في نقل هذا الخبر.

4-3- السلّم الحجاجي:Echelle argumentatif

يعدّ السّلّم الحجاجي من الآليات الحجاجية شبه المنطقية، ولقد أفردناه بالدراسة، وذلك للنتائج التي توصّلنا إليها من خلال تحليل الروابط والعوامل الحجاجية باستعمال قوانين السلّم الحجاجي. ويمكن تعريفه بأنّه:" مجموعة غير فارغة من الأقوال، مزوّدة بعلاقة ترتيبية، وموفية بالشرطين التاليين:

أ- كلّ قول يقع في مرتبة ما من السلّم يلزم عنه ما يقع تحته، بحيث تلزم عن القول الموجود في الطّرف الأعلى جميع الأقوال التي تقع دونه.

[1] - ينظر: المعتمد بن عبّاد: الديوان، ص: 111.110.

[2] - ينظر: الجاحظ: الحيوان، ج 5، ص: 287.

[3] - ينظر: المرجع نفسه، ص: 579. ومن الشعر الذي ذُكرت فيه القطاة. ينظر: ص: 286.

ب- كلّ قول كان في السلّم دليلا على مدلول معيّن، كان ما يعلوه مرتبة دليلا أقوى عليه.[1]

وللسلّم الحجاجي ثلاثة قوانين:

أ- قانون النفي: ومقتضاه: " أنّه إذا كان القول دليلا عى مدلول معيّن، فإنّ نقيض هذا القول هو نقيض مدلوله".

مثال: - زيد مجتهد، لقد نجح في الامتحان.

- زيد ليس مجتهدا، إنه لم ينجح في الامتحان.

فإذا قبلنا الحجاج الوارد في البيت الأول ، وجب علينا أن نقبل الحجاج الوارد في البيت الثاني.

ب- قانون القلب: ومقتضاه:"أنّه إذا كان أحد القولين أقوى من الآخر في التدليل على مدلول معيّن، فإنّ نقيض الثاني أقوى من نقيض الأوّل في التدليل على نقيض المدلول"

مثال: - حصل زيد عل الماجستبر، وحتى على الدكتوراه.

- لم يحصل زيد على الدكتوراه، بل لم يحصل على الماجستير.

فحصول زيد على الدكتوراه أقوى دليل على مكانته العلمية في حصوله على الماجستير.

أمّا عدم حصوله على الماجستير، هو الحجة الأقوى على عدم كفاءته من عدم حصوله على الدكتوراه.

ج- قانون الخفض: ومقتضاه:" أنّه إذا صدق القول في مراتب معيّنة من السلّم، فإنّ نقيضه يصدق عى المراتب التي تقع تحتها"[2]

مثال: - الجوّ ليس باردا.

- لم يحضر كثير من الأصدقاء إلى الحفل.

تأويل المثال الأول: الجو ليس باردا، يعني أنّ الجوّ حارّ أو دافئ.

تأويل المثال الثاني:- لو يحضر إلا القليل من الأصدقاء إلى الحفل.[3]

وهناك مفهوم آخر مرتبط بالسلم الحجاجي، هو مفهوم **الوجهة أو الاتّجاه الحجاجي**

[1] - ينظر: طه عبد الرحمن: اللسان والميزان، ص: 277.

[2] - ينظر: المرجع نفسه، ص: 278.

[3] - ينظر: أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج ، العمدة للطبع،الدر البيضاء، ط1، 2006.ص: 24.

orientation l، ومعنى هذا أنّه إذا كان قول ما يُمَكّن من إنشاء فعل حجاجي فإنّ القيمة الحجاجية لهذا القول يتمّ تحديدها بواسطة الاتّجاه الحجاجي، وهذا الأخير قد يكون صريحا أو مضمرا، فإذا كان القول أو الخطاب معلَّما marqueأي مشتمِلا على بعض الروابط والعوامل الحجاجية، فإنّ هذه الأدوات والروابط تكون متضمّنة لمجموعة من الإشارات والتعليمات instruction التي تتعلّق بالطريقة التي يتمّ بها توجيه القول أو الخطاب. أمّا في حالة كون القول غير معلَّم، فإنّ التعليمات المحدّدة للاتّجاه الحجاجي تستنتج إذّاك من الألفاظ والمفردات، بالإضافة إلى السياق التداولي والخطابي العام".[1]

4-3-1- الروابط الحجاجية operateur argumentatif: و"هي الأدوات اللغوية التي تربط بين قضيّتين"[2] بسيطتين لتكوّنا معّا ما يسمّى بالقضية الكبرى، فالروابط تدخل على أكثر من قضية أو هي ما تتحدّد به القضيّة الكبرى.[3] وتقوم الروابط الحجاجية بترتيب درجات القضايا بوصفها حججا في الخطاب، ونذكر منها: لكن، بل، حتّى، إذن، بما أنّ، لا سيما...إلخ.[4]

ولايكفي وجود الروابط والعوامل الحجاجية لضمان سلّمية العمليّة الحجاجية وقيام العلاقة الحجاجية، من غير وجود ضامن يربط بين الحجّة والنتيجة، وهذا الضامن يُعرف **بالمواضع** topoiالحجاجية؛ وهي:" قواعد عامّة تجعل حجاجا خاصّا ما ممكنا".[5] وهي:" مبدأ حجاجي عامّ من المبادئ التي يستعملها المتخاطبون ضمنيا للحمل على قبول نتيجة ما". فا**لموضع**:" فكرة مشتركة مقبولة لدى جمهور واسع، وعليها يرتكز الاستدلال في اللّغة".[6]

[1] – ينظر: أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، ص: 25.

[2] – ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص: 508.

[3] – ينظر: عز الدين الناجح: العوامل الحجاجية في اللغة العربية، مكتبة علاء الدين للنشر والتوزيع، صفاقس، تونس، 2011. ص: 22.

[4] – ينظر: أبو بكر العزاوي: الحجاج في اللغة، ص: 26.

[5] – ينظر: المرجع نفسه، ص: 31.

[6] – ينظر: شكري المبخوت: نظرية الحجاج في اللغة ، ضمن أهم نظريات الحجاج في التقايد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ضمن: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، فريق البحث في البلاغة والحجاج، إشراف: حمّادي صمّود، منشورات كلّية الآداب جامعة منوبة ، تونس، ط1، 1986. ص: 380.

ويطلق عليها عبد الله صولة مصطلح " المعاني" ومنها اشتقّت كلمة الطوبيقا وهي المصنّفات المجعولة للاستدلال الجدلي. حيث أنّ الخطيب – مثلا – يعمد إلى استخدام القيم وهرميّتها للرفع من درجة إذعان الجمهور.[1]

إذن فالمواضع الحجاجية؛ هي مجموعة من المسلّمات والأفكار والمعتقدات المشتركة بين أفراد مجموعة لغوية وبشرية معيّنة، والكلّ يسلّم بصدقها وصحّتها، فالكلّ يعتقد أنّ العمل يؤدّي إلى النجاح، وأنّ التعب يستدعي الراحة، وأنّ الصدق والكرم والشجاعة من القيم المحبّبة لدى المجتمع، وأنّ انخفاض ميزان الحرارة يجعل سقوط المطر محتملا.[2]

ويقول الباحثان انسكومبر وديكرو؛" المواضع مصطلح اقترضناه من أرسطو وأعطينا معنى مغايرا شيئا ما...فعندما نقول مواضع نقصد بها مجموعة مبادئ عامّة" أو أفكار عامة idees generales. وهذه المبادئ العامّة هي التي تشدّ من أزر العامل أو الرابط الحجاجي، وتقوّي سلطانه على الملفوظ بفضل ما تفرضه بذلك النمط المخصوص من الاستدلال inference.[3]

وإذا عدنا إلى شعر الأسر عند المعتمد بن عبّاد، فإنّنا سنكتفي بدراسة ثلاثة روابط حجاجية؛ لورودها في المدوّنة من ناحية، ولتحليل الدّارسين للحجاج له.:

1-حتّى:

وهي من أدوات السلّم الحجاجي، لدورها في ترتيب منزلة العناصر، ولما تدلّ عليه استعمالاتها المختلفة؛ أهمّها التدرّج في توجيه الحجج. وقد استعملها المعتمد في حالة "حتّى العاطفة" ؛ ولها شرطان:

– أن يكون ما بعدها من جنس ما قبلها أو كبعضه.

– أن يكون مابعدها غاية لما قبلها في زيادة أو نقصان؛ والزيادة تشمل القوة والتعظيم والنقص يشمل الضغف والتحقير.

[1] – ينظر: عبد الله صولة: الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنّف في الحجاج – الخطابة الجديدة لبرلمان وتيتيكان. ضمن: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، فريق البحث في البلاغة والحجاج، إشراف حمادي صمّود، كلية الآداب جامعة منوبة تونس، ط1. 1986. ص: 311.

[2] – أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، ص: 34.

[3] – ينظر: عز الدين الناجح: العوامل الحجاجية، ص: 87.

كقولنا: قدِم الحجّاج حتّى المشاة هذا تحقير، وقولنا: مات الناس حتّى الأنبياء. فهذا تعظيم. وقولنا:رأيت القوم حتّى زيدا. لأنّ زيد من جنس القوم.[1]

فـ"حتى" تجمع بين التراتبية[2] والتدرج.

ففي قوله:[من الطويل]:[3]

سَرَتْ مِنَ الغَربِ لا يُطوى لها قَـدَمُ حتّى أَتَتْ شَـــــــرقها تَنعاكَ إشراقا

ن: سرعة انتقال أنباء أسر المعتمد

ق2 – أتَت شرقها تنعاك إشراقا

حتى

ق1 – سَرَت من الغرب

يتضمّن هذا البيت حجّتين:

أ- الأولى: سَرَت من الغرب.

ب- الثانية: حتّى أتَت شرقها تنعاك إشراقا.

وهاتان الحجّتان لا ترِدان في الدرجة نفسها من درجات السلّم الحجاجي. لأنّ الحجّة الثانية التي وردت بعد حتّى؛ وهي: أتَت شرقها تنعاك إشراقا. أقوى من الحجّة الأولى التي وردت قبل حتّى: سَرت من الغرب. وهما تؤدّيان إلى نتيجة ضمنية مفادها انتشار أنباء المعتمد في كلّ مكان.

[1] – ينظر: ابن يعيش: شرح المفصّل للزمخشري، ج5، ص: 15.

[2] – ينظر: آن روبول وجاك موشلار: التداولية اليوم علم جديد في التواصل، تر: سيف الدين دغفوس، محمد الشيباني، مراجعة: لطيف زيتوني، المنظمة العربية للترجمة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت لبنان، ط1، 2003. ص:175.

[3] – ينظر: المعتمد بن عباد: الديوان، ص: 110.

2- **لكن:**

" تكون مخفّفة ومثقلة (...) معناها في كلتا الحالتين الاستدراك والتوكيد.[1]

وهي تعطف بعد النفي، كقولك: "ما جاء زيد بل عمرو" فتوجِب بها بعد النفي. وتخرِج الشك من قِبَل المخاطَب إذ جاز أن يعتقد أنّ عمرًا لم يأت مع ذلك (...) لأنّ الاستدراك إنّما يقع فيما يُتوهّم أنّه داخل في الخبر، فيستدرك المتكلّم إخراج المستدرَك منه (...)، ولكنْ لابد فيها من نفي وإثبات، إن كان ماقبلها منفي، كان ما بعدها مُثبَتا، وإن كان قبلها إيجاب كان ما بعدها منفيّا.[2]

هنالك تعارض حجاجي بين ما يتقدّم الرابط وما يتلوه، فالقسم الأول يتضمّن حجّة تخدم نتيجة، والقسم الثاني يتضمّن حجّة تخدم النتيجة المضادّة للنتيجة السابقة.

وبما أنّ النتيجة الثانية أقوى من الأولى، فإنّها توجّه القول بمجمله نحو النتيجة المضادّة للنتيجة الأولى.ففي قوله تعالى:﴿ **أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾[3]

نلاحظ أنّ الرابط يربط بين حجّتين؛ الأولى موجّهة نحو نتيجة معيّنة(ن) والثانية موجّهة نحو النتيجة المضادّة لها(لا–ن) مثال:

القسم الأوّل من الآية : (إنّ وعد الله حق) يتضمّن حجّة تخدم نتيجة من قَبيل: " سيقوم الناس بالواجب" أو " سيُطيعون ويتّقون" .

والقسم الثاني منها: (أكثرهم لا يعلمون) يتضمّن حجّة تخدم النتيجة المضادّة للنتيجة السابقة، أي تخدم نتيجة من نمط: " الناس غافلون" أو " لن يطيعوا ربّهم ولن يتّقوه". [4]

[1] – ينظر: الرماني: معاني الحروف، حققه وخرّج شواهده ، وعلق عليه، وقدم له، وترجم للرماني، وأرّخ لعصره: عبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار الشروق للنشر والطباعة والتوزيع، جدة المملكة العربية السعودية، ط2. 1981. ص: 133.

[2] – ينظر: ابن يعيش: شرح المفصل: ج5، ص: 30.28.

[3] – سورة: يونس الآية 55.

[4] – ينظر: أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، ص: 58.

في قول المعتمد [1]: [من الطويل]

ولـــم تَكُ ــ واللهُ المعيذُ ــ حَـــــسادةً ولكنْ حنينًا أنَّ شَـــــكلي لها شَكْـــلُ

ففي الحجّة الأولى:لم تَكُ حسادةً؛ هذا القول يستلزم نتيجة واحدة، وهي التي تنقاد إلى ذهن المتلقّي، وهي أنّه لا يحسد القطا.

غير أنّ الشاعر يستعمل لفظ: لكن ليعكس رأيه بالاستدراك، وتوجيه الحجاج لما سيتلوها اعتمادا على ما قبلها. فكانت الحجّة الثانية أقوى. وهي: حنينا أن يكون شكلي لها شكل. التي تتضمّن نتيجة مفادها: رغبة الشاعر في الحرّية مثل القطا ، وهي النتيجة المضادّة النتيجة الأولى.

بهذا يكون الشاعر قد رتّب حججه في سلّم واحد؛ إذ جعل حسد القطا في مرتبة أدنى، وجعل مشابهته لها في مرتبة أعلى، ليصل إلى نتيجة ضمنية مفادها أنّه يتوق إلى الحرّية ويتمنّاه. وفق السلّم الحجاجي التالي:

ن: المعتمد يتوق للحرية ويتمناها

ق2 – يريد أن يكون شكلها له شكل

لكن

ق1 – المعتمد لا يحسد القطا على حريتها

وفي قوله [2]: [من الوافر]

ولكـــنَّ الـــدُّعاءَ إذا دعـــــاهُ ضميرٌ خـــــــــالِصٌ نَفَعَ الدُّعاءُ

[1] – ينظر: المعتمد بن عبّاد: الديوان، ص: 111.110.

[2] – ينظر: المصدر نفسه، ص:90.

يتضمّن هذا البيت حجّتين.

الحجّة الأولى:الأسير لا يريد الدّعاء بالبقاء الذي يُطيل شقاءه. وهذا يستلزم نتيجة واحدة تنقاد إلى ذهن المتلقّي، هي أنّه لا يريد أن يعيش حياة الشقاء في الأسر.

غير أنّه يستعمل لفظ لكن ليعكس النتيجة، ويستدرك. وبذلك يقوم بتوجيه الحجاج لما سيتلوها اعتمادا على ما قبلها. ليأتي بالحجّة الثانية: الدعاء من ضمير خالص ينفع. لتحمل نتيجة ضمنية: الدعاء للأسير ينفع. وهي النتيجة المضادّة لنتيجة الحجّة الأولى.

بهذا يكون الشاعر قد رتّب حججه في سلّم حجاجي واحد. ليصل إلى نتيجة ضمنية مفادها: الأسير يقبل الدعاء لتحسين حال. ويمكن توضيح ذلك بالسلم الحجاجي الآتي:

ن: الأسير يقبل الدعاء لتحسين حاله

ق2 – الدعاء من ضمير خالص ينفع

لكن

ق1 – الأسير لا يريد الدعاء بالبقاء الذي يطيل شقاءه

وفي قوله[1]: [من الكامل]

خرَجوا يستســـــقوا فقلتُ لهم: دمعي ينوب لكـــــــــم عن الأنواء

قـــالوا: حقيقٌ في دموعكَ مقنَعٌ لكنّها مـــــــــــــمزوجةٌ بدماء

[1] – ينظر: المصدر السابق، ص:89.

ن: نَصَب المعتمد في أسره

ق2 – ممزوجة بدماء لكنها

ق1 – حقيق في دموعك مقنع

يتضمّن البيت الثاني حجّتين:

الحجّة الأولى: دموع المعتمد تكفي للسقي. وهذا يستلزم نتيجة واحدة هي: أنّ دموع المعتمد كثيرة غير أنّه يستعمل الرابط "لكن" يستدرك ويعكس النتيجة، وبذلك يقوم بتوجيه الحجاج لما سيتلوها اعتمادًا على ما قبلها. الحجّة الثانية: دموع المعتمد لا تصلح للسقي منها لأنّها ممزوجة بالدماء. وهذا يؤدّي إلى نتيجة ضمنية، هي نَصَب المعتمد فس أسره.

3-بل:

ومعناها الإضراب عن الأوّل والإيجاب للثاني.[1]

و"الإضراب له معنيان؛ أحدهما: إبطال الأوّل والرجوع عنه.والآخر إبطاله لانتهاء مدّة ذلك الحكم؛ وإنّما يريد أنّ ذلك الكلام انتهى، وأخذ في غيره"[2]. فالأوّل يعني التعارض الحجاجي antiorientation argumentatif؛ وبل تنتقل من حجّة إلى حجّة أقوى منها، أي من درجة إلى درجة أرقى في السلّم الحجاجي. وهذا دلالة على الإضراب والإبطال؛ فالانتقال في جوهره حركة إبطال لما سبق "بل" لإثبات ما يليه، فهي تجعل ما قبلها كالمسكوت عنه، لا يعنيها الخوض فيه.

والثاني تعبّر فيه عن التساوق الحجاجي coorientation argumentatif – وهو ما يهمّنا في هذا السياق – .

[1] – ينظر: الرماني: معاني الحروف، ص: 94.

[2] – ينظر: ابن يعيش: شرح المفصل، ج5، ص: 28

مثال: باع عليّ عقّاره ومنزله بل باع أثاثه.

إنّ الرّابط "بل" يربط بين مجموعة من الحجج المتساوقة؛ هي: باع عقّاره، باع منزله، باع أثاثه. إلاّ أنّ الحجّة الواردة بعد الرابط الحجاجي"بل" أقوى من الحجج الواردة قبله. وكلّها تخدم نتيجة مضمرة من قبيل: " أصبح مفلسا."[1]

ففي قول المعتمد[2]: [من الوافر]

أنباءُ أسْرِكَ قد طبّقنَ آفاقا بل قد عمَمنَ جهاتِ الأرضِ إشراقا

يتضمّن هذا البيت حجّتين تمّ الربط بينهما بالرابط الحجاجي " بل":

الحجّة الأولى: أنباء الأس قد طبّقن آفاقا.

الحجّة الثانية: عمَمن جهات الأرض إقلاقا.

وهاتان الحجّتان متساوقتان؛ أي تخدمان نتيجة واحدة، من قَبيل: انتشار أنباء أسر المعتمد.

إلاّ أنّ الحجّة الواقعة بعد الرابط أقوى من الحجّة التي تتقدّمه.

ويمكن توضيح ذلك بالسلّم الحجاجي الآتي:

ن: انتشار أنباء أسر المعتمد

ق2 – عممن جهات الأرض إقلاقا

بل

ق1 – طبّقن أفاقا

4-3-2- العوامل الحجاجية connecteurs argumentatifs: هي أدوات لغوية تدخل على قضيّة واحدة، وبين الروابط الحجاجية، التي تدخل على أكثر من القضية. أو هي ما تتحدّد

[1] – ينظر: ، أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، ص: 65.64.

[2] – ينظر: المعتمد بن عبّاد: الديوان، ص:110.

به القضيّة الكبرى.[1] فالعوامل الحجاجية لا تربط بين متغيرات حجاجية (أي بين حجّة ونتيجةأو بين مجموعة حجج)، ولكنّها تقوم بحصر وتقييد الإمكانات الحجاجية التي تكون لقولٍ ما. ومنها أدوات القصر: إنّما، ما...إلاّ.[2]

1- **إنّما:**

هي أمّ أدوات القصر ولا تُستعمل إلاّ فيه، وقد خصّها الجرجاني بالحديث في الدلائل. إذ يقول: " إعلم أنّها تفيد في الكلام بعدها إيجاب الفعل لشيء ونفيه عن غيره، فإذا قلت: إنما جاءني زيد: عقل منه أنّك أردت أن تنفي أن يكون الجائي غيره فمعنى الكلام معها شبيه بالمعنى في قولك: جاءني زيد لا عمرو".[3]

إذا أخضعنا هذه الجملة لمقولة التوجيه في الحجاج لديكرو لاحظنا كيف أنّ إنّما بإدخالها على العبارة وجّهت الملفوظ نحو نتيجة محدّدة،[4] فالجائي كما قال الجرجاني ليس إلاّ زيدا، وهذه هي النتيجة التي يروم الباثّ إيصالها للمتقبّل الذي يتوهّم أنّ الجائي عمرو أو صالح.

ويقول الجرجاني:" فإذا قلت:" إنما جاءني زيد. لم يكن غرضك أن تنفي أن يكون قد جاء مع زيد غيره وكن أن تنفي أن يكون المجيء الذي قلت إنّه كان منه كان من عمرو، وكذلك تكون الشبهة مرتفعة في أن ليس ههنا جائيان وإن ليس إلاّ جاءٍ واحد"[5]

ووجود"إنّما" في الخطاب يخرجه من كونه خطابا عاديا غايته الإبلاغ والإخبار إلى خطاب له غاية حجاجية.

ويبيّن الجرجاني المفاهيم التي تثيرها " إنّما" عند المخاطَب؛ يقول:" اعلم أنّ موضوع (إنّما) على أن تجيء لخبر لا يجهله المخاطَب ولا يدفع صحّته أو لما ينزل هذه المنزلة. تفسير ذلك أنّك تقول للرجل: إنّما هو أخوك وإنّما هو صاحبك القديم: لا تقوله لمن يجهل ذلك ويدفع صحّته ولكن لمن

[1] – ينظر: عز الدين الناجح: العوامل الحجاجية، ص:22.

[2] – ينظر: أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، ص: 27

[3] – ينظر: عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز: ص: 258.

[4] – ينظر: عز الدين الناجح: العوامل الحجاجية، ص: 54.

[5] – ينظر: الجرجاني: دلائل الإعجاز،، ص: 259.

يعلمه ويقرّ به، إلاّ أنّك تريد أن تنبّهه للذي يجب عليه من حق الأخ وحُرمة الصاحب"[1] وحقّ الأخ وحرمة الصاحب؛ هي أقوال تلقى قبولا عند جمهور واسع من المتلقّين.وهذا ما يتّفق مع مبدأ **المواضع** في الحجاج، واستغلالها في الاستدلال على صحة الأقوال، من خلال إيجاد شرعية لها، وبالتالي حمل المتلقّي الواحد والمقصود على الإذعان إلى الحكم الصادر عن المتكلّم، بإرجاعه إلى العُرف الذي ينتمي إليه هذا المتلقّي.

ففي قوله[2]:[من الكامل]

سلّت عليّ يدُ الخُطوبِ سيوفَها فجَذذنَ من جلدي الحصيفَ الأمتنا

ضرَبت بها أيدي الخُطوب وإنّما ضرَبَت رقابَ الآملين بها المُـــــنى

إنما ضربت رقاب الآملين بها المنى ← الهزيمة

← الأسر

← تحطيم المنى

▼ الموت

ءإنّ هذا القول جيءَ به للحجاج، فإمكانية الحديث بعده متواصلة.

فالقول: **إنّما ضربت رقاب الآملين بها المنى. تتناسل** منه مجموعة من الأقوال مِن قَبيل:

الهزيمة، الأسر، تحطيم المنى، الموت.

وتكون هذه الأقوال مقبولة لدى جمهور واسع، ويمكن تحليل هذه الأقوال كما يلي:

الهزيمة: الملوك الذين يعيشون في مدافعة عروشهم يمكن أن ينهزموا

الأسر: كل من ينتصر في الحروب سيهزم ويسجن

تحطيم المنى: يأمل الملك من الخطوب تحسين حاله وهذا طمع لكن يمكن أن تسوء حاله

الموت: كل من يتمنّى دوام مُلكه سيموت إمّا في الحرب أو بالخيانة.

[1] – ينظر: المرجع السابق، ص: 254.

[2] – ينظر: المتعمد بن عبّاد: الديوان، ص:115.

وفي قوله[1]: [من الطويل]

وما ذاكَ مـمّا يعـــــــــتريني , وإنّما وصفتُ الذي في جِبلَةِ الخلـقِ مِن قَبلُ

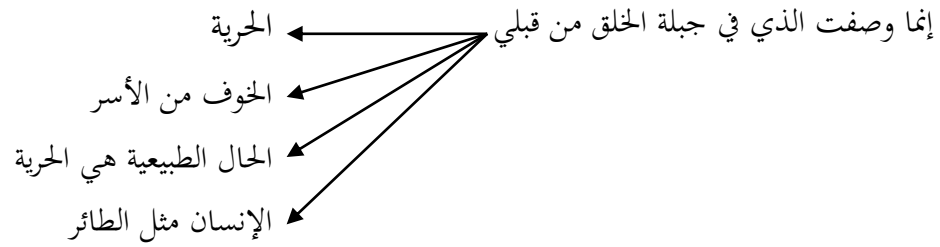

إنّ هذا القول جيءَ به للحجاج، فإمكانية الحديث بعده متواصلة. إنّ هذا القول جيءَ به للحجاج، فإمكانية الحديث بعده متواصلة.

فالقول: إنّما وصفت الذي في جبلة الخلق من قبل. تتناسل منه مجموعة من الأقوال مِن قَبيل:

الحرية، الخوف من الأسر، الحال الطبيعية هي الحرية، الإنسان مثل الطائر.

وتكون هذه الأقوال مقبولة لدى جمهور واسع، ويمكن تحليل هذه الأقوال كما يلي:

الحرية: الإنسان يتوق إلى الحرية

الخوف من الأسر: الإنسان يخاف من الأسر

الحال الطبيعية هي الحرية: الإنسان من طبيعته العيش بحرية.

الإنسان مثل الطائر: لا يستطيع أن يعيش حياته في قفص.

وفي قوله[2]:[من البسيط]

مَن بـاتَ بعدَكَ في مُـلكٍ يُسرُّ به فإنّما بـــــــاتَ بالأحلام مغرورا

إنّ هذا القول جيءَ به للحجاج، فإمكانية الحديث بعده متواصلة.

فالقول: إنّما بات بالأحلام مغرورا تتناسل منه مجموعة من الأقوال مِن قَبيل:

[1] – ينظر: المعتمد بن عبّاد: الديوان، ص: 111.110.

[2] – ينظر: المصدر نفسه، ص: 101.

فسينتزع منه الـمُلك، فسيُسجن، فسيُقتل، فسيُذَلّ.

وتكون هذه الأقوال مقبولة لدى جمهور واسع، ويمكن تحليل هذه الأقوال كما يلي:

سيُنتزع منه الـمُلك ⟵ الأحوال السياسية متغيّرة وإمكانية انتزاع الـمُلك قائمة في الماضي والمستقبل.

فسيُسجن ⟵ يوجد من الملوك من سُجِن ولا يمنع شيء حدوث هذا في المستقبل

فسيُقتل ⟵ يوجد من الملوك من يُقتل ويستولي العدوّ على مُلكه

فسيُذلّ ⟵ إنّ السجن يؤدّي إلى تغيّر الظروف والتقييد الذي يدلّ على الذلّ.

إنما بات بالأحلام مغرورا

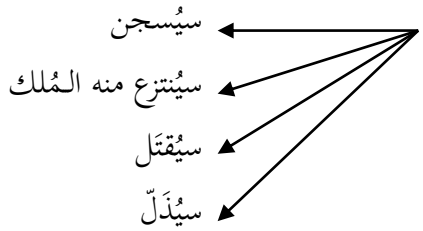

إنّ العامل الحجاجي "إنّما" هو المدخل لتفعيل المواضع في الحجاج، وهي استغلال الأفكار العامة والمشتركة للاستدلال على القضيّة الواحدة، وتقوية سلطان العامل على الملفوظ، من خلال مقولة تناسُل الأقوال من الملفوظ الذي يقدّمه المتكلّم.

2- **ما...إلاّ:**

تفيد الحصر، و" ما...إلاّ" تنقل الكلام من العموم إلى الخصوص، وتكتفي من ذكر المستثنى منه، إذا قلت: ماقام إلاّ زيد"[1]. وهو عامل حجاجي يوجّه القول وجهة واحدة.[2] أي نحو قول الجرجاني: ما ضرب زيدًا إلاّ عمرو. كان غرضك أن تختصّ عمرًا بضرب زيد لا بالضرب على الإطلاق"[3]. وهذا هو مفهوم التوجيه الحجاجي، أي إنّ القول يتّجه نحو النتيجة التي يقصدها المتكلّم لا غيرِها، وفق مسارات باعتبارها مواضع، ومنه ما يكون مقبولا ومنها ما يكون فاسدا حجاجيا.

مثال: 1 – الساعة الآن الثامنة.

يمكن أن تكون النتيجة: "أسرع" استنادا إلى موضعين:

الموضع (1): كل ما كان أمامنا متّسع من الوقت أسرعنا أكثر. (+ +)

الموضع (2): كل ما كان أمامنا وقت أقلّ أسرعنا أكثر. (– +)

كما يمكن أن تكون النتيجة من المثال 1 : لا تسرع. استنادا إلى موضعين:

الموضع (3): كل ما كان أمامنا وقت أقلّ أقللنا السرعة. (– –)

الموضع (4): كل ما كان أمامنا وقت أكثر أقللنا السرعة. (+ –)

جميع المواضع السابقة جائزة وتمثّل مسارات مقبولة للنتيجة وعكسها.

نقحم العامل الحجاجي: "ما...إلاّ" على المثال 1، يصبح:

– ما الساعة إلاّ الثامنة.

للوصول إلى النتيجة "أسرع" لا يمكن أن نعتمد سوى موضع واحد هو الموضع (1):ما هي إلاّ الثامنة أسرع: أي كل ما كان أمامنا وقت أكثر أسرعنا أكثر.

[1] – ينظر: ابن يعيش: شرح المفصل، ج2، ص: 61.

[2] – ينظر: شكري المبخوت، نظرية الحجاج في اللغة، ضمن أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم.ص: 381.

[3] – ينظر: عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص: 269.

الموضع (2) : ما هي إلاّ الثامنة أسرع: ذلك أنه كل ما كان أمامنا وقت أقل أسرعنا أكثر. الموضع صحيح لكن تسلسل الخطاب enchainement du discours خاطئ[1]، لأن المعنى لا يكون نفسه.

الموضع (3) والموضع (4) لا يعنينا تفصيلهما، لأنّ النتيجة المقودة هي الإسراع وليس عدم الإسراع.

وفي مدوّنة الدراسة؛ لدينا المثال من البيت الآتي: في قوله؛ وقد دخل عليه ابنه أبو هاشم فارتاع لقيده[2]:[من السريع]

والغيْرُ لايـــــفهَمُ شيْئا فما يفتح إلاّ للرضاع فمـــــــــا

القول: **ما يفتح إلاّ للرضاع فما.** للوصول إلى النتيجة: **لا يفهم شيئا.**

الموضع (1): كل من لا يفتح إلاّ للرضاع فمًا لا يفهم شيئا. (+ +)

الموضع (2): كل من لا يفتح إلاّ لغير الرضاع فمًا لا يفهم شيئا (− +)

الموضع (3): كل من لا يفتح إلاّ للرضاع فمًا يفهم شيئا (+ −)

الموضع (4): كل من لا يفتح إلاّ لغير الرضاع فمًا يفهم شئيا (− −)

جميع هذه المواضع صحيحة، وكلّ منها يبقى قبولا عند جمهور ما. لكن لا توصلنا جميع المواضع إلى النتيجة المطلوبة.

فالموضع (1) هو الوحيد الذي يوصلنا إلى النتيجة: لا يفهم شئيا.

أمّا الموضع (2): الموضع صحيح، لأنّه يجد جمهورا يقبله، لكنه لا يوصل إلى النتيجة: لا يفهم شيئا. لأنّه ليس كلّ من تجاوز مرحلة الرضاع لا يفهم شيئا، فهنالك من يفهم. فيحدث خطأ في التسلسل الخطابي.

الموضع (4) يوصل للنتيجة العكسية، أمّا الموضع (3): الموضع صحيح، لكن التسلسل الخطابي خاطئ.

[1] – ينظر: عز الدين الناجح: العوامل الحجاجية، ص:110.109. .

[2] – ينظر:المعتمد بن عباد: الديوان ص:112.

ساعد العامل الحجاجي ما ...إلاّ على **الاسترسال**.

4-4- الحجاج التقويمي:

"وهو حجاج على خطاب متوقع من مرسل إليه متخيّل يفترض المرسل وجوده تحسّبا لأيّ اعتراضات قد يواجه بها خطابه، بالاستناد إلى معرفته به وبعناصر السياق ومن ذك حُججُه المفترضة"[1] . ويظهر الحجاج التقويمي في الخطاب الشعري من خلال استعمال ملفوظات من قَبيل: قال ... فقُلتُ، إن قيل...قيل.

فالشاعر يقوم بتجريد ذات منه تمثّل متلقّي خطابه، فيتوقّع اعتراضاته ويستبق حججه لدحضها، وبالتالي الوصول إلى إقناعه بوجهة نظره.

ويرى طه عبد الرحمن أنّ الحجاج التقويمي :" هو إثبات الدّعوى بالنظر إلى قدرة المستدلّ على أن يُجرّد من نفسه ذاتا ثانية، يُنزِلها منزلة المعترض على دعواه، فههنا لا يكتفي المستدلّ بالنظر في فعل إلقاء الحجّة إلى المخاطب، واقفا عند حدود ما يوجب عليه من ضوابط وما يقتضيه من شرائط، بل يتعدّى ذلك إلى النظر في فعل المتلقّي، باعتباره هو نفسه أوّل متلقٍّ لما يُلقي، فيبني أدلّته على مقتضى ما يتعيّن على المستدلّ له أن يقوم به، مستبقا استفساراته واعتراضاته ومستحضرا مختلف الأجوبة عليها ومستكشفا إمكانات تقبّلها واقتناع المخاطَب بها، وهكذا، فإنّ المستدلّ يتعاطى لتقويم دليله بإقامة حوار بينه وبين نفسه، مراعيا فيه كلّ مستلزماته التخاطبية من قيود تواصلية وحدود تعاملية، حتّى كأنّه عين المستدَلّ له في الاعتراض على نفسه."[2]

وقد وردت فكرة الحجاج التقويمي في البلاغة العربية في باب الفصل والوصل؛ وما سمّاه الجرجاني بالاستئناف البياني؛ يقول تعالى: ﴿**قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ (57) قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ (58)**﴾[3]

[1] – ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص: 473.

[2] – ينظر: طه عبد الرحمن: اللسان والميزان، ص: 228.

[3] – سورة الحجر الآية:58.57.

وذلك أنّه لا يخفى على عاقل أنّه جاء على معنى الجواب، وعلى أن يُنزّل السامعون كأنّهم قالوا: فما قال له الملائكة فقيل إنّا أرسلنا إلى قوم مجرمين."[1] وهذه هي المحاورة باستعمال الفعل "قال" وتصريفاته.

وفي شعر الأسر عند المعتمد بن عبّاد نجد أنّ الشاعر استعمل الحجاج التقويمي، وفيما يلي تحليل النماذج:

ففي القصيدة التي قالها عند المدافعة على عرشه، يقول[2]: [من الكامل]

لـمّا تــماسكتِ الدّمـــــوع وتنبّــهَ القـــــلبُ الــصّـديع
قالوا: الخضــوع ســـــياسةٌ فَـلْيَبـدُ منـــكَ لـهُم خضـوع
وألذُّ مِن طـــعمِ الخـــــضو ع على فـــمي الـسّمُّ النّقـيع

فقد جرّد من نفسه ذاتا ثانية تمثّلت في وزرائه ومستشاريه، وقدّم اعتراضاتهم على مواجهة المرابطين الذين يريدون سلب عرشه، وتتمثل في الحجج التالية:

ح1: الخضوع سياسة.

ح2: التظاهر بالخضوع

ويدحض المعتمد هذه الحجج بحججه هو:

ح1: ألذّ من طعم الخضوع على فمي السمّ النقيع.

ح2: القلب بين ضلوعه لم تسلم القلب الضلوع.

وفي قوله [من الطويل]:[3]

قد ضاقَ صدرُ المعالي إذْ نُعيتَ لها وقيـــــلَ: إنَّ عليْكَ القيدَ قد ضاقا
أنَّ غُلِبتُ ، وكُـنتُ الدَّهرَ ذا غَلَبٍ للـغالبين ، وللـسُّبَّـاقِ سَـبَّاقـــــا
قُلتُ: الخُطوبُ أذلَّتــني طوارِقُــها وكـــان عزميَ لـــلأعـداءِ طرَّاقـــا

[1] – ينظر: الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص: 186.

[2] – ينظر: المعتمد بن عبّاد: الديوان، ص:90.89.

[3] – ينظر: المصدر نفسه، ص: 110.

بعد قوله: **قد ضاق صدر المعالي** إذ نُعيتَ لها، يتوقّع معترضا يقول: **فماذا قيل**آنذاك؟. فيُجيب: **قيل: إنّ عليك القيد قد ضاق.**

وبعد قوله: **أنّى غُلبتُ** . يتوقّع معترضا يقول: فماذا قلتَ أنتَ؟: فيقول:**قلتُ: الخطوبُ أذلّتني طوارقها.**

وفي رثائه لولديه المأمون والراضي، وفيها يشير إلى قتل ابنه أبي عمرو سراج الدولة[1]:[من الطويل]

يَقولون صبرًا , لا سـبيلَ إلى الصَّبرِ سأبكي ، وأبكي ما تطاولَ مِن عُمري

هوى الكَوكَبانِ : الفتْحُ ثُمَّ شـــقيقُهُ يزيدُ، فهل عِند الكـواكِبِ مِن خُبر

وبعد قوله: يقولون صبرا. يتوقّع معترضا يقول: صبرًا فما يُبكيك؟ فيُجيب: هوى الفتح ويزيد شقيقه.

وتتمثّل الفائدة من الحجاج التقويمي؛ هي أنّ الـمُرسل وحتّى يصل إلى توقّع اعتراضات المرسل إليه، لابدّ وأن تتوفّر لديه خلفية معرفية، ومعرفة بالسياق وعناصره. ولا يكتفي بدحض اعتراضات المرسل إليه، وإنّما يسايرها حتّى يبلغ خطابه درجة من الإقناع.

4-5-حجاجية القيد

عمل المرابطون على تقييد المعتمد بن عبّاد من أوّل أسره في إشبيلية؛ هذه الصورة التي عبّر عنها مؤرّخوا الأدب لتلك الفترة، وهو ما يرويه الفتح بن خاقان في القلائد، وقيامهم في وقت لاحق بفكّ قيوده تخفيفا، بعد أن ثار أهل إشبيلية على المعاملة القاسية التي تعرّض لها مَلِكهم، وردّها عليه بعد ثورة ابنَيه وقتلهما؛ ومن الـمُسلّم به أنّ هذا الاحتجاج لايكون من فراغ، فإنّ هناك مؤشّرات تدلّ على سعي المعتمد باستعمال شعره وتكثيف حديثه عن القيود وآلامها، ورؤية ابنه الصغير له أبو هاشم فيها، سعى إلى تخفيفها.

ومن ناحية أخرى ما قاله شعراؤه من قصائد تصف القيود؛ ، فالأوّل الشاعر أبو بكر الداني المعروف بابن اللبّانة، وهو الذي زاره في أسره. والشاعر الثاني هو ابن حمديس الصقلّي

[1] – ينظر: المعتمد بن عبّاد: الديوان، ص:106.105.

وشيوع فكرة تحريض الشعراء للعامّة على المطالبة بأمور متنوّعة في ذلك العصر، أي وجود أيّما تأثير للشعراء بإقناع العامة بدعواهم ودفعهم للفعل (الثورة) في حالات كثيرة. وقد شاع في الشعر الأندلسي في عصر ملوك الطوائف شعر الثورات والحثّ عليها، على عكس أشعار الدّعوة إلى الحرب وتوجيه النفوس إليها" ولعل ذلك يعود إلى تنازع الطوائف وتفتيت الدولة إلى دويلات متعادية، وتهافت الحكّام في كثير من الأحيان إلى استرضاء حكّام إسبانيا، وزعماء حركات الاسترداد وانشغال الشعراء مع حكّامهم بالخلافات الدّاخلية عن توحيد الجبهات وتعبئة الجهود لملاقاة العدوّ الأجنبي" [1].

إذ لو اهتمّ الشعراء باستنهاض الهمم وتوجيه الرأي العام إلى مواجهة الخطر الأجنبي، لما عانت الدويلات آنذاك عِداءًا داخليا منعها بأيّة حال من التوحّد ضدّ الخطر الـمُحدق، وما يهمّنا في هذا السياق هو التأثير الذي يطبّقه الشعراء على أهل إشبيلية، ودعوتهم لنُصرة مَلِكهم المعتمد حيث" ثار أهل إشبيلية على الحال المزرية التي آل إليها مَلِكهم، فرفع المرابطون عنه القيود تخفيفا وبقي مأسورا، لكن ما لبث مُدّةً حتى ثار ابنه عبد الجبّار في الأندلس وحاول الانقضاض على المرابطين فقُضِيَ على ثورته وقُتِل. وقد ساءت ظنون آسِريه به فأعادوا عليه القيود بعد أن كانوا رفعوها عنه تخفيفا"[2].

والشاعر مع كلّ هذا" لم ينشد شعر التحفّز والغضب ، ولم يكن راضيا مستسلما، وكانت الأحداث تشير إلى أنّ المعتمد لم يكن هادئ الخاطر، وكان يترقّب أمرا إذ كان أبناؤه وأعوانه في الأندلس يعدّون العدّة لاستعادة مُلكٍ سلبهم إياه المرابطون غدرا، فثار ولداه هناك فأخفقا وقُتِلا ، فضُيِّق عليه في حبسه، واغتمّ هو غمّا شديدا أفصح عنه في أبيات متعطّشة للثأر من غير تصريح كاشف"[3]. أنّ هذه النصوص تثبت أنّ المعتمد – وإن كان مستسلما كأسلافه اللّخميّين- إلاّ أنّه كان يريد بالفعل أن يعيش حياة أفضل، وإن كان متأكّدا من أنّه سيمضي بقيّة حياته في هذه الإقامة الجبريّة.

[1]- ينظر:سعد إسماعيل شلبي: البيئة الأندلسية في الشعر الأندلسي عصر ملوك الطوائف، ص: 283.

[2]- ينظر: أحمد مختار البرزة، الأسر والسجن في شعر العرب، ص: 84.

[3] - ينظر: المرجع نفسه، ص:419.

وهناك طائفة من الشعراء تأثّروا بهذه المأساة وكانوا مثال الوفاء، ونعدّ منهم: ابن حمديس الصقلّي، وأبابكر بن اللبانة، وأبا بحر بن عبد الصّمد"[1]

وسنتناول الأوّل والثاني بالدراسة، لأننا لانعرف عن الثالث سوى قصيدة الرثاء التي رثى بها المعتمد وآل عبّاد. والتي ذكرنها في التمهيد المتعلق بالمفاهيم الأساسية للدراسة.

فقمنا بالبحث عن علاقة الحديث عن القيود عند المعتمد، والحديث عن قيود المعتمد في ديوانَي ابن اللبّانة، وابن حمديس الصقلّي. باستغلال الإشارات التي وجدناها في أمّهات الكتب؛ كالذخيرة، والنفح. أو المراجع الحديثة؛ كالسجن والأسر في شعر العرب، والبيئة الأندلسية وأثرها في الشعر عصر ملوك الطوائف.

1-5-4- القيد في شعر المعتمد:

يقرن المعتمد بين القيد والبعد عن الأهل، في قوله:

يقول[2]:[من الطويل]

قَضى وطرًا من أهلهِ كُـــلُّ نازحٍ وكَرَّ يُداوي عِلَّةً في الـجوارحِ

مُـــبهَمٍ سبيلَ نجاتي أخـذًا بالمـبارحِ سوايَ فإنّي رهنُ أدهَمَ[3]

لقد استعمله في المقارنة بين الماضي والحاضر؛ فالفترة التي حَكَمها تجاوزت العشرين سنة، وكان فيها من الحروب والأطماع التوسع مالم يكن يخفى على الشعب الإشبيلي. إذ كانت هذه الحروب هي الضامن للاستقرار الذي عاشت فيه إشبيلية هذه الفترة.

قوله[4]: [من الطويل] ويعضد هذه الرؤية.

لك الحمدُ من بعد السيوف كُبولُ بساقيّ منها في السجونِ حجولُ

وكُنّا إذا حانت لِنَحرٍ فـــــريضةٌ وَنـــادتْ بِأوقاتِ الصّلاةِ طُبولُ

---

[1]- ينظر: ابن خلكان ، وفيات الأعيان، ج4، ص: 128.

[2] - ينظر: المعتمد بن عبّاد، الديوان،ص:94.

[3] - الأدهم: القيد لسواده، وإن كان في الأصل صفة إلا أنه غلب غلبة الاسم، ابن منظور: لسان العرب، مج12، مادة (دهم)ص:210/209.
المُبهم: المُصمت الذي لا صدع فيه، وباب مُبهَم: مُغلَق لا يُهتَدى إلى فتحه إذا أُغلِق. ابن منظور: لسان العرب، مج12،مادة(دهم) ص:58/57.

[4] - ينظر: المعتمد بن عبّاد: الديوان، ص:111.

شَهِدنـــا فكَبّرنـا فظلَّتْ سُيوفُنا تُصلّي بِهـــاماتِ الــعِدا فَتُطيلُ
سُجودٌ على إثر الرُّكــوعِ مُتابَعٌ هُناكَ بـــــأرواحِ الكُماةِ تَسيلُ

يقول[1]:[من المتقارب]

تبدّلْـــــتُ من عِزِّ ظلِّ البنـــود بذُلِّ الحـــديدِ وثقْلِ الــقيود
وكان حديـــدي سِـــنانًا ذَليقًا وعَضْباً رقيقًا صـــقيل الحديد
فقد صـــار ذاكَ وذا أَدْهَـــما يَعُضُّ بســاقَيَّ عــضَّ الأُسود

فهي دعوة ضمنية لأهل إشبيلية، ليقارنوا بين حال المعتمد الذي كان يخرج بنفسه على رأس الجيوش، وبين حاله الحاضرة.

وفي قوله[2]: [من الكامل]

غَـنَّتْـكَ أغْماتِـــيَّةُ الألحانِ ثَـقُلَتْ على الأرواحِ والأبْـــدان
قدكان كالثعبانِ رُمْحُكَ في الوغى فغَدا عليك الــرُّمحُ كـالثُّـــعبانِ
مُتَمَدِّداً بِحِذاكَ كُـــلَّ تَـمَدُّدٍ مُـتَـعطِّـــفاً لا رَحمــةً للــعاني
قلبي إلـــى الرّحمن يشــكو بثَّهُ ما خـاب مَن يشكو إلى الرّحــمن
يا سائلا عن شـــأنِه ومكانه ما كــان أغْـنى شـأنَهُ عن شـــاني
هاتيـــك قينتُهُ وذلـــك قَصرُه مِــن بـــعد أيّ مقاصِرٍ وقِيــان
مِـــن بعدِ كُـــلِّ غريرةٍ رومِيَّةٍ تحكي الحمائِمَ في ذُرى الأغـصان

لم يكتفِ بالمقارنة بين الماضي والحاضر في المحافظة على الملك، والشجاعة في المعارك والحروب، بل تجاوزها إلى المقارنة بين الترف الحضاري الذي كان يحظى به أيام مُلكه، و إزعاج القيود له حاليا.

[1] – ينظر: المصدر السابق ، ص: 94.
[2] – ينظر: المصدر نفسه، ص: 115.

ولم يكن في أسره في منأى عمّا يقوم به المرابطون، فقد أطلقوا سراح أهل فاس الذين عاثوا في الأرض فسادا، وهنا توجد مقارنة ضمنية، بأنّ المعتمد لم يعِث في الأرض فسادا، والتقصير في المحافظة على الأندلس ودفع الجزية، أمر اشترك فيه ملوك الطوائف جميعا.

ويقول[1] :[من الطويل]

أمَا لانسكاب الدّمعِ في الخدِّ راحةٌ لقَد آنَ أنْ يفنى ويفنى بهِ الخــدُّ
هَبُوا دَعـوةً يا آلَ فاسٍ لِــمُبتـــــلًى بما مِنهُ قد عافاكُم الصَّمَـدُ الفَـردُ
تَخلَّصتُمُ من سجن أغماتَ والْتوَتْ عَلَيَّ قُيــودٌ لــم يَحِـنْ فَكُّها بَعـدُ
من الدُّهمِ ، أمّـا خَلقُـــها فـــأساوِدُ تَلَوّى، وأمّا الأَيدُ والبطشُ فالأُسدُ
فهُنّئْتُـــمُ النُّعمى، ودامـت لِـكُلِّكم سعادتهُ إن كان قـــد خانني سعْدُ

ويستعين بملفوظات للتعبير عن رأيه، ومحاولة الإقناع به، من خلال الطباق: **جماعات، واحدا**. إضافة إلى أنّ الخارجين من السجن جماعات وليست جماعة واحدة.

والنص التالي اعتمدنا عليه في تطبيق الآليات الحجاجية شبه المنطقية، وما يتعلّق بذلك من السلّم الحجاجي، والروابط والعوامل الحجاجية، ودورها في الإقناع. لكنّنا سندرسه هنا لمعرفة الملفوظات التي ساعدت على الإقناع.

وقوله[2]:[من البسيط]

أنباءُ أسرِكَ قد طبَّـــــــقن آفاقا بل قد عَمَمْنَ جِهاتِ الأرضِ إقلاقا
سَرَتْ مِنَ الغَربِ لا يُطوى لها قَـدَمُ حتّى أَتَتْ شَـــــرقها تَنعاكَ إشراقا
فــأحْرَقَ الفجْـعُ أكبـادًا وأفئـــدةً وأغــرَقَ الدّمعُ آمــاقا وأحداقـــــا
قد ضاقَ صدرُ المعالي إذْ نُعيتَ لها وقيـــــلَ: إنَّ عليْكَ القيدَ قد ضاقا
أنَّ غُلِبتُ ، وكُـنتُ الدَّهرَ ذا غَلَبٍ للـغالبين ، وللـسُّبَّـاقِ سَـبَّاقـــــا
قُلتُ: الخُطوبُ أذلَّتــني طوارِقُــها وكـــان عزميَ لـــلأعـداءِ طرَّاقـــا
متى رأيتَ صُـــروفَ الدَّهــرِ تاركـةً إذا انبرت لذوي الأخـــــطارِ أرماقا

[1] – ينظر: المعتمد بن عبّاد: الديوان،ص: 95.94.

[2] – ينظر: المصدر نفسه، ص: 110.

ففي قوله: **لم يَحِن فكّها بعدُ**.هو ما معناه: يمكن أن تُفكّ هذه القيود في يوم ما تعبير عن إمكانية فكّ هذه القيود.

– استعماله لمرادفات القيد: الكبل، الحجل، وتشبيهه بالأسد ومرادفاته. من مثال ذلك قوله:[1]:[من الطويل]

تَعطَّفَ في ساقي تعطُّفَ أرْقَمِ يُساوِرُها عضّاً بأنيابِ ضيْغَمِ

وإنّـــــيَ من كان الرّجالُ بسَيْبِهِ ومن سيفه في جنّة وجهنّم

ويمكن توضيح استعمال المعتمد للقيد في إقامة التشبيه في الجدول أدناه:

المشبه	المشبه به	وجه الشبه
القيد	أساود	الشكل والطول
القيد	الأُسد	البطش
القيد	الأرقم	التعطف
القيد	الضيغم	العض
القيد	الحيوان المفترس	أكل اللحم وشرب الدم
القيد	الثعبان	الالتواء
القيد	الرمح	مادة الصنع (الحديد)

وإذا أسّسنا هذا التصوّر على أنّ التشبيه هو التمثيل؛ وهو عقد الصلة بين صورتين، ليتمكن المرسل من الاحتجاج وبيان حججه، وهو في هذا الاستعمال يعني المساواة بين المشبه والمشبه به.

[1] – ينظر: المصدر السابق، ص: 111.

تشخيص القيد: personnification

يؤكد بيرلمان على أهمية التشخيص، حيث هو من إبداع المتكلم ،الذي يصوغه وفقا لحالة المخاطب النفسية، والاجتماعية،وما تحمله الذات المخاطبة من زاد ثقافي وحضاري، إذ إن المخاطب يحمل لصفات يلتقي فيها مع نسبة كبيرة من البشر، فـ" الثقافة والحضارة والمجتمع والنصوص الخلفية الثاوية في اللاوعي الجماعي، الموجّهة للوعي وللفهم وللتعامل داخل الزمرة الاجتماعية الخاصة، وبالتالي يكون الخطأ في رسم صورته الفعلية مؤدّيا حتما إلى نتائج عكسية".[1]

وقد أخذت فكرة "المخاطب المتخيل" أو "الخلق" تجليات عند بيرلمان:

1. المخاطب الكوني (من دون خصائص أو معالم محددة أي عاما شاملا)
2. المخاطب المحدد النابع من مكونات مقام القول وإمكاناته التي على المتكلم الإجادة في استغلالها والاعتدال في توظيفها
3. المخاطب النابع من "الفاعل" أي المرسل للقول ذاته، ويمثل جزءا من تجريداته وطموحاته.[2]

ودور الاستعارة في تشخيص الموجودات راجع إلى طاقتها الحجاجية، والتي تعود إلى أنها:

1. **قول حواري:** وحواريته صفة ذاتية له، وذلك عن طريق اشتراك ذوات متعددة في بناء الكلام، وذلك بتألّف القول الاستعاري من مستويين ؛مستوى المعنى الحقيقي الظاهر غير المراد، ومستوى المعنى المجازي المضمر المراد، إذ يتّخذ المتكلم الواحد كل هذه الذوات مظاهر لوجوده في القول الاستعاري ينقلب بينها، قائما بكل أدوارها الخطابية في آن واحد وليس من سبيل لحذف إحداها أو لترجيحها على غيرها.
2. **قول حجاجي:** من خلال تدخّل آليتي الادّعاء والاعتراض في القول الاستعاري، فالمستعير يدّعي وجود المعنى الحقيقي للجملة، أي المطابقة بين المستعار له والمستعار منه، ومن ناحية أخرى يقوم بالاعتراض على وجود المعنى الحقيقي للجملة ذلك كله من خلال تقمّصه لأدوار الذوات التي تشترك في بناء الكلام.

[1] –ينظر: محمد سالم ولد محمد الأمين، مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة،عالم الفكر الكويت ، ع2، يناير مارس 2000. ص: 69.

[2] –ينظر: المرجع نفسه ، ص: 79.

3. قول عملي:فعلى اعتبار أن الاستعارة تمثّل أبلغ وجوه تقيّد الكلام بالمقام، وجعلها تدخل في سياق "التواصل الخطابي"الذي يهدف إلى إجراء تغيير في سلوكات الناطقين ودفعهم إلى الانتهاض للعمل، فتكون أدعى من الحقيقة لتحريك همّة المستمع إلى الاقتناع بها والالتزام بقيمها.[1]

فالمعتمد يجسّد القيد في شخص، هذه صفاته:

- مسلم مثل المعتمد؛ والمسلم الأولى له أن يحارب ويعذّب الكفّار، وليس المسلمين.
- انتفاء الرحمة والتعذيب من طرف هذا القيد المسلم، وهذا يتنافى مع " ليس منّا من لم يرحم صغيرنا".

في قوله؛ وقد دخل عليه ابنه أبو هاشم فارتاع لقيده[2]:[من السريع]

والظاهر أنّ هذا الشعر قاله المعتمد أوّل عهده بالقيد.

قَيدي أما تعلـــمُني مُسلِما أبَيْتَ أنْ تُشـــفِقَ أو تَرْحَما
دَمي شرابٌ لَكَ، واللّحمُ قدْ أَكَلْتَهُ لا تَـــهشِمِ الأعظُما
يُبْصِرُني فيـــكَ أبو هاشِمٍ فينْثـــني القلْبُ ، وقد هُشِّما
إرحم طُفَيْلاً طـــائشًا لُبُّهُ لم يخْشَ أن يأْتيكَ مسترحِما
وارحـــم أُخَيَّاتٍ لهُ مِثْلَهُ جرَّعتَهُـــنَّ السُّمَّ والعلْقما
منهُنَّ مـــن يَفهمُ شيئاً خِفنا علَيـــه للبُكاءِ العمى
والغيْرُ لايـــفهَمُ شيْئا فما يفتح إلاّ للرضاع فمـــا

لكنّنا إذا اعتمدنا على شعر المعتمد فحسب لن نصل إلى أنّ هذه الحجج ناجعة في وصف القيد، إنّ هنالك مساعدة تواصلية ستؤيّد دعوى المعتمد، وهي قصائد شاعرَيه.

[1] -ينظر:طه عبد الرحمن :اللسان والميزان،ص:310،311،312.

[2] - ينظر: المعتمد بن عباد: الديوان، ص:112.

2-5-4- القيد عند شاعرَي المعتمد:

4-5-2-1-القيد عند أبي بكر الداني (ابن اللبّانة):

نكتشف من خلال النص الموازي المرفق مع القصيدة أنّ الداني زار المعتمد ثمّ أقدم على كتابة قصيدته التي يصف فيها قيود المعتمد، فالداني مبدئيا يطبّق مبدأ" ليس من رأى كمن سمع"، فهو قد زار المعتمد ورأى التواء الحال به، ثمّ أقدمَ على كتابة القصيدة، والسؤال المطروح: ما الممكن أن يضيفه الداني على نطاق إقناع المتلقّين بدعواه التي تقوم على: تخفيف القيود عن المعتمد؟

وهذه القصيدة تتكون من ثلاثة وأربعين بيتا، [من البسيط] يقول في مطلعها:

لِكُلِّ شَيءٍ من الأشياءِ ميقاتُ وللْمُنَى من مَنَائيهنَّ غاياتُ[1]

ويقول منها:

أَنْكَرْتُ إلاَّ التِواءاتِ الــقيودِ به وَكَيْفَ تُنْكَرُ في الرَّوضاتِ حيّاتُ

غَلِطْتُ بَيْنَ هَمَايــــينٍ عُقِدنَ لهُ وبَيْنها فإذا الأنواعُ أشــــــتاتُ

وَقُلتُ: هُنَّ ذُؤاباتٌ فَلِمْ عُكِسَتْ مِنْ رأسِهِ نحوَ رِجْلَــيْهِ الذُّؤاباتُ

حَسِبْتُها مِنْ قَنــــــاهُ أو أَعِنَّتِهِ إذَا بِها لِثِقافِ المــــجدِ آلاتُ

دَرَوْهُ لَيْثاً فَخافوا منهُ عــــادِيَةً عَذَرْتُهُم فَلِعَدْوى الــلَّيْثِ عاداتُ

لَوْ كانَ يُفْرَجُ عنهُ بَعْــضَ آوِنَةٍ قامت بِدعوتِهِ حتّى الــجماداتُ

يهيّء الداني المتلقّي لخبر يمهّد له بالحديث عن صروف الدهر وتحوّله فينتقل من العموم إلى الخصوص، في تشبيه المشبه به وهو الدهر، والتشبيه في البلاغة تشبيه حذفت بعض أركانه، وهي من حيث الحجاج قياس يتكون من مقدمتين واستنتاج؛ وإذا ما رُمنا تفكيكها فهي كالتالي:

وتشبيه آخر هو تشبيه صورة بصورة: تشبيه الدهر الذي يلعب بمصير الناس كالشطرنج الذي يلعب بمصير البيادق.

[1] – ينظر: ابن اللبّانة: ديوان ابن اللبّانة مجموع شعره، ص:36

وإذا انتقلنا إلى هذا البيت ألفينا تصدّره بصيغة الشرط التي يترابط فيها فعل الشرط بجوابه على نحو إلزاميّ قاطع، و" التعلّق السببي بين الشرط والجواب لأي إنّ الشرط يستوجب ضرورة الجواب، وهو في الآن ذاته مسبّب لهذا الجواب" وعلاقة الاقتضاء ذات طاقة حجاجية عالية لأنّ العلاقة بين السبب والنتيجة ضرب من التلازم، إذ يعمد صاحب الخطاب الحجاجي إلى الاجتهاد لإضفاء نوع من الحتمية عل العلاقة بين الحجة والنتيجة، فيُحكِم الترابط بينهما بشكل يوحي بأنّ الأولى تقتضي الثانية والثانية تستدعي الأولى ضرورة[1]

وبنية الشرط هي حجة رياضية شبه منطقية هي حجة التعدية، والحجة التي يبنيها الشرط تقسّم الكلام إلى جزأين متلازمين سبب ونتيجة.

يتمثل السبب في: إمكانية الإفراج عن الأسير بعض الوقت ، والسبب هنا يلغي افتراضا مستحيلا هو الإفراج النهائي عن الأسير

والنتيجة : دعت له حتّى الجمادات.

إنّ ما يلفت انتباهنا هو استعمال الرابط الحجاجي "حتى": وهي من أدوات السلّم الحجاجي، لدورها في ترتيب منزلة العناصر، ولما تدلّ عليه استعمالاتها المختلفة؛ أهمّها التدرّج في توجيه الحجج.وقد استعملت في هذه الحالة "حتى العاطفة" ؛ ولها شرطان:

-أن يكون ما بعدها بعض ما قبلها أو كبعضه

-أن يكون مابعدها غاية لما قبلها في زيادة أو نقصان؛ والزيادة تشمل القوة والتعظيم والنقص يشمل الضغف والتحقير.

فـ"حتى" تجمع بين التراتبية[2]. والتدرج فالحجة الأولى قبل حتى وهي: قامت بدعوته. والحجة الثانية بعد حتى وهي: الجمادات، والحجة الثانية أقوى من الأولى، والنتيجة ضمنية مفادها الإفراج عن المعتمد بن عبّاد بعض الوقت. ويمكن تمثيل ذلك بالسلم الحجاجي الآتي:

[1] – ينظر: سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي القديم، ص:335.

[2] – ينظر: آن روبول وجاك موشلار: التداولية اليوم علم جديد للتواصل، ص:175.

ن: الإفراج عن المعتمد بعض آونة

ق2 – الجمادات

حتى

ق1 – دعت له الكائنات

يعقد ابن اللبّانة جملة من التشبيهات التي يلحقها بقيود المعتمد بن عبّاد، وهي موضّحة في هذا الجدول:

المشبه	المشبه به	وجه الشبه
القيود	الحيّات	الالتواء
القيود	الهمايين	تُعقد له
القيود	الذؤابات	الطول والكثرة
القيود	القنا والأعنّة	مادة الصنع (الحديد)

والتشبيه من الصور البيانية التي تستدعى في الحجاج لاستغلال مافيها من طاقات حجاجية لإثبات قول أو نفيه،من خلال اعتبارها آليات بلاغية لها القدرة على حمل المخاطب على التمعّن فيها ، ويقول أبو هلال العسكري في أهميتها بأنها:"ما تعطف به القلوب النافرة، ويؤنس القلوب المستوحشة، وتلين به العريكة الأبيّة المستصعبة، ويبلغ به الحاجة، وتقام به الحجة، فتخلص نفسك من العيب، ويلزم صاحبك الذنب، من غير أن تهيجه وتقلقه، وتستدعي غضبه، وتثير حفيظته."[1]فدور المتكلم هو بناء الصورة وفقا للمقام الذي ترد فيه ووفقا للمخاطب الذي أمامه،

[1] –ينظر :أبو هلال العسكري :الصناعتين .ص:57.

دون أن يفوته أن هدفه في الأصل من الصور البيانية هو التعبير عن قصده، وحمل المخاطب على إدراك ذلك القصد عن طريق تأويل العبارة اللغوية.

وإذا انطلقنا من أن التشبيه ربط بين عنصرين من واقعين مختلفين، وتقديمهما للمتلقي الذي يعمل ذهنه للاستدلال على وجه الشبه الرابط.

ووجه التأثير هو أن المتكلم يحمل المتلقي على الاستنتاج، وذلك هو مناط الحجاج، فعبد القاهر الجرجاني يرى أن :"التشبيه قياس، والقياس فيما تعيه القلوب وتدركه العقول، وتستفتي فيه الأفهام والأذهان، لا الأسماع والآذان."[1] من خلال هذا القول نجد أن قدرة التشبيه تتمثل في بناء علاقة بين عنصرين من عالمين مختلفين، ويحاول التشبيه جاهدا طمس الفروق بينهما، ويركّز أكثر على وجه الشبه الذي يجمعهما، لأنه يساعد على الفعل في المتلقي ، مادام أن التشبيه :" العقد بأن أحد الشيئين يسد مسدّ الآخر في حس أو عقل".[2]ويضيف مبرزا أهمية التشبيه:"وهذا الباب يتفاضل فيه الشعراء ، وتظهر فيه بلاغة البلغاء، وذلك أنه يكسب الكلام بيانا عجيبا(...) فبلاغة التشبيه الجمع بين شيئين بمعنى يجمعهما يكسب بيانا فيهما، والأظهر الذي يقع فيه البيان بالتشبيه على وجوه؛منها إخراج ما لا تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه الحاسة ، ومنها إخراج ما لم تجر به العادة إلى ما جرت به العادة، ومنها إخراج مالا يعلم بالبديهة إلى ما يعلم بالبديهة، ومنها إخراج مالا قوة له في الصفة إلى ماله قوة في الصفة."[3]

إن ما سبق يبين لنا أن التشبيه "لا يصار إليه إلا بغرض"[4]وذلك لأن التقريب بين أمرين وحمل المتلقي على استنتاج المقصود من ذلك التقريب، في السياق الذي ورد فيه قيمة تداولية تجمع بين قصد المتكلم والهدف من الخطاب، "فالتشبيه مستدع طرفين مشبها ومشبها به، واشتراكا بينهما من وجه، وافتراقا من آخر، مثل أن يشتركا في الحقيقة ويختلفا في الصفة، أو بالعكس، فالأول

[1] –ينظر: عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة في علم البيان، صححه وعلّق حواشيه: محمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط1،1988. ص: 15.

[2] – ينظر: الرماني: النكت في الإعجاز القرآني، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، حققها وعلق عليها : محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام ، دار المعارف مصر، ط2. 1968. ص:80.

[3] – ينظر:المرجع نفسه، ص: 81.

[4] – ينظر:السكاكي: مفتاح العلوم، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1. 2000. ص: 439.

كالإنسانين إذا اختلفا في الصفة طولا وقصرا، والثاني في الطويلين إذا اختلفا حقيقة إنسانا وفرسا."[1]

ويعدّ الاستدلال بواسطة التمثيل أقرب الحجج إلى الشعر لقيامها على "التخييل"، وأهميتها الحجاجية ترجع إلى أن الاستدلال بالتمثيل " يعمل على تشكيل بنية واقعية تسمح بإيجاد أو إثبات حقيقة عن طريق تشابه في العلاقات" " والقيمة الحجاجية في التمثيل ترجع إلى عدم قابليته للدحض بسهولة"، ولذلك يؤكد الدارسون أنه يعسُر على المرء أن يتصور ورود دليل مضاد بعد تشبيه أو استعارة يخدم النتيجة المعاكسة[2].

نلاحظ في هذه التشبيهات التي يقيمها الداني بين القيد (استعماله بصيغة الجمع) من جهة وتشبيهه في كلّ مرة بالحيّات، والهمايين، والذؤابات، والقنا والأعنّة، فهو يدفع المتلقي إلى التقريب بين أمرين من بيئتين مختلفتين، وحمله على استنتاج المقصود من ذلك التقريب. وهو في هذه الحالة: إثبات دعوى كثرة القيود المصنوعة من الحديد وإيلامها للمعتمد، لأنّها كثيرة وثقيلة. وأضفى استعمال صيغة الجمع المبالغة على التعبير.

وهي تشبيهات واضحة وبسيطة لأنّها تُصنّف بلاغيا من التشبيه البليغ الذي يساوي بين المشبه والمشبه به، بحذف أداة التشبيه ووجه الشبه.كما أن المشبه به استمدّ من الأشياء المادّية الموجودة في الطبيعة، ممّا يؤدي إلى عدم تكلّف المتلقّي عناء كبيرا في فهمها وتأويلها. وبالتالي تحقّق الهدف الأساس منها؛ وهو بيان حال المشبّه للمتلقي، وبيان إلحاقه بالمشبه به ، لأنّ التشبيه في الحقيقة هو دعوى تحتاج إلى دليل أو برهان، ويكون المشبه به هو الدليل، مما ينتج عنه استمالة المتلقي وإقناعه بهذه الدعوى.

4-5-2-2- القيد عند ابن حمديس الصقلّي: وكتب إلى المعتمد وهو في أغمات قصيدة تتكون من ستة وثلاثين بيتا[من الطويل] مطلعها:

أبادَ حياتي الموتُ إن كنتُ ساليا وأنتَ مقيمٌ في قيودكَ عانيا[3]

[1] – ينظر:المرجع السابق، الصفحة نفسها.

[2] – محمد عبد الباسط عيد: في حجاج النص الشعري، ص:74.

[3] – ابن حمديس: ديوان ابن حمديس،ضبطه وعنون قصائده وعلّق عليها: يوسف عيد.دار الفكر العربي، بيروت لبنان،ط1. 2005. ص: 460.459.

وفيها يصف قيود المعتمد في قوله:

قيودُكَ صيغتْ من حديدٍ ولم تكنْ لأهلِ الخطايا منك إلا أياديا

ومنها قوله:

كشفتَ لها ساقاً وكنتَ لكشفها تَحزّ الهوادي أو تجزّ النواصيا

و منها:

وقفْنَ ثقالاً لم تُتِحْ لك مشيةٌ كأنّك لم تُجْرِ الخفاف المذاكيا

ومنها:

قعاقعُ دُهْمٍ أسهرَتْكَ وطالما أنامتْكَ بيضٌ أسْمَرَتْكَ الأغانيا

ومنها:

وقد يعقلُ الأبطالَ خوفُ صيالها ويُحكَمُ تثقيفَ الأسودِ ضواريا

ينطلق ابن حمديس من مبدأ حجاجي هام، هو المقارنة بين ماضي المعتمد وبين حاضره، ولا نَعُدّ المقارنة حجّة في حدّ ذاتها في هذا السياق، بل إنّها مُمَهّد لعلاقة حُجَّية تتناسب مع طبيعة القصيدة، هي علاقة عدم الاتّفاق والتناقض:" وهي علاقة ذات خلفية منطقية واضحة إذ ندفع أمرا بإثبات تناقضه مع نتيجة للخطاب" ونحن فيها نبحث عن علاقة الحجّة بالنتيجة، وعلاقات الحجج فيما بينها، بشكل يؤكّد الترابط والاتّصال، وإن كان اتّصالا مُميّزا باعتباره مبنيا في جوهره على الاتّصال.[1] فنتيجة الخطاب هي ظلم المرابطين للمعتمد بن عبّاد والمعاملة السيّئة التي قابلوه بها والمتمثّلة في تقييده قيودا ثقيلة. وهذا ما يتجلّى في مطلع القصيدة، وهو إثبات حال المعتمد حاليّا عند المرابطين، وثبوت هذه الحال واستمرارها من خلال القرينة اللغوية:" **مقيما**" ثمّ يشرع الشاعر في الاستدلال على هذا الظلم بإقامة التقابل بين زمنين؛ زمن المُلك والقوة، وزمن الأسر والضعف، ويأتي الشاعر بحجج تقود المتلقي إلى نتيجة مفادها ظلم المرابطين للمعتمد بن عبّاد ومعاملتهم السيّئة له، لكنّ ما يربطها بهذه النتيجة هو علاقة عدم الاتّفاق وهي كما يأتي:

[1] – ينظر: سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي القديم، ص: 344.

الحجّة الأولى: أنّ المعتمد بن عباد لم يكن قاسيا في عقابه، فهو يقيّد أهل الخطايا تقييدا خفيفا – وهو مركّب إضافي ينسب هذه الفئة من الناس إلى الخطايا، فأصبحوا أهلها، لكثرة فعلهم لها. وهذه القيود أيادٍ لهم فهي لا تعيق حركتهم، بل تشكّل أمرا ضروريا وكأنّها اليد التي يحتاجها الإنسان ويستعملها.

الحجّة الثانية: المعتمد بن عبّاد كان شجاعا مقداما ذا بأس يحارب الأعداء ويكلّفهم الخسائر الكبيرة في الأرواح.

الحجّة الثالثة: كان دائم التنقّل والنفير، فلم يكن قليل الحركة بل كان يُجري الخيل، وهو بهذا فارس

الحجّة الرابعة: كان ينام على صو المغنّيا باعتبار أنّه ملك.

وهذه حجج قَيْمية تستوجب من المرابطين معاملته حسب ماكانت معاملته للأسرى، وحسب حياته التي كان يعيشها. وإذا بعلاقة عدم الاتّفاق التي تشي بالمفارقة والتي تتجلّى في:

قيود ثقيلة في اليدين والرجلين حيث لا تتيح الحركة أو المشي، أصواتها مزعجة لا تسمح له بالنوم والراحة التي تنضاف إلى عبء ثقل القيود.

يُكمِل هذه الحجج بأسلوب المدح: فمن كانت الصفات الآنف ذكرها صفاته يجب عقله، ويجري تشبيها بينه وبين الأسد– و الذي يُعدّ رمزا مشتركا في الشجاعة والضراوة – في الضراوة والشجاعة واشتراكهما في المهابة التي تكون السبب في التقييد. ويمكن توضبح مقارنة ابن حمديس لحال المعتمد قبل الأسر وبعده في الجدول الآتي:

قبل الأسر	في الأسر
القيود كانت أيادٍ لأهل الخطايا	قيود صلبة
لم يكن يكشف ساقًا إلاّ للدفاع عن ملكه وأهل مملكته، وإعلاء راية دولته والإسلام.	كشف للقيود ساقًا
كان يُجري الخيل ويقود المعرك	قيود ثقيلة لا يستطيع المشي فيها
البيض أنامته	أصوات القيود أسهرته

وينبغي الإشارة إلى أنّ ابن حمديس أرسل إلى المعتمد بهذه القصيدة. مع وجود فاصل مكاني بينهما.

المقارنة بين الشاعرين:

اعتمد الشاعران على الوصف المادّي للقيد وتصويره باستعمال التشبيه، ومدى تقريب التشبيه البليغ الذي استعملاه بين المشبّه والمشبّه به.

إلاّ انّ ابن اللبّانة يفوق ابن حمديس في أنّه رأى المعتمد ثمّ كتب القصيدة، حيث رأى إمكانية الإفراج عنه، ويعبّر عن فرحه بذلك في قوله[1]:

قيودك ذابت فانطلقت لقد غدت قيودك منهم بالمكارم أرحما

عجبتُ لأن لانَ الحديد وأن قسوا لقد كان منهم بالسريرة أعلما

يُنجّيك من نجّى من الجُبّ يوسفا ويُؤيكَ من آوى المسح ابن مريما

[1] – ينظر: ابن اللبانة: ديوان ابن اللبانة مجموع شعره، ص:127.

خاتمة

في ختام هذا الفصل نخلص إلى النتائج التالية:

- لا يوجد خطاب بلا حجاج،خاصة الخطاب الشعري، فالشعر خطاب يحوي الإقناع، رغم قيامه على عنصر التخييل.
- لا يتأتّى استجلاء مواطن الحجاج، وكيفية توظيفه إلاّ بالإحاطة بحيثيات المدوّنة والسياق الزماني والمكاني، والتطورات السياسية في الفترات التاريخية المدروسة.
- مساهمة الخطاب الموازي في الحجاج، ونلمس دور السياق في تحديد الحجج، ومعرفة أثرها على الـمُتلقّين في زمانه.
- قام بالاحتجاج بأصله اللخمي؛ وهو الأمر الذي لايصل إليه حتّى الدّارس المتخصّص، دون الرجوع إلى تاريخ ملوك الحيرة من اللخميّين. واستنتاج العلاقة في استدعاء المعتمد لهذه الشخصيات؛ وهي انقلاب الأيام عليهم، وبالتالي توقع انقلابها على المعتمد، وقبول هذه الفكرة، وظهرت في شعره بأنه لم يستعطف المرابطين ولم يمدحهم.
- قام المعتمد باستدعاء تقنيات أخرى في الحجاج، كتأسيس الواقع بواسطة الحالات الخاصة؛ والأمر الذي يُفسّره استعمال غرض الفخر، فكأنّه يبني واقعا جديدا في الأسر، ليتخلّص به من الحال التي يعيشها.
- قام باستعمال الحجاج بالمشترك، خاصة باستدعاء ما تعارف عليه العرب من حيوانات، كالقطا، والغراب الذي يعكس تصوّر العرب له لينتقل من الدلالة على الشؤم إلى الدلالة على السعد، حسب السياق الذي وردت فيه.
- يعدّ تطبيق السلّم الحجاجي أمرا ضروريا في الدراسات الحجاجية، خاصة باستغلال مبادئ مثل: التوجيه الحجاجي؛ والذي يعمل على حصر الحجج عند المتلقّي، وبالتالي إرشاده إلى الموطن الإقناع الذي يرومه الشاعر، ومبدأ الموضع الذي يشدّ أزر ارابط أو العامل الحجاجي، وبالتالي تقوية سلطانه على الملفوظ والوصول إلى النتيجة المقصودة، وفق عملية استدلالية تسيّرها المواضع.

- استعمال الروابط الحجاجية: فقد استعمل "حتّى" العاطفة
- لكن، بل. حيث قامت هذه الروابط بالربط بين الحجج للوصول إلى النتيجة المضمرة. مع تحديد التساوق الحجاجي أو التعارض الحجاجي بين القضايا المدروسة.
- استعمال العوامل الحجاجية: إنّما، (ما...إلاّ). حيث ساهمت في تأييد القضيّة الواحدة، بالاستناد إلى مفهوم الاسترسال وتسلسل الخطاب، وقد أدّى مبدأ الموضع دوره في تحليل وظيفة العوامل الحجاجية للوصول إلى إقناع المتلقّي بالقضيّة الواحدة.
- احتوى شعر الأسر عند المعتمد بن عبّاد على عدّة أنواع من الحجج. تعدّدت فيها الآليات؛ كالتشبيه والتشخيص والآليات البلاغية الأخرى.وتوظيفنا للسلالم الحجاجية، وكذلك تحليل العبارات التي تحوي على ملفوظات أدّت دورا حجاجيا في السياق الذي وردت فيه .
- ساهم شعراء المعتمد ابن حمديس الصقلّي وأبو بكر الداني، في تعزيز التعبير عن معاني القيد، وبالتالي تأييد المعتمد في إقناع شعبه في إشبيلية بتخفيف القيود عنه. وهو ما حدث فعلا، ودواوين الشعراء تثبت ذلك. وقد ركزا على استعمال التشبيه لأنّه قياس واضح وقريب، كما اعتمدا على علاقة الاقتضاء التي تقوم على مفهوم المفارقة.واستغلال "حتى" التي تعدّ من الروابط الحجاجية.

<

الفصل الثالث

الفصل الثالث: الأفعال الكلامية في شعر الأسر عند المعتمد بن عبّاد

1. نشأتها

2. الأفعال الكلامية عند الغرب

1.2. عند أوستن

2.2. عند سيرل

3- نظرية الأفعال الكلامية عند البلاغيين العرب (الخبر والانشاء)

4- تعديل القوة الإنجازية

5- الأفعال الكلامية في شعر الأسر عند المعتمد بن عبّاد(حسب تصنيف سيرل):

5-1- التعبيريات

5-2- التقريريات

5-3- التوجيهيات (الطّلبيات)

الأفعال الكلامية:

1. نشأتها

لقد كان لظهور "الفلسفة التحليلية" بمفهومها العلمي الصارم على يد الألماني غوتلوب فريجه Gottlieb Frege واعتماد التحليل منهجا فلسفيا جديدا. كان له بالغ الأثر في ظهور "فلسفة اللغة العادية" على يد لودفيغ فيتغنشتاين Wittgenstein الذي رأى أن اللغة الطبيعية هي الأداة في المعنى والذهاب إلى أنه غير ثابت ولا محدد وتفادي البحث عن المعنى المنطقي الصارم[1] وأطلق فيتغنشتاين على الاستعمالات المختلفة للغة اسم ألعاب اللغة وأسمى كل استعمال لعبة لان له قواعد يتفق عليها مستعملو اللغة كما يتفق اللاعبون على قواعد اللعبة. وأن كل نوع من ألعاب اللغة محكم بالبيان الاجتماعي الذي يرد فيه[2]

2. الأفعال الكلامية عند الغرب:

إنشاء جملة لسانية هو في حدّ ذاته فعل لغوي ينتمي إلى نظرية اللغة، التي تُعدّ جزءا لا يتجزّأ من نظرية الفعل، حيث يحقق فعل القول في إطارها أفعالا اعتقادية؛ من قَبيل : التأكيد،أو الأمر، أو النهي، أو الاستفهام، أو التعجب.[3]

و" اللغة ليست مجرّد أداة للإخبار أو الوصف، بل وسيط لبناء الواقع والتأثير فيه وتحويله، وعليه فموضوع البحث يرتكز على ما نفعله بالتعابير التي نتلفّظ بها (أفعال الكلام)"[4]

يرى محمود أحمد نحلة أنّه:" إذا عدلنا عن تقسيم الكلام إلى خبر وإنشاء، وقسّمناه أوّليا إلى أفعال يكون اللفظ بها إيقاعا لفعل، وأفعال تصف وقائع العالم الخارجي، أو تخبر بها (إيقاعية – أو

[1] – ينظر:مسعود صحراوي :التداولية عند العلماء العرب – دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي ، دار الطليعة للنشر والتوزيع ، بيروت لبنان ، ط1. 2005.ص :18،20 .

[2] – ينظر:محمود أحمد نحلة :آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر،ص:61.

[3] – عبد السلام عشير: عندما نتواصل نغيّر مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، إفريقيا الشرق، ط2. 2012.ص:65.

[4] – حسان الباهي: الحوار ومنهجية التفكير النقدي، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ط1. 2000. ص: 123.

إخبارية) فسوف نضع اللّبنة الأولى لبناء نظريّة عربية للأفعال الكلامية، ونتخلّص في الوقت نفسه من تقسيم مضطرب وملتبس".[1]

1.2. عند أوستين: يعد جون أوستين J.Austin مؤسس نظرية الأفعال الكلامية وواضع المصطلح الذي تعرف به إلى الآن. وذلك في المحاضرات التي ألقاها في أكسفورد oxford في العقد الثالث من القرن العشرين، ثم في محاضراته الإثنتي عشرة التي ألقاها في Harvard هارفارد سنة 1955 ونشرت بعد موته في 1962 بعنوان "**كيف نفعل الأشياء بالكلمات**" quand dire c est faire وقد تأثر بمحاضرات **فيتغنشتاين** في "ألعاب اللغة" وأرسى مبدأ "المعنى هو الاستعمال"2 فمثلا عند قولك "أوصي بنصف مالي للجمعيات الخيرية" فحين النطق بهذه العبارة فأنت لا تلقي قولا بل تنجز فعلا. وهو ما يسمى الفعل الكلامي: وهو "كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري يعد نشاطا ماديا نحويا يتوسل أفعالا قولية actes locutoires لتحقيق أغراض إنجازية actes illocutoires (كالطلب والأمر والوعد والوعيد ...) وغايات تأثيرية actes perlocutoires لرفض أو قبول المتلقي. ومن ثم انجاز شيء ما[3]". وقد ميّز أوستين بين نوعين من المنطوقات أوّلها:" المنطوقات التقريرية الوصفية، ونوع آخر يتشابه مع النوع الأوّلتشابها ظاهريًّا في البنية، غير أنّه لايقوم بالوظيفة التي يقوم بها هذا النوع(...) ويسمّي أوستين هذا النوع بالمنطوقات الأدائية"[4]

و توصّل "**أوستين**" في آخر مرحلة من مراحل بحثه إلى تقسيم الفعل الكلامي الكامل acte intégrale discours de إلى ثلاثة أفعال فرعية على النحو الآتي:

1- فعل القول أو الفعل اللغوي: acte locutoire

يكون بإطلاق الألفاظ في جمل مفيدة ذات بناء نحوي سليم وذات دلالة، ففعل القول يشتمل بالضرورة على أفعال لغوية نوعية[5]، يوعي المستويات اللسانية المعهودة: المستوى الصوتي التركيبي

[1] – ينظر: محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص: 97.

[2] – ينظر : المرجع السابق ، ص: نفسها .

[3] – ينظر : :مسعود صحراوي :التداولية عند العلماء العرب،ص:40.

[4] – ينظر: صلاح إسماعيل عبد الحق: التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، دار التنوير للطباعة والنشر، لبنان، ط1، 1993.: ص: 137.

[5]–ينظر : مسعود صحراوي: التدولية عند العلماء العرب، ص :18،20 .

والمستوى الدلالي. لكن "أوستين" يسميها أفعالا: الفعل الصوتي، وهو، وهو التلفظ بسلسلة من الأصوات المنتمية إلى لغة معينة، وأما الفعل التركيبي فيؤلف مفردات لغة معينة، وأما الفعل الدلالي فهو توظيف هذه الأفعال حسب معان وإحالات محددة. فقولنا مثلا: إنها ستمطر، يمكن أن يفهم معنى الجملة، ومع ذلك لا ندري أهي: إخبار بـ "أنها ستمطر" أم تحذير من عواقب الخروج في الرحلة، أم "أمر يحمل مظلة" أم غير ذلك...إلا بالرجوع إلى قرائن السياق لتحديد "قصد" المتكلم أو "غرضه" من الكلام.

2- **الفعل المتضمن في القول**: acte illocutoire

هو الفعل الإنجازي الحقيقي إذ "أنه عمل ينجز بقول ما" وهذا الصنف من الأفعال الكلامية هو المقصود من النظرية برمتها، ولذا اقترح "أوشين" تسمية الوظائف اللسانية الثاوية خلف هذه الأفعال: القوى الإنجازية. من أمثلة ذلك: السؤال، إصدار تأكيد أو تحذير، وعد أمر، شهادة في محكمة، فالفرق بين الفعل الأول والفعل الثاني، هو أن الثاني قيام بفعل ضمن قول شيء، في مقابل الأول الذي هو مجرد قول شيء.

3- **الفعل الناتج عن القول**: acte perlocutoire

يرى "أوستين" أنه مع القيام بفعل القول وما يصحبه من فعل متضمن في القول (القوة)، قد يكون الفاعل (وهو هنا الشخص المتكلم) قائما بفعل ثالث هو "التسبب في نشوء أثار في المشاعر والفكر، ومن أمثلة تلك الآثار الإقناع، التضليل، الإرشاد، التثبيط... "بسمية الفعل الناتج عن القول، وسماه بعمتهم الفعل التأثيري"

خصائص الفعل الكلامي: يلاحظ "أوستين"أنه توجد ثلاثة خصائص للفعل الكلامي الكامل:

- فعل دال.
- فعل انجازي (أي ينجز الأشياء والأفعال الاجتماعية بالكلمات).
- فعل تأثيري (أي يترك أثارا معينة في الواقع، خصوصا إذا كان فعلا ناجحا).

ليقوم فعل كلامي على مفهوم "**القصدية**"؛ وتقوم مسلّمة القصدية على أساس تداولية درسها فلاسفة التحليل ثم توسع في تعريفها وتصنيفها التداوليون، حتى غدت شبكة من المفاهيم المترابطة

تملك قيمة تداولية نصية حوارية، وتعد مراعاة مفهوما وشبكتها المفاهيمية من أبرز المفاتيح المنهجية في الدراسات اللسانية النصية.

قام أوستين بتصنيف الأفعال الكلامية على أساس قوتها الإنجازية إلى خمسة أصناف[1]:

– **الحكميات**actes verdictif وهي بجوهرها إطلاق أحكام على واقع، أو قيمة مما يصعب القطع به. ومن أمثلتها: برأ، قيم، حسب، وصف، حلل، صنف، أرخ، فسر.

– **الإنفاذيات**: وهي تقوم على استعمال الحق أو القوة وما إليهما. ومن أمثلتها: عين، سمى، استقال، أعلن، صوت، صرح، أمر، نهى.

– **الوعديات**:**actes promissifs** قد تكون الزمات المتكلم بأداء فعل ما، كما قد تكون إفصاحات عن نواياه، ومن أمثلتها: وعد، نذر، أقسم،راهن، عقد، عزم، نوى.

– **السلوكيات**: ترتبط بإفصاحات عن حالات نفسية تجاه ما يحدث للآخرين، أو بالسلوك الاجتماعي، ومن أمثلتها: اعتذر، شكر، هنأ، عزى، انتقد، مدح، هجا، وبخ، ودع، بارك.

– **التيبينيات**: وهي توضح علاقة أقوالنا بالمحادثة أو المحاجة الراهنة، ومن أمثلتها: أثبت، أنكر، أجاب، اعترض (تأكد) مثل، استنبط، شرح، وصف، صنف[2]

إلاّ أنّه توجد مآخذ على تقسيم أوستين للأفعال الكلامية، وذلك يرجع إلى الاضطراب في التقسيم، فهو لم يُقسّم الأفعال على أسس منهجية، ماعدا "الوعديات التي صنّفها باعتبار الغرض الإنجازي، وتوجد سمة اضطراب أخرى وهي أنّه يمكن للمتكلّم أن ينجز القوّة الغرضية بأكثر من فعل لغوي[3]

[1] – ينظر: ج أوستين: نظرية أفعال الكلام العامةكيف ننجز الأشياء بالكلمات، تر: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، ط2. 2008. ص:174.

[2] – ينظر : طالب سيد هاشم الطبطبائي ،نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، مطبوعات جامعة الكويت، د.ط. 1994. ص:10،11.

[3] – ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري: استرتيجيات الخطاب، ص: 157.

2.2. عند سيرل: استطاع **جون سيرل** أن يطور تصور **أوستين** لشروط الملاءمة أو الاستخدام التي إذا تحققت في الفعل الكلامي كان موفقا. تكون بمثابة شروط نجاح الفعل الكلامي، وتطبيق نتائج الفعل النموذجي على بقية الأفعال.

وقام بتحديد مفهوم القوة المتضمنة في القول بتحليلها إلى ما يلي:

1. **الغرض المتضمن في القول:** مثلا الوعود غرضها إلزام المتكلم نفسه بعمل شيء، والهدف من الوصف هو تمثيل الشيء، والهدف الإنجازي للطلب والأمر هو جعل المتلقي يقوم بفعل شيء ما.
2. **درجة الشدة للغرض المتضمن في القول:** حيث تحقق أفعال مختلفة متضمنة في القول نفس الغرض المتضمن في القول بدرجات مختلفة في الشدة. مثال: أنا أطلب منك أن تعمل على أقل شدة من: أنا أصر عليك أن تعمل على شروط المحتوى القضوي: فعل في المستقبل مطلوب من المخاطب.[1]
3. **الشروط المعدّة:**conditions préparatoires وهي الشروط اللازم تحقيقها ليكون الفعل صحيحا مثلا: جميع الأفعال التي غرضها حمل المخاطب على القيام بفعل ما. يكون من شروطها المعدة قدرة المخاطب على القيام بذلك الفعل.

وهناك ارتباط بين الشروط المعدة ونمط تحقيق الغرض لقوة ما مثلا: المتكلم المصدر لأمر إداري –وهو نمط معين من أنماط تحقيق غرض الطلب– لابد أن يحوز مقاما إداريا يخول له الأمر ، وهذا المقام هو الشرط المعد اللازم لإصدار ذلك الأمر.

4. **شرط الإخلاص أو شرط الصراحة:**condition de sincérité المتكلم يريد من المخاطب حقا أن ينجز هذا الفعل، وبذلك يتمكن من تحقيق الغرض المتضمن في القول بدرجات متفاوتة حسب الشحنة التي يضفيها المتكلم على خطابه. مثلا: المتكلم الذي

[1]– ينظر : عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص :158.

يقدم على طلب، يعبر عن رغبته بقيام المستمع بالفعل المطلوب لكنه إذا توسل أو استجدى أو تضرع فإنه يعبر عن رغبة أقوى من التي يعبر عنها بالطلب المجرد.

5. **الاختلاف في اتّجاه المطابقة:** اتّجاه المطابقة في بعض الأفعال الإنجازية من الكلمات إلى العالم، كالإخباريات، وهو في البعض الآخر من العالم إلى الكلمات، كالوعد والرجاء.[1]

أما الأقسام الخمسة للقوى المتضمنة في القول عنده فهي:

1. **التقريريات Assertive**: والغرض منها هو الغرض التقديري (واتجاه المطابقة في الغرض التقديري هو من القول إلى العالم ولا يوجد شرط عام للمحتوى القضوي في التقريريات إذ أن أية قضية يمكن أن تشكل محتوى في التقريرات. والشرط المعد لجميع التقريريات هو حيازة المتكلم على شواهد أو أسس أو مبررات ترجح أو تؤيد صدق المحتوى القضوي، والحالة النفسية التي تعبر عنها التقريريات هي الاعتقاد.
2. **الوعديات Commissives**: الغرض منها هو الغرض الوعدي (واتجاه المطابقة في الغرض الوعدي هو من العالم إلى القول، والمسؤول عن أحداث المطابقة هو المتكلم) أما الشرط العام للمحتوى القضوي في الوعديات فهو أن تمثل القضية فعلا مستقبلا للمتكلم، والشرط المعد هو قدرة المتكلم على أداء ما يلزم نفسه به، والحالة النفسية التي يعبر عنها في الوعد هي القصد intention [2].
3. **الأمريات (الطلبيات) Directives**: الغرض منها هو الغرض الأمري (الطلبي) (واتجاه المطابقة في هذا الغرض يكون من العالم إلى القول، والمسؤول عن إحداث المطابقة هو المخاطب) والشرط العام للمحتوى القضوي هو أن يعبر عن فعل مستقبل للمخاطب. أما الشرط المعد لها فهو قدرة المخاطب على أداء المطلوب منه، والحالة النفسية التي يعبر عنها في الأمريات هي الإرادة أو الرغبة want or desire والأمريات تخلق أسبابا للمخاطب كي يؤدي المطلوب منه.

[1] – ينظر: محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص:78.

[2] – ينظر :المرجع السابق ، ص:30.31.

4. **الايقاعيات Déclaratives** الغرض منها إحداث تغيير في العالم بحيث يطابق العالم المحتوى القضوي بمجرد الإنشاء الناجح successful performance للفعل الكلامي. ويتم ذلك بالاستناد إلى مؤسسة غير لغوية extraa-linguistique institution بحيث تعتبر هذه المؤسسة الإنشاء الناجح لذلك الفعل الكلامي إحداثا للتغيير المطلوب (واتجاه المطابقة هو الاتجاه المزدوج) وجميع الإيقاعات الصحيحة لها محتوى قضوي صادق. من هذه الجهة تتميز الايقاعيات عن غيرها من الأفعال الكلامية بأن إنشاءها بنجاح يكفي لتحقيق المطابقة بين القول والعالم. ولا يوجد شرط خاص للمحتوى القضوي للإيقاعيات، وإن كانت الموضوعات التي يمكن للإيقاعيات أن تعمل عليها محدودة جدا. أما الحالة النفسية التي تعبر عنها الايقاعيات فهي الاعتقاد (التصديق) بوقوع الفعل بنجاح والرغبة في وقوعه ناجحا believe and desire ويتوافق الاعتقاد والرغبة مع القصد intention في تحقيق الغرض المتضمن في القول.[1]

5. **التعبيريات Expressive** الغرض من البوحيات ذات الصيغة "ق(ض)" هو التعبير عن موقف attitude حيال الواقعة التي تعبر عنها القضية "ض" (واتجاه المطابقة في غرضها هو الاتجاه الفارغ). ويبدو أنه ليس ثمة شرط عام محدد للمحتوى القضوي في البوحيات لكن القضايا التي تتضمنها أكثر البوحيات ترتبط بنحو ما بالمتكلم أو المخاطب. والشرط المعد لأغلب البوحيات هو تحقق المحتوى القضوي سلفا، إذ أن المتكلم إنما يعبر فيها عن حالته النفسية تجاه الواقعة المفروض تحققها[2].

الأفعال الإنجازية المباشرة وغير المباشرة:

لحظ سيرل أننا نتواصل بالأفعال الإنجازية غير المباشرة أكثر من تواصلنا بالأفعال الإنجازية المباشرة، والأفعال الإنجازية المباشرة التي لا تستخدم إلا مباشرة قليلة جدا، وهي تقتصر في الغالب على الأفعال المؤسساتية أو التشريعية، وهي كالتوكيل والتفويض والوصية والتوريث والإجارة ونحوها، لأن الأفعال الكلامية إذا استخدمت غير مباشرة سوف تؤدي إلى اللبس وضياع الحقوق.

[1] – ينظر: طالب سيد هاشم الطبطبائي، نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، ص : 31.30 .

[2] – ينظر: المرجع نفسه ، ص :33.32.

"ويقترح سيرل انطلاقا من هذا التصنيف نسقا من القواعد الاستدلالية، لوصف قدرة المخاطب على استنتاج وإدراك الفعل غير المباشر المنجز في مقام معيّن أو في طبقة مقامية معيّنة"[1].

ويمكن التمييز بين الأفعال الإنجازية المباشرة وغير المباشرة بتحديد ثلاثة فروق جوهرية:

– أن القوة الإنجازية للأفعال المباشرة تظل ملازمة لها في مختلف المقامات، أما الأفعال الإنجازية غير الحرفية فموكولة إلى المقام حيث لا تظهر قوتها الإنجازية إلا فيه.

– أن القوة الإنجازية للأفعال غير المباشرة يجوز أن تلغى، فإذا قال لك صاحبك: أتذهب معي إلى المكتبة ؟ فقد تلغى القوة الإنجازية غير المباشرة وهي الطلب ليقتصر الفعل على قوته الإنجازية المباشرة وهي الاستفهام.

– أن القوة الإنجازية لا يتوصل إليها إلا عبر عمليات ذهنية استدلالية، تتفاوت من حيث البساطة والتعقيد، أما القوة الإنجازية المباشرة فتؤخذ مباشرة من تركيب العبارة نفسه.[2]

ويضع مانقونو maingueneau شروطا للتعامل مع المضمرات القصدية sous entendus intentionnels هي:

–الكفاءة اللغوية القائمة على معرفة الافتراضات المسبقة présupposés.

–معرفة قوانين الخطاب.

–المعرفة الموسوعية.[3]

وذلك لارتباط القوة الإنجازية للأفعال غير المباشرة؛ بقصد المتكلم من جهة وبخصوصية المقام الذي ترد فيه.

ويرتبط استعمال الأفعال الكلامية بغرض **توجيه orientation** المتلقي للفعل ، من خلال اتّباع المتكلم ل**لإستراتيجية التوجيهية** التي يولي فيها المتكلم العناية لتبليغ قصده وتحقيق هدفه الخطابي، إتاحة الفرصة له لفرض قيد ولو بسيط على المتلقي ، وهي بهذا تعدّ ضغطا وتدخلا —ولو بدرجات متفاوتة —على المتلقي، وتوجيهه لفعل مستقبلي معيّن.[4] من خلال تطبيق **السلطة**

[1] – أحمد المتوكّل : الاستلزام التخاطبي بين البلاغة العربية والتداوليات الحديثة، ص: 296.

[2] –ينظر: أحمد محمود نحلة :آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص: 84.83. وينظر: أحمد المتوكل: آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ط1. 1993. ص: 23.

[3] voir :Dominique maingueneau: pragmatique pour le discours littéraire ، bordas ، ، paris 80.

[4] –ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص: 322.

بالخطاب عليه، عند امتلاكه لتسيير الخطاب بأنا المتكلم التي يجب أن تكون في مرتبة أعلى من المتلقي، لأن كون طرفي العملية التواصلية في مرتبة واحدة لا يستدعي استعمال الإستراتيجية التوجيهية،ولا يعدّ التوجيه فعلا لغويا فحسب ،بل يعدّ وظيفة من وظائف اللغة سماها رومان جاكبسون الوظيفة الندائية.

ومن بين الدراسات التي تتعلّق مباشرة بأفعال التوجيه **مبدأ التعاون** principe de coopération الذي صاغه **غرايس**، وهوكما يرى مانقونو D.maingueneau"يلزم عناصر التواصل بعدم قطع العلاقة التحادثية القائمة بينهم "[1]على اعتبار أنه ميتا مبدأ meta principe

مبدأ عام حول طبيعة المحادثة ،إذ يسهم في ضبط الأفعال في دلالتها على قصد المتكلم ، لأن همّه منصبّ تماما على تبليغ المتلقي قصده كما يريد، انطلاقا من أنه يفترض تعاون المتلقي معه. بالإضافة إلى مجموعة قواعد متفرّعة عنه ، يلتزم بها المتكلمون عادة التحقيق نجاعة الفعل الكلامي ؛ويعرّف غرايس مبدأ التعاون كما يلي:

"أن تجعل مساهمتك في المحادثة كما هو مرجو منك ، من حيث اختيار التوقيت المناسب، وأن تكون تلك المساهمة متماشية مع الهدف والتوجه المسلّم بهما للتبادل الخطابي الذي تقع ضمنه".

والقواعد المتواضع عليها ، والمتمثلة في بديهيات تحادثية maximes conversationnellesوالتي يستند إليها هذا المبدأ هي:

- من حيث الكمmaximes de quantité أن تجعل مساهمتك إخبارية بالقدر المطلوب ، (حسب ما تمليه الحاجة في تلك المحادثة القائمة) ولا تقدم معلومات أكثر مما يلزم.
- من حيث الكيف maximes de qualité ألا تقول ما تعتقد أنه خطأ، ولا تتحدث بشيء لا تملك بشأنه حججا كافية.
- من حيث العلاقة maximes de relationأن تتحدث عما هو مناسب للموضوع.
- من حيث الأسلوبmaximes de modalité أن تكون واضحا وتتجنب الغموض في التعبير، (ابتعد عن ازدواجية المعنى)، وتتكلم بإيجاز(ابتعد عن الحشو)، وأن تكون منظما.

[1] -voir :Dominique maingueneau: pragmatique pour le discours littéraire p 102.

بهذا الطرح يكون غرايس قد وصف الضوابط التي تتحكم في استعمالات المتكلمين للغة أثناء المحادثة، وأتاح الإمكان لوصف أنواع الدلالات التي يمكن للمتكلم أن أن يوحي بها في حالة عدم التزامه بهذه الضوابط، فذلك يؤدي إلى إيحاء المتكلم بالإضافة إلى المعنى المباشر لمقولته بمعنى إضافي هو المعنى الضمني للمحادثة. [1]

فالقواعد المتفرعة عن مبدأ التعاون تنزل منزلة الضوابط التي تضمن لكل مخاطبة إفادة تبلغ الغاية في الوضوح، بحيث تكون المعاني التي يتناقلها المتكلم والمخاطب معاني صريحة وحقيقية، إلا أنهما يتخالفان في تطبيق هذه القواعد ، فتنتقل الإفادة في المخاطبة من ظاهرها الصريح والحقيقي إلى وجه غير صريح وغير حقيقي، فتكون المعاني المتناقلة بين المتخاطبين معان ضمنية ومجازية.[2]

وقد صاغ غرايس ضوابط مبدأ التعاون على شكل قوانين تتجلى فيما يأتي:

-بديهية العلاقة :قانون الإفادة

- بديهية الصدق: قانون الصدق

- بديهية الكمية: قانون الإخبارية

- بديهية التوجيه: قانون الشمولية

أ- **قانون الإفادة:loi de pertinence** يعد أهم قانون يقوم عليه مبدأ التعاون، لأنه يتسم بالدقة والوضوح، من باب أن الملفوظ فيه يكون أقل إخبارا، لأنه يدفع المستمع لإثراء معلوماته أو تغييرها.فهو قانون يرتبط أساسا بمدى وجود فائدة للمستمع من الخطاب الموجه له.

ب- **قانون الصدق:loi de sincérité** حيث يؤكد غرايس على المشاركة الصادقة سواء أكان الأمر مرتبطا بالاستفهامات **أو** التقريرات؛ فمن يسأل يرغب بجدية في معرفة الإجابة في الأوامر، ومن ناحية المتلقي فهو —وفق هذا القانون — يعقد ثقته في المتحدث كونه كان صادقا في حديثه.

ج- **قانون الإخبارية و قانون الشمولية: loi de information et loi exhaustivité**يمثل الإخبار هدف التواصل عامة، وهو من دعائم تجسيد الفكر ، وإيصاله إلى المتلقي.

[1] -ينظر: ج.ب. براون،ج. يول: تحليل الخطاب،ص: 41.40.

[2] -ينظر: طه عبد الرحمان : اللسان والميزان، ص: 239.

إنّ القواعد التي سطّرها غرايس لا تستجمع كلّ الشروط الكافية للكشف عن كل الاستلزامات وإظهارها. ومن ثمّ وجب البحث عن قواعد أخرى متمّمة لها. أو العمل على تعويض بعضها بقواعد أو مبادئ أخرى أكثر فاعلية.

فعمد كلّ من سبيربر وويلسون إلى سوق مبدأ الملاءمة؛ الذي يشكّل في نظرهما أساس كلّ عمليّة تواصلية، وهو ما سيجعلهما يركّزان على المقاربة النفسية عوض المقاربة المنطقية في التأويل.[1]

ففي الوقت لذي يعدّ فيه غرايس الملاءمة قاعدة ضمن قواعد الحوار الأربعة التي صاغها. يرفض هؤلاء هذا الموقف ويصرّان على اعتبارها مبدأ .

ذلك أنّ اعتبارها مجرّد قاعدة، يجعلها عرضة للاحترام أو الخرق شأنها شأن القواعد الأخرى. فقاعدة الملاءمة كما حدّدها غرايس مقيّدة وغامضة . لهذا عمل سبيربر وويلسون على إعادة تحددها بالكفّ عن النظر إليها كقاعدة، بل باعتبارها مبدأ يشكّل أصل العملية التواصلية.

انطلاقا من أن الهدف من العملية التواصلية هو تعديل محيط المخاطب بحذف شيء أوإضافته أو تقويته. لتصبح بذلك عملية تواصلية استنتاجية. وبهذا تحوّل السياق معهما من مجرّد عامل من العوامل التي تتدخّل في استعادة المضمر إلى عامل أساسي في كلّ عملية تهمّ التأويل. لتنتقل الملاءمة من كونها تعريفا متعلّقا بالخطاب إلى تعلّقها بالسياق.

وأصبحت نظرية معرفية تساعدنا على تأويل التعابير بشكل كاف.[2]

3. الأفعال الكلامية عند البلاغيين العرب (الخبر والإنشاء):

تندرج ظاهرة الأفعال الكلامية في البلاغة العربية ضمن مباحث علم المعاني وتحديدا ضمن الظاهرة الأسلوبية المعروفة بـ :"الخبر والإنشاء "وبهذا يمكن أن نعدها مقابلة لنظرية أفعال الكلام عند الباحثين المعاصرين.

يعرف السكاكي علم المعاني بقوله:"اعلم أن علم المعاني هو تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره، ليحترز بالوقوف عليها من الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره "[3]

[1] – ينظر: حسان الباهي: الحوار ومنهجية التفكير النقدي. ص: 145.

[2] – ينظر: المرجع السابق ، ص:148.147.146.

[3] – ينظر:السكاكي ،مفتاح العلوم ،ص:247.

ويوضح مفهومه لخواص تركيب الكلام فيقول:" وأعني بخاصية تركيب الكلام ما يسبق منه إلى الفهم عند سماع ذلك التركيب، جاريا مجرى اللازم له "

ويقول ابن خلدون عن علم المعاني:"هذا العلم الحادث في الملة بعد علم العربية واللغة، وهو من العلوم اللسانية لأنه متعلق بالألفاظ وما تفيده، ويقصد الدلالة عليه من المعاني... ويبقى من الأمور المكتنفة بالواقعات المحتاجة للدلالة عليها لأنه من تمام الإفادة،و إذا حصلت للمتكلم ،فقد بلغ غاية الإفادة في كلامه، وإذا لم تشتمل عليه منها فليس من جنس كلام العرب، فإن كلامه واسع، ولكل مقام عندهم مقال يختص به بعد كمال الإعراب والإبانة "[1]

الملاحظ أن علماء العرب عامة كثيرا ما كانوا يركزون على دعامة "الإفادة"في دراستهم للجملة والنص، إذ هي مناط التواصل بين مستعملي اللغة.

1.3. الإنشاء:

لاحظنا فيما سبق أن البلاغيين وبداية من السكاكي لم يستعملوا مصطلح "الإنشاء" بل استعملوا مصطلح "الطلب".

ويوافق الطلب عند السكاكي الإنشاء ويرى أنه لا يعرّفه تعريفا حدّيا وأن الطلب لايعرف لأنه "حقيقة معلومة مستغنية عن التحديد ."

ويحده بأنه: "ما يستدعي مطلوبا وأن يكون مطلوبة ".غير حاصل وقد الطلب امتناع تحصيل الحاصل.

من خلال هذه التعريفات نجد أن الطلب عند السكاكي مفهوم عام، يشمل الطلب وغير الطلب وعند القز ويني يرادف الطلب الإنشاء الطلبي.

1.1.3- الإنشاء الطلبي:

يشمل الإنشاء الطلبي على فروعه الخمسة: التمني، الاستفهام، الأمر، النهي، النداء. ولكل من هذه الأنواع شروطه المعدة، التي إذا توفرت جرى الأسلوب على الأصل.وإذا اختل فيها شرط امتنع إجراؤها على الأصل. وتخرج إلى معان فرعية وإذا انطلقنا من ثنائية (الواقع/التمثيل الذهني) يمكننا أن نميز بين أفعال تكون على شكل تمثيل ذهني للواقع ، لا يشترط تحققه على الواقع وهي: التمني والاستفهام. وبين أفعال يمكن تحققها في الواقع وهي الأمر والنهي والنداء.

[1]- ينظر: ابن خلدون ، المقدمة ،الدار التونسية للنشر والتوزيع والمؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر د.ط، 1984. ص:729.

الأفعال الكلامية غير المباشرة في البلاغة العربية:

ميز العلماء العرب بين الأفعال الكلامية المباشرة وغير المباشرة ، وهم إن لم يعرفوا المصطلح فإنهم عرفوا ما يدخل فيه ويندرج تحته، وأطلقوا عليه مصطلحات نحو: مقتضى الظاهر، ما خرج عن مقتضى الظاهر.

وقد حدد عبد القاهر الجرجاني مفهوما واضحا للأفعال الكلامية المباشرة في قوله: "ضرب أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، وذلك إذا قصدت أن تخبر عن زيد بالخروج على الحقيقة فقلت: خرج زيد. وبالانطلاق عن عمرو فقلت :"عمرو منطلق".[1]

فهذا النوع الأول من الأفعال الكلامية لا يزيد في الدلالة عن المعنى الحرفي الذي تمنحه اللغة، أما الأفعال الكلامية غير المباشرة فهي ما تدل هيئتها التركيبية على معنى لا يقصده المتكلم. فكأنه يقول شيئا ويعني شيئا آخر . ولها نوعان:

نوع لا يستلزمه الحوار: يتمثل في خروج الكلام عن مقتضى الظاهر أو عن أصل المعنى الحقيقي الصريح الذي تحمله العبارة اللغوية، وهي تتمثل في أن ما يقوله المتكلم هو ما يعنيه فعلا.

نوع يستلزمه الحوار: و ولأن هناك علاقة حميمة بين المتكلم والمتلقي، فإن المتلقي يأبى أن يصف المتكلم بالكذب، لأن عبارة تأتيني غدا تحتمل الصدق والكذب، والمتلقي يحقق فعل الإتيان استجابة لرغبة تنزيه المخاطب عن الكذب.

ويقدم الدرس الأصولي جهودا بارزة في دراسة المعاني المقامي هو ما يتمثل في الأفعال المقامية التي يتغير بتغير السياق. فيحمل معناها صورة مختلفة عن الصورة السابقة في كل استعمال. ويتمثل في الكناية على اعتبار أنها معنى يحمل المستمع على التأويل للوصول إلى قصد المتكلم ، من خلال ما تتيحه اللغة من إمكانات تعبيرية يقول عبد القاهر الجرجاني: "وضرب آخر أنت لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده لكن يدلك اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها إلى الغرض (...) أو لا ترى أنك إذا قلت: هو كثير رماد القدر، أو قلت طويل النجاد، أو قلت في المرأة: نؤوم الضحى، فإنكفي جميع ذلك لا تعني من مجرد اللفظ. ولكن يدل اللفظ على معناه الذي يوجبه ظاهره، ثم يعقل السامع من ذلك المعنى

[1] – ينظر: عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز في علم المعاني، ص:202.

على سبيل الاستدلال معنى ثانيا هو غرضك كمعرفتك من كثير رماد القدر أنه مضياف، ومن طويل النجاد أنه طويل القامة، ومن نؤوم الضحى في المرأة، أنها مترفة مخدومة لها من يكفيها أمرها (...) وكذلك تعلم عن قوله: بلغني أنك تقدم رجلا وتؤخر أخرى: أنه أراد التردد في أمر البيعة واختلاف العزم في الفعل (...)، وإذ قد عرفت هذه الجملة فها هنا عبارة مختصرة، وهي أن تقول المعنى ومعنى المعنى، تعني بالمعنى المفهوم من ظاهر اللفظ والذي تصل إليه بغير واسطة، وبمعنى المعنى أن تعقل من اللفظ معنى، ثم يفضي بك فلك المعنى إلى معنى آخر"[1]، إن قول عبد القاهر الجرجاني بـ**المعنى** و**معنى المعنى** ،هو ما يجعل فرقا بين المعنى المراد من اللفظ على سبيل ما تواضع عليه الناطقون باللغة، والمعنى الذي يقصده المتكلم وهو ما يكمن وراء المعنى الأول الذي يستعمل ركيزة للوصول إلى معنى المعنى ، الذي يعد درجة أعمق من الدلالة تحمل المستمع على تأويل معنى العبارة اللغوية اعتمادا على المقام الذي وردت فيه ، والوصول بعدها إلى المعنى الذي يقصده المتكلم من إيراد ذلك المعنى الأول.

ويحدد السكاكي الكناية بأنها :"ترك التصريح بذكر الشيء إلى ذكر ما يلزمه ، لينتقل من المذكور إلى المتروك، كأن تقول:فلان طويل النجاد، لينتقل منه إلى ما هو ملزومه، وهو طول القامة."[2]فالمتكلم حين يستعمل الكناية فإن لكلامه معنيان؛ معنى ظاهري حرفي مستفاد من الدلالة الحرفية المتواضع عليها للعبارة، ومعنى خفيّ وهو ما يسمى بمعنى المتكلم والذي يعبر عن قصد المتكلم من إيراد العبارة اللغوية، و يفرض المقام أهميته على العبارة، لأن دلالة طول النجاد إذا استعملت في مقام المدح ،فإنها لا تعني المعنى ذاته من إذا استعملت في مقام الفخر، الذي يربط بين طول النجاد وطول قامة الفارس حسبما تواضع عليه العرف اللغوي العربي.

وللتعبير الكنائي القدرة على استيعاب البعد التلميحي للخطاب، من خلال أنها تستلزم من المتكلم عملا ذهنيا من جهة، وفتح باب التأويل عند المرسل إليه، وتوظيف البعد الثقافي الذي يقوم على استدلال عكسي، أي الاستدلال بما مضى في الزمان، وشاع بين الناس التعامل وفقه.

[1] – ينظر: المرجع السابق ، ص: 203،202

[2] –ينظر: السكاكي: مفتاح العلوم، ص: 512.

4- تعديل القوة الإنجازية:

القوة الإنجازية: يمتلك الفعل الكلامي أغراضا إنجازية متباينة بتباين ملابسات استعماله." والقوة الإنجازية خاصة بالمنطوقات لا الجمل، فالمنطوق الواحد يمكن أن يمتلك قوى إنجازية مختلفة، وأغراضا إنجازية متباينة بتباين ملابسات الاستعمال، فالقوة الإنجازية هي الشدّة أوالضعف، اللذان يمكن أن يُعرَض بهما غرض إنجازي واحد.[1]

ويؤكّد محمد العبد أنّ مبحث التعديل صار دعامة لسانية تداولية، وتساعدنا معطياته على التحليل العلمي للنصوص الأدبية، وذلك بدراسة الأسس اللسانية التي بنيت عليها هذه النصوص. ويختلف تعديل القوة الإنجازية إيجابا وسلبا حسب الوسائل اللغوية المختلفة التي يكيّف بها المتكلّمون قوة المنطوق الإنجازية.[2]

علامات القوة: وضع أوستين للقوة ست علامات؛ وهي:الصيغة، نغمة الصوت، أشباه الجمل، أدوات الربط، مصاحبات المنطوق، ملابسات المنطوق. .

استراتيجيات التعديل:

من بديهيات الأمور أنّ غرض المتكلّم هو الذي يحدّد الطريقة التي يتكلّم بها،

أسباب تعديل القوة الإنجازية: إنّ الأسئلة المطروحة في هذا السياق، هي من قبيل: لماذا يُعدّل المتكلم قوة المنطوق الإنجازية؟ وما انعكاسات هذا التعديل على العلاقات بين المتكلّم والمخاطب؟ أو بين المتكلم ومحتوى القضية التي يُعبّر عنها؟.

حيث ترى جانيت هولمز سببين رئيسين إثنين يدفعان المتكلم إلى تعديل القوة المعتمدة في التعبير عن فعل كلامي بعينه. وهما:

التعديل من أجل نقل المعنى المرتبط بسلوك المتكلم وتصرفاته تجاه القضية التي يعبّر عنها.

التعديل من أجل التعبير عن معنى تأثيري، أو عن سلوك المتكلم إزاء المخاطب في سياق المنطوق.

ويمكن أن نستنبط عدة أنماط للأفعال الكلامية وطرائق تعديلها.

---

[1] – ينظر: محمد العبد: تعديل القوة الإنجازية دراسة في التحليل التداولي للخطاب، ضمن : التداوليات علم استعمال اللغة إعداد وتقديم: حافظ إسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث ، إربد، 2010. ص:313.314.

[2] – ينظر: المرجع نفسه ، ص: 322.323.

إضعاف الفعل الكلامي سلبيّ التأثير (التلطيف): إبقاء العلاقة الاجتماعية بين المتكلم والمخاطَب، وإضعاف التباين الاجتماعي بينهما، من خلال إضعاف قوة منطوق غير مُرَحّب به، للتعبير عن مشاعر إيجابية يمتلكها المتكلم تجاه المخاطَب، وهذه المشاعر هي نفسها التي تزيد تماسك العلاقة بينهما.

تقوية الفعل الكلاميّ إيجابيّ التأثير: وهي تعبر عن الصّداقة بين المتكلّم والمخاطَب.

إضعاف الفعل الكلاميّ إيجابيّ التأثير: زيادة التباين الاجتماعي بين المتخاطبين، وإنقاص قوة التماسك بينهم.

تقوية الفعل الكلامي سلبيّ التأثي: إضعاف الـمَوَدّة وتقوية التباين الاجتماعي بين المتخاطبين.

وسائل تعديل القوة:

وسائل خارجة عن نطاق اللغة: نحو حركات الجسم، وتعبيرات الوجه والعينين، إذ تظهر فعاليتها الخطابية في مصاحبة أفعال الكلام، ويسمّيها أوستين" مصاحبات المنطوق"

وسائل لغوية: تركيبية وغير تركيبية.

أ– وسائل التقوية: يمكن أن نميّز في العربية بين أربعة أنواع من الوسائل اللغوية المستخدمة لتقوية المنطوق؛ وهي:

أ– 1– وسائل التشكيل الصوتي:

النغمة، النبر، جهارة الصوت؛ والـمُعَوّل عليه في كلّ حال هو سياق الموقف الذي يعين كنه المعنى التأثيري للمنطوق.

أ–2– الوسائل المعجميّة :

يُقصَدُ بها ما قد يستخدمه المتكلّم – في بعض السياقات الاتصالية – من عناصر معجميّة تضيف قوّة إلى قوّة المنطوق الإنجازيّة؛ وقد تُوَجّه إلى المتكلّم، أو إلى المستمع، أوإلى المحتوى القضويّ.

الـمُقَوّيات الـمُوَجّهة إلى المتكلّم: وهي العناصر المعجميّة التي تشير إلى صدق المتكلّم، أو ثقته بما يعلم.نحو: بأمانة، صراحة (بصراحة)، بصدق.

الـمُقَوّيات الـمُوَجّهة إلى المستمع: العناصر المعجميّة التي تشير إشارة ضمنيّة أو صريحة إلى معرفة المستمع، أو إلى المعلومة التي تصنع خلفية مُشتركة بينه وبين المتكلم.

الـمُقَوّيات الـمُوَجّهة إلى المحتوى: وهي الوسائل المعجمية التي تستخدم من أجل تقوية القوة الإنجازية للمنطوق.بإثبات صحة القضية التي يُعَبّر عنها، أو توكيد صلاحيتها.نحو: الواقع، مؤكّد، لارَيب، لانزاع، لاجَرَم.

أ–3– الوسائل التركيبية: وهي طرق نظم المنطوقات وبناء الأساليب، وقد عالج البلاغيون العرب تلك الوسائل التركيبية، مُبَيّنين وظائفها وآثارها في تبليغ مقاصد المتكلّمين في علم المعاني؛ نحو: الاستفهام.

أ–4– **الوسائل الخَطابية**: ويقصد بها الوسائل الخارجة عن النص، ومن أهمّ الوسائل الخطابية التي تتضافر في النص أو الخطاب تحقيقا لوظيفة التقوية: تعيين الفعل الأدائي، التكرار، العلامات الرابطة، وسائل ماوراء الخطاب:

تعيين الفعل الأدائي: وهو وسيلة صريحة دالّة على غرض المنطوق الإنجازي؛ نحو: أسألك، أخبرك، أحذّرك.والتصريح بالأفعال الأدائية يجعل قوة المنطوقات أوضح.

التكرار: وهو وسيلة بلاغية مهمة يقصد إليها المتكلم لتقوية قوة المنطوق الإنجازية.

العلامات الرابطة: وهي تُعزّز قوة المنطوق الإنجازية؛ نحو: إلى جانب ذلك، فضلا عن ذلك، علاوة على ذلك، أكثر من ذلك.

أ–5– **وسائل ماوراء الخطاب**: وهي المفردات والعبارات التي تعدّ وسيلة لغوية صريحة لإبراز وعي المتكلم الذاتي بمجرى الخطاب وحالته، وإن لم تكن من بنية النص المنطوق أو المكتوب؛ نحو:أُشدّد، أُكرّر، أعود فأُكرّر....، ومن وسائل ما وراء الخطاب ما يتّجه إلى تقوية إسهام المشارك في التفاعل، نحو: كما تقول، كما قال فلان...

ب– وسائل الإضعاف: حيث تحتاج بعض سياقات الاتصال إلى إضعاف المتكلم لقوة المنطوق الإنجازية، ولها نفس وسائل التقوية من حيث النوعُ، لكنها مختلفة عنها من حيث الكيفية.

ب–1– وسائل التشكيل الصوتي: من أهمّها: منسوب التنغيم، النبر الضعيف، جهارة الصوت المنخفضة، النغمة العالية في سياق مناسب.

ب– 2– الوسائل المعجمية:

الـمُضعّفات الموجّهة إلى المتكلم: يستخدمها المتكلم في سياقات معيّنة ليدلّ بها على تحفّظه إزاء منطوق بعينه، ويغلب أن تعبّر هذه العناصر المعجمية عن الحالة السلوكية والمعرفية عند المتكلم، نحو: أظنّ، أُخمّن، أفترض، أحسب، أقدّر، يبدو لي، أستنتج....بالإضافة إلى قوالب تعبيرية تدل على تحفظ المتكلم عند تبريره فعلا كلاميا، مثل: إن لم أكن مخطئا، إن لم أكن أسأتُ فهمك، إن لم أكن أخطأتُ سماعك....

الـمُضعّفات الموجّهة إلى المستمع: وتعتمد على قدرة المستمع أو رغبته في التعاون مع المتكلم، نحو: يمكنك كذا، تستطيع كذا...وربما يستعمل المتكلم من القوالب التعبيرية ما يعبّر به عن تنصّله من الفعل الكلامي، مثل: إذا لم أسبّب لك إزعاجا، إذا لم تكن مشغولا...، وفي الخطاب العربي يعدّ تلطيف قوة الأمر عن طريق الدعاء للمستمع، الدعاء الذي يرد بعد الأمر، نحو: اربط عافاك الله.

الـمُضعّفات الموجّهة إلى المحتوى: تستخدم بعض العناصر اللغوية لإضعاف المحتوى أو التعبير عن عدم التأكد من صحته، تؤدّي إلى تلطيف قوة المنطوقات أو تخفيفها، منها: فقط، قليلا، نوعاما، إلى حدٍّما...، وقد تستخدم للتنصل الصريح والضمني من صحة الإخبار، مثل: افتراضا، تخمينا، ادّعاء، زعما، وفقالـ.....، وعناصر لغوية أخرى تدلّ على التوقع أو الجواز أو الاحتمال،مثل: يمكن، يحتمل، يجوز، يتوقع، من المحتمل....

ب–3– **الوسائل التركيبية:** وتتمثل في الأسئلة التذييلية، والتلطيف لأنماط خاصة من الاستفهام، ونفي الصفة، والعدول.[1]

إنّ الهدف من دراسة استراتيجيات تعديل القوة الإنجازية، هو التوصل من النص، إلى قصد صاحبه، باستغلال البنية اللسانية للملفوظ.

[1] – ينظر: محمد العبد: تعديل القوة الإنجازية، ص: 343.323.

5- الأفعال الكلامية في شعر الأسر عند المعتمد بن عبّاد (حسب تصنيف سيرل):

اعتمدنا في دراسة الأفعال الكلامية في شعر الأسر عند المعتمد بن عباد، على تصنيف سيرل للأفعال الكلامية، وحسب مدوّنة الدراسة، وجدنا التعبيريات، والتقريريات والتوجيهيات. وسنقوم بدراستها باستغلال ماوصل إليه البحث التداولي، كمفهوم الفعل الكلامي المباشر وغير المباشر، وقوانين الخطاب، وما يقابل ذلك من مباحث البلاغة العربية.

1- التعبيريات:

سمّاها أوستين " **البوحيات**" وغرضها الإنجازي هو التعبير عن الموقف النفسي، تعبيرا يتوفّر فيه شرط الإخلاص، وليس لهذا الصّنف من الأفعال اتّجاه مطابقة، فالمتكلّم لا يحاول أن يجعل الكلمات مطابقة للعالم، ولا العالم مطابقا للكلمات، ويدخل فيها الشكر والتهنئة والاعتذار والمواساة[1]. ويمكن أن تتّخذ شكل جُمل تعبّر عن سرور، أو ألم، أو فرح، أو حزن، أو عمل محبوب، أو عمل ممقوت.[2]

ويتوافق هذا مع ما يسمّيه تمّام حسّان الدلالة الإفصاحية؛ لأنّ الإفصاح هو استعمال اللغة بقصد التعبير عن موقف نفسي ذاتي، دون إرادة التأثير في البيئة، ولا يتحتّم أن يكون الإسماع مقصودا.[3]

والغرض منها هو التعبير عن موقف attitude حيال الواقعة التي تعبر عنها القضية "ض" (واتجاه المطابقة في غرضها هو الاتجاه الفارغ). ويبدو أنه ليس ثمة شرط عام محدد للمحتوى القضوي فيها، لكن القضايا التي تتضمنها أكثر التعبيريات ترتبط بنحو ما بالمتكلم أو المخاطب. والشرط المعدّ لأغلب البوحيات هو تحقق المحتوى القضوي سلفا، إذ أن المتكلم إنما يعبر فيها عن حالته النفسية تجاه الواقعة المفروض تحققها[4].

---

[1] – محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص: 50.

[2] – جورج يول: التداولية، تر: قصي العتابي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط1. 2010. ص: 90.

[3] – تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، ص:363.

[4] – ينظر: المرجع نفسه ، ص :33.32.

ونجد أنّ الخطاب الشعري في أسريّات المعتمد بن عبّاد، يعبّر عن حالات نفسية عاشها خلال محنته. ويعدّ خطاب الرثاء الأدعى للدراسة، لأنّ الرثاء تعبير عام عن الفقد؛ وسبيل الرثاء إظهار التفجع، بيّن الحسرة، مخلوطا بالتلهف والأسف والاستعظام.[1]

وكلام ابن رشيق عن سبيل الرثاء لا يخرج عن مفهوم البوح والتعبير. هذا الفقد الذي جسّده المعتمد بن عبّاد في كلّ معانيه؛ فنجد عنده رثاء الأبناء- وهو لم يرْثِ غيرهم-، ونجد رثاء النفس عندما أحسّ بدنوّ أجله، ونجد رثاء مُلكه من خلال وجهة نظره باعتبار أنه ملك فقَد مُلكه فما هي الطرق التي يرثي بها المَلك مُلكه؟ وماهي الأشياء التي بقيت في نفسه من هذا المُلك؟

أ – رثاء الأبناء:

ونجد فيه ثلاث قصائد؛ قصيدتان قالهما المعتمد قبل أسره الفعلي، لكن وقت محنته، عندما أدرك أنّ مُلكه ذاهب لا محالة. والقصيدة الثالثة قالها بعدأسره الفعلي.

القصيدة الأولى يرثي فيها ابنيه المأمون والراضي وقد رأى قمريّة نائحة على سكنها، وأمامها وكر فيه طائران يردّدان نغما[2]:[من الطويل]

بَـكتْ أنْ رأتْ إلـفَيْنِ ضَمَّهُما وَكـرُ مَساءً ، وقد أخْنى على إلفِها الدَّهرُ
بَكَتْ، لم تُرِقْ دمعا ، وأَسْبَلْتُ عَبْرَةً يُقَصِّرُ عنها القَطرُ مهما همى القَطْرُ
ونَاحت وبَاحـــت، واستَراحَت بسِرّها وما نطَقَتْ حرفاً، يبـــــوحُ به سرُّ
فماليَ لا أبكي أم القلبُ صخـــرةٌ وكم صخرةٍ في الأرضِ يجري بها نــهرُ
بَـكتْ واحِدًا لـم يُشْجِها غَيرُ فَقْدِهِ وأَبـكي لِأُلَّفٍ، عديـدُهـــــمُ كُـثرُ
بَـنِيَّ ، صـغيرٌ، أو خـليـلٌ مُـوافِقٌ يُـمَـزّقُ ذا قَفْرٌ، ويُـــــغرِقُ ذا بحرُ
ونَجـمانِ، زَيْـنٌ للـزَّمانِ، احتـواهما بقُرطُبَةَ النَّكـــــــداءِ، أو رُنْدَةَ، القبرُ
غَـدَرْتُ إذًا إن ضَنَّ جَفني بِقَـطـرِه وإن لَؤُمت نفـــسي، فصاحَبَها الصّبْرُ
فَقُـل للنُّـجومِ الـزُّهرِ تبكيهما معي لمثلهما فلتحزن الأنـــــــجم الزهر

[1] – ابن رشيق: العمدة، حققه وفصله وعلق حواشيح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل بيروت لبنان، ط5، 1981. مج: 2، ص: 147.

[2] – ينظر: المعتمد بن عبّاد، الديوان، ص:69.68.

يفتتح الشاعر قصيدته بفعل كلامي تقريري، مفاده أن الحمامة بكت عندما رأت إلفين ضمّهما وكر، وكان هذا في فترة المساء، التي يحنّ فيها الكائن إلى الأنيس، وتذكّرت إلفها الذي مات.

ثمّ ينتقل إلى فعلٍ ثانٍ، يتمثّل في أنّها بكت واحدا، والشاعر يبكي الكثير من الأُلاّف؛ فيتساءل المتلقي عنهم ،ويُعَرّفه الشاعر بهم ولا يترك له المجال للتوقع أو وضع احتمالات؛ بقوله: **بَنِيَّ** فيحدّد العلاقة التي سيؤسس بها خطاب الرثاء وهي الأبوّة.

يخرج الاستفهام في كثير من الحالات عن مراده الحقيقي والمتمثّل في طلب الإفهام، فيتحوّل من طلب الاستعلام إلى إنجازات أخرى يتحوّل بموجبها من استفهام حقيقي إلى استفهام بلاغيّ، يهدف لتحقيق أغراض إنجازية؛ فما هي الأفعال التي يمكن إنجازها بواسطة السؤال؟.

فقد جاء هذا الاستفهام بطرح مباشر تارة وسؤال بصيغة إخبارية؛ الأول في قوله: **مالي لاأبكي؟** والثاني: **أم القلب صخرة؟** إنّ هذين السؤالين الصريح والمضمر يولّدان فعلا كلاميا تقريريا غير مباشر، يتضمن القوة الإنجازية القصوى للاستفهام وهي الاستفهام الذي يتطلب إجابة،الأولى في قوله: **وكم صخرة** ....

والجواب الثاني الذي يقدّمه الشاعر للسؤال الصريح: **بنيّ** ..

وهو يلغي الافتراضات الواردة في بداية القصيدة والتي تتمثّل في بكاء الشاعر بسبب بكاء القمرية الوحيدة التي فقدت إلفها، وبكاء الشاعر الكثير الذي يعجز عنه حتى القطر مهما همى. ويزيد من إلغاء الافتراض الآخر الذي يجعل البكاء بسبب فقد الإلف إلى فقد آخر أكثر قوة هو فقد العديد من الأُلاّف ، ثمّ يفصّل في هويّة هؤلاء الأُلاّف؛ إنهم يتجاوزون معنى الإلف الذي بدأ به الشاعر القصيدة إلى ألاّف لهم شرعية أكثر فهم الأبناء، أبناء كثُر يبكيهم الشاعر، فمنهم **الصغير، والخليل الموافق،** وهم يختلفون حتى في طريقة الموت، فمنهم من **يمزّقه القفر،** ومنهم من **يُغرقه البحر،** ومنهم من قُتل في **قرطبة** أو في **رُندة.** وهذا تعديل بالزيادة لفعل التعزية. ويعضده باستدعاء أسلوب الوصف في قوله: **ونجمان** .

ويعزّز القوة الإنجازية للإفصاح بأسلوب الشرط:

غَـدَرْتُ إذًا إن ضَنَّ جَفني بِقَـطـرِه وإن لَؤُمت نفـــسي، فصاحَبَها الصّبْرُ

حيث يقدّم جملة جواب الشرط عن جملة الشرط؛ فيجعل من الغدر جوابا لأمرين : ضنّ جفنه بالبكاء و لؤم نفسه حين يصاحبها الصبر.

وإنما يعني اتّجاه نفسه إلى الصبر، ويختتم القصيدة بفعل توجيهي هو الأمر هو.الموجّه إلى مخاطب كوني، هو فعل كلامي غير مباشر غرضه التهويل، لأنه يدعو ما هو مستحيل وهو بكاء النجوم الزُّهر معه مُصابه.

يمكن أن نستنتج مايلي:

يتمحور مضمون القصيدة حول بكاء الشاعر لأبنائه الكثيرين، ودعوة مظاهر الطبيعة لمساندته في مصابه، ففي حين لايوجد **شرط** عام **للمحتوى القضوي** للتعبيريات، فإن **الشروط المعدّة** تقتضي تحقّق المحتوى القضوي الذي هو تعبير عن الحالة النفسية تجاه الواقعة المفروض تحقّقها وهي في هذه الحالة التعير عن عاطفة الحزن بالرثاء.

شرط الإخلاص المتحقّق: أنّ الشاعر يريد فعلا أن يرثي أبناءه. وهو صادق في رثائهم.

اتّجاه المطابقة: هو اتّجاه فارغ ؛ فهو لايريد جعل العالم مطابق للكلمات ولا الكلمات مطابقة للواقع.وهذا هو أصل التعبير، أنّه لا يريد التأثير في غيره، وتكون غايته القصوى التعبير عن الحالة النفسية.

استراتيجية التعديل:محور هذه القصيدة هو فعل التعزية، وهو الفعل الذي تتأسّس عليه استراتيجية التعديل؛ التي تكون بالزيادة في المواضع التي تقتضي الحزن الشديد،وتكون بالنقصان في المواضع التي يصبر فيها على هذا المصاب. وهو إذ يرثي ابنيه قبل أسره، لأنه يحزن عليهما حزنا شديدا مثلته اختياراته التي تمثّل سلوكه تجاه قضية ثكل الأبناء. يبدؤها بتقرير بكاء القمرية، والفرق بين بكائها وبكائه. وبعمق التعبير بتفصيل القول على أبنائه باستعمال الوصف: صغير، خليل موافق، نجمان.

وختمها بإشراك مظاهر الطبيعة – وهي هنا الأنجم الزهر- في البكاء معه.

فكان تعديل القوة الإنجازية لفعل التعزية بالزيادة في جميع مواضع القصيدة ، حتى عندما يركن إلى الصبر، فإنه يصف نفسه بالغدر واللؤم.

قال يندب ابنيه[1]:[من البسيط]

ياغَـــيْمُ ، عَينيَ أقوى منك تَهـتانا أبْكي لِحُزني ، ومـا حُمِّلْتَ أحْزاناَ
ونـــارُ بَرقِكَ تَخـــبو إثْرَ وقْـدتِـها ونارُ قلبِيَ تَبـــقَى الدَّهـرَ بُركـانا
نارٌ ومـــاءٌ صميـمُ القلبِ أصلُهـما مَتى حوى القلبُ نيرانا وَطوفانـا
ضِدَّانِ ، ألَّف صرفُ الـدَّهـــرِ بينهما لقد تـــــــلوَّنَ فِيَّ الدَّهـرُ أَلوانا
بَكَيْتُ فتحًا ، فإذْ مـــا رُمتُ سَلْوتهُ ثَوَى يـــــزيدُ ، فَزادَ القلبَ نيرانا
يـــا فِلْذَتَيْ كَبِـدي يأْبـــى تقَطُّعُها مِن وَجْدِها بكما ما عِشتُ، سُلواناَ
لقد هوى بِكُما نجـــــمانِ مَا رَمَيَا إلاّ مـــــن العُلوِ بالألحاظِ كيوانا
مُخَفِّفٌ عـــــن فُؤادي أنَّ ثُكْلَكُما مُثَقِّلٌ لِيَ يـــــومَ الحشْرِ مِيزانَا
يا فتْحُ ، قَد فَتَحتْ تلكَ الشَّهادةُ لي بابَ الطَّمـــاعةِ في لُقياكَ جَذلانا
ويا يزيدُ، لـــــــــقد زادَ الرَّجا بِكُما أن يَشْفعَ اللهُ بالإحسانِ إحـسانا
لَمَّا شَفَعْتَ أخـــــاك الفتْحَ ، تَتْبَعُه لَقّاكُما اللهُ غُـــــــفراناً ورِضواناَ
مِنّي السَّلامُ ، ومِـــــــن أُمٍّ مُفَجَّعةٍ عَلَيْـــــكُما أبدا ، مثْنى ووُحدانا
أَبكي وتَبْكي ، ونُبكي غَـــيرَنا أَسَفاً عـــــند التذكّر نـــــسوانًا وولدانا

إذا كان لايوجد **شرط للمحتوى القضوي** للتعبيريات، إلاّ أنّ **الشرط المعدّ** هو التعبير عن فقد الأبناء ورثائهم . في حين أنّ **اتّجاه المطابقة** اتّجاه فارغ يكتفي فيه الشاعر بالتعبير عن نفسه دون أن يروم التأثير في مخاطب ما.أمّا **شرط الإخلاص** فهو الصدق في التعبير عن الثكل. وهو عاطفة صادقة من طرف الآباء في حال فقدان أبنائهم.

يبتدئ المعتمد قصيدته بنداء الغيم؛والنداء فعل كلامي مباشر يحمل قوة متضمنة في القول هي النداء وغرضها الإنجازي هو لفت الانتباه، ثمّ ينتقل إلى المقارنة بينه وبين الغيم ووجه المقارنة هو كمية البكاء وداعيه.

[1] – ينظر: المعتمد بن عبّاد: الديوان، ص: 70.69.

ثمّ يقدّم استفهاما بلاغيا في قوله:

نارٌ ومـــاءٌ صميـمُ القلبِ أصلُهـما مَتى حوى القلبُ نيرانا وَطوفانـا

ويخرج هذا الاستفهام إلى فعل كلامي غير مباشر هو التعجب من أن يحوي القلب النار والطوفان، وهذا الاستفهام يدعو المتلقي إلى تقديم افتراضات تتمثل في: الحزن الشديد للشاعر، واستمرار هذا الحزن مدى الدهر، وتأثّر الشاعر من مصائب الدهر.

ثمّ يلغي هذه الافتراضات بتبيان السبب الحقيقي لحزنه، وهو فقد ابنيه على التوالي؛ وهو إن حاول الصبر بعد فقد ابنه الفتح إلاّ أنّ الدهر لم يمهله فثوى يزيد، وهو فعل كلامي مباشر هو التقرير الذي يحمل قوة متضمنة في القول هي الإخبار، ويعدّل القوة الإنجازية للفعل بالنقصان، **في قوله"فإذْ مـــا رُمتُ سَلْوتهُ"** هذه القوة المتمثلة في الصبر والتجلد؛ حيث إنّه في حين يُنتظر منه أن يقابل مصابه بابنه الفتح بالانفعال والحزن الشديد، إلاّ أنّه قابله بقوة الصبر التي تعدّ إنقاصا من القوة الإنجازية للانفعال .

لكن الاضطراب مازال قائما وتدلّ عليه الأدة"**إذ**" التي تدلّ على السرعة والفجاءة، ويقدّم الفعل الكلامي المتمّم لهذا الفعل وهو: **ثوى يزيد،** وهنا يقوم بتعديل القوة الإنجازية بالزيادة في قوله: "**فزاد القلب نيرانا**". ومفهوم تعديل القوة الإنجازية بالزيادة هو إضافة عناصر لغوية تعزز معنى الفعل فموت يزيد زاد من حزنه. ثمّ يعدل عن هذا الانفعال إلى تعديل القوة الإنجازية بالنقصان، في قوله:

مُخَفِّفٌ عـــــن فُؤادي أنَّ ثُكْلَكُما مُثَقِّلٌ لِيَ يـــــومَ الحشْرِ مِيزانَا

إنه ينقص من حزنه باحتساب الصبر وأجره يوم القيامة. وذلك باستدعاء معانٍ تقوم على اختيارات معجمية محددة نحو قوله:

يا فتْحُ ، قَد فَتَحتْ تلكَ الشَّهادةُ لي بابَ الطَّمــاعةِ في لُقياكَ جَذلانا

ويا يزيدُ، لـــــــــقد زادَ الرَّجا بِكُما أن يَشْفعَ اللهُ بالإحسانِ إحـسانا

فاستمدّ من المعنى المعجمي للفتح و يزيد معنى نيل ثواب الشهداء، الذي يضعف من القوة الإنجازية للملفوظ. فيقابل الحزن بجميل الجزاء، ويعضده بفكرة منحتها له عاطفة الأبوّة وهي الانتقال من أن ولديه قُتلا إلا أنهما حظيا بالشهادة. فينقص الحزن.

وعلى صعيد غير بعيد

يقوم المعتمد بتعداد الحزانى عليهم : الشاعر ، وأمّهم التي يعدّل القوة الإنجازية بالزيادة لهذا المنطوق بالصفة : "**مفجّعة**" وبقوله: "**مثنى ووحدانا**"

تعديل القوة الإنجازية بالزيادة : **أبكي، تبكي، نُبكي**... فالاستغلال الصرفي للفعل بكى وإضافة حرف الزيادة الذي يدلّ على التأثير والبعث على التعاطف .... الذي يثير تساؤلا فهذا التعاطف شمل النسوان والولدان فحسب ويعزّز

استراتيجية التعديل:

قام الشاعر باستدعاء مظاهر الطبيعة في التعبير عن الحزن، من باب تعديل القوة الإنجازية بالزيادة ، ثم تراجع عن ذلك عندما حاول تعديل القوة الإنجازية بالنقصان، حيث حاول التحمل وتمالك نفسه من خلال احتساب ثواب الشهداء والجنّة للصابرين. لكن ما يلبث أن يفقد السيطرة على مشاعره في نهاية القصيدة بسبب تدخل عامل التذكر، حيث يتراجع الصبر ويحلّ محلّه تزايد الحزن بفعل التذكّر.

والتعبير عن الـمُصاب:

بكاء الشاعر، أمهم، النسوان والولدان.

استعمال كنية ابنيه وتحديد سبب حزنه ومن يرثيه.

فإن سلوكه في التعبير كان مذبذبا بسبب شدة الحزن فتارة تتّقد أحاسيس الثكل، وتارة يمنّي نفسه بالصبر ولقيا ابنيه في الجنان شافعَين له. لكنّه لا يتحمّل الصبر فيشرك معه أمّهما والنسوان والولدان في فعل البكاء بسبب التذكّر.

وقال يرثي ولديه المأمون والراضي، وفيها يشير إلى قتل ابنه أبي عمرو سراج الدولة[1]:[من الطويل]

يَقولون صبرًا , لا سـبيلَ إلى الصَّبرِ سأبكي ، وأبكي ما تطاولَ مِن عُمري

هوى الكَوكَبانِ : الفتْحُ ثُمَّ شـــقيقُهُ يَزيدُ[2] ، فهل عِند الكـواكِبِ مِن خُبرِ

[1] – ينظر: المعتمد بن عبّاد: الديوان، ص:105،106.

[2] – المأمون: اسمه عبّاد، ويكنّى أبا الفتح، وأبا النصر، أكبر أولاد المعتمد بن عبّاد، ولاّه أبوه قرطبة عندما استولى عليها ثانية سنة 471هـ، وقتله المرابط ون بقرطبة. ينظر: الفتح بن خاقان: القلائد، ص: 69.

الراضي: هو أبو خالد يزيدبن المعتمد، كان كلوفا بمطالعة الكتب والدواوين، مولعا بالشعر، ولي الجزيرة الخضراء، قتله المربطون برُندة سنة 484هـ. ينظر: الفتح بن خاقان: القلائد، ص: 110.

تـــــــــرى زُهرَها في مأْتمٍ كُلَّ ليلةٍ تُخَمَّشُ لهفاً وسطَهُ صفـحةُ البـــــدرِ
يَنُحْنَ على نجْميْنِ ، أُثكِلْتُ ذا وذا وأصبِرُ؟ ما للقلبِ في الصّبر من عُذرِ
مدى الــدّهرِ فلْيَبْكِ الغَمامُ مُصابَهُ بِصِنْوَيْهِ يُعذَرُ في البُكاءِ مَدَى الــدّهرِ
بِعيْنٍ ســـــحابٍ واكِفٍ قطرُ دمعِها على كُلِّ قبرٍ حـلَّ فيه أخـــــو القطرِ
وبَرقٍ ذكيّ النّارِ حـــــــتّى كـأنّما يُسعَّرُ ممّا في فـــــؤادي مـن الجَمرِ
أَفَتْحُ ، لـقد فتّحتَ لي بابَ رحـمةٍ كمـــا بـيزيدَ ، اللهُ قد زاد في أجري
هوى بكما المقدارُ عنّي ، ولم أَمُتْ وَأُدعـى وفيّاً ، قد نكَصتُ إلى الغَدرِ
تولَّيتما والسِّنُّ بـــــــعدُ صغيرةٌ ولم تـــلبثِ الأيّامُ أن صغَّرت قـدْري
تولّيتما حين انتهتْ بـــــكما الـعُلا إلى غايةٍ ، كُـــــــلٌّ إلى غايةٍ يجرِي
فلَوْ عُدْتما لاخترتمُا العَوْدَ في الثَّرى إذا أنتما أَبصَرتُمـــــــــايَ في الأسْرِ
يُعيدُ على ســـمعي الحديدُ نشيـدَهُ ثـــــقيلاً فتبـكي العَيْنُ بالجَسِّ والنَّقرِ
مَعي الأَخَـــواتُ الهالكاتُ عليْكـما وأُمُّـــكُما الثَّكلى الـمُضرَّمةُ الصَّـدرِ
فتـــــبكي بدمعٍ ليـس للقَطْرِ مِثلُهُ وتزجُرُها التّـــقوى فَتُصغي إلى الزَّجرِ
أبـــــا خالدٍ أَوْرَثْتـــــني الحُزنَ خالدًا أباالنَّصرِ مُذْ ودَّعتَ ودَّعـــني نَصْري
وقَبْلَـــــكما قد أودعَ القـلْبَ حسرةً تجدّدُ طـــولَ الوقتِ ثَكلُ أبي عمرو[1]

إنّ **شرط المحتوى القضوي** للتعبيريات يتعلّق **بالشروط المعدّة** التي تجعل مجرّد التعبير عن الحالة النفسية تجاه الواقع . من الشروط المعدّة للتعبيريات؛ وهو هنا رثاء المعتمد لأبنائه بعد فقدهم . فهذا تعبير عن الواقع. وهو لا يريد أن يجعل العالم مطابقا للكلمات ولا الكلمات مطابقة للعالم، وهذا ما يجعل **اتّجاه المطابقة** في التعبيريات اتّجاها فارغا، أقصى ما يروم منه الشاعر تعبيره عن الرثاء شعرا. ويتحقق **شرط الإخلاص** من خلال التعبير بصدق عن فقد الأبناء .

يبدأ الشاعر قصيدته بصيغة حوارية، طرَفاها هما الشاعر وأناس مجهولون اجتمعوا عنده، وحتّى إن كانوا ذواتا مفترضة، فالمهمّ هو استغلال استدعائها في النص، الذي يجسّده إنجاز فعل التعزية.

[1] – ينظر: أبو عمرو: هو الظافر بن المعتمد بن عبّاد ملك قرطبة لأبيه من بني جهور في سنة 461هـ ، إلى أن ثار عليه فيها حريز بن عكاشة وقتله. النفح 1/ 626.

حيث يبدأ قصيدته بصيغة حوارية، فهم يدعونه إلى الصبر باستعمال المصدر النائب عن فعل الأمر: **صبرا**، ويخرج عن غرضه الأساسي وهو الأمرإلى الطلب، عن طريق التلطيف، ويوجد سؤال مضمر مفاده: بماذا لا تصبر؟ فيجيب: **لا سبيل إلى الصبر**. وسؤال مضمر آخر: لماذا تبكي؟ فيجيب: **سأبكي وأبكي**. ويبيّن لماذا: هوى الفتح وشقيقه يزيد.

من خلال هذه الأسئلة المضمرة، أجرى الشاعر فعلا كلاميا تقريريا غير مباشر، غرضه بكاء الشاعر على بنيه، ووجود الأشخاص المفترضة معه يدلّ على هول الواقعة، والقوة الإنجازية المستلزمة من هذه الأسئلة المضمرة، هي تهويل الواقعة التي حلّت بالمعتمد.

مما أدّى من الاستفهام إلى الإخبار الوصفي، فبدأ بوصف حال الكواكب أمام واقعة فقده لابنيه.

ومنه ينتقل إلى فعل توجيهي، هو الأمر باستعمال فعل الأمر ولام الأمر: **فليبكِ**.

وهو أمر يخرج عن غرضه الأصلي وهو الأمر، ويخرج إلى غرض مستفاد من السياق، وهو التعظيم.

ثم يعضده بفعل كلامي توجيهي وهو النداء: **أفتحُ**. وهذا النداء يخرج من لفت الانتباه إلى الندبة، ثمّ يركّز على الفعل الكلامي الإخباري الوصفي، وصف بكاء الغمام عليهما وأمّهما وأخواتهما.

فهذا الحزن لا يتجاوز أسرة المعتمد، وهذا نظرا إلى أنّ هذه القصيدة قالها بعد سنوات من فقد أبنائه. حبث أصبح الحزن أمرا داخليا شخصيا.

إضافة إلى أنه يصف حاله: الحزن، والقيود. ويختمها بالنداء من غير أداة: **أبا خالد**. وهو يخرج للندبة، ويذكر كنى أبنائه القتلى: المأمون (أبو الفتح، أبو النصر)، الراضي (أبو خالد). وسراج الدولة (أبو عمرو).

استراتيجية التعديل :بالنسبة لتعديل القوة لإنجازية فنجدها معدّلة بالزيادة لقوة الحزن . بداية من الاسفهام في بداية القصيدة. واستدعاء مظاهر الطبيعة للحزن معه؛ وهي: الأنجم الزهر، القطر.

ويتراجع ليعدّل القوة الإنجازية بالنقصان، في قوله:

أَفَتْحُ ، لـقد فتّحتَ لي بابَ رحـمةٍ كمـــا بـيزيدَ ، اللهُ قد زاد في أجري

حيث يضعف الاحتساب وتوقع الأجر من القوة الأنجازية لفعل التعزية، باستغلال الجذر اللغوي لاسمي ابنيه: فتح ـــــ فتحت / يزيد ـــــــــ زاد

ثم ما يلبث أن يعدّل القوة الإنجازية لفعل التعزية بالزيادة . من خلال لستعمال أسلوب الشرط :

فلَوْ عُدْتما لاخترتمُا العَوْدَ في الثَّرى إذا أنتما أَبصَرتُمـــــــانيَ في الأسْرِ

فالمعتمد يعود إلى واقعه ويتذكّر حاله التي يأبى أن يراه فيها ابناه.

وحزن المعتمد لا يقتصر عليه وحده، فتتعالى الأصوات حوله، إنهن أخواتهم وأمّهم وما أضفى عليهن من صفات زادت في القوة الإنجازية لفعل التعزية: **الهالكات، المضرّمة الصّدر**. ويضعف من القوة الإنجازية لفعل التعزية عند الأم من خلال: **تزجرها التقوى**.

ويزيد من القوة الإنجازية بذكره لثلاثة أمور:

أوّلها: ذكر كنى أبنائه:

ثانيها: استعمال الجذر اللغوي لهذه الكنى:أبا خالد ـــــ خالدا / أبا النصر ـــــ ودّعني نصري

ثالثها : تذكّر ثكله لابنه أبي عمرو سراج الدولة

ب–رثاء النفس:

ويلجأ إليه الشاعر القائد حين يحسّ بدنوّ أجله، وضياع قدره وتضاؤل مكانته على فترة من فترات حياته الزاهرة، " وهنا يلجؤون إلى نوع من التعويض، فيرثون أنفسهم لأنّهم لا يتوقّعون أن يبكيهم من تركوه على قيد الحياة، من الأشياع و[1]الأتباع أو ممّن كانوا أشياعا"

فالمعتمد لـمّا أحسّ بدنوّ وفاته رثى نفسه بهذه الأبيات ووصّى أن تُكتب على قبره[2]:[من البسيط]

قَــبرَ الغريبِ سقاك الــرّائحُ الغادي حـــــقًّا ظَــفِرتَ بأشــلاءِ ابن عبّادِ

بالحِلـمِ، بالعلــمِ ، بالنُّعمى إذا اتَّصلت بالخِصبِ إن أجدبوا، بالرِيّ للصّادي

بالطّاعن ، الضّارب ، الرّامي إذا اقْتتلوا بالــــموتِ أحمرَ ، بالضّـرغامةِ العادي

بــالدّهرِ في نَقَمٍ ، بـــــالبحرِ في نَعَمٍ بالبَــدرِ في ظُلَمٍ ، بالصّدر في النّادي

نعـم ، هو الـحقُّ وافـانِي بهِ قَـــــدَرٌ مِنَ السّـماءِ ، فوافـــــــاني لميـــعادِ

ولَـــمْ أَكُنْ قبل ذاكَ النَّعشِ أعـــلَمُهُ أنَّ الجِـــبالَ تَهــادى فَــوقَ أعوادِ

[1] – ينظر: سعد إسماعيل شلبي: البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر عصر ملوك الطوائف، ص: 314.

[2] – ينظر: المعتمد بن عبّاد: الديوان، ص:96.

كَفَاكَ ، فــارفُقْ بما استُودِعتَ مِن كَرَمٍ رَوّاكَ كُـــــلُّ قَــطوبِ البــرقِ رعّادِ
يبــكي أخاهُ الـــذي غيَّـــبتَ وابِـلَهُ تحت الصّــفيحِ ، بدمــعٍ رائحٍ غادي
حتّـــى يَــجودَكَ دمعُ الطّلِّ مُنــهَمِرا مِـــن أعيُــنِ الزُّهرِ لــم تبخَل بإسْعادِ
ولا تَزَل صـــــلواتُ اللهِ دائـمـــــةً عـــــــلى دفينك لا تُحصى بتعداد

إنّ من **الشروط المعدّة** للتعبيريات التعبير عن الحالة النفسية للواقعة المفروض تحقّقها، وهي في هذه القصيدة قرب الأجل وتوقّع الوفاة، ويكون فيها **اتّجاه المطابقة** فارغا. **وشرط الإخلاص** هو التعبير بصدق عن الواقعة . ولا أجلّ من الشعور بدنوّ الأجل ، فهي من اللحظات الصادقة في حياة البشر.

يبدأ الشاعر بنداء القبر بدون استعمال أداة النداء، فيخرج النداء عن الغرض الأصلي، وهو النداء إلى غرض فرعي مستفاد من السياق، وهو التقرير والإخبار بقرب الأجل. ويعضده بفعل تقريري إخباري، كان جوابا لسؤال مضمر: لماذا تدعو للقبر؟ فيجيب: **حقًّا ظفرت بأشلاء ابن عبّاد**. ثمّ ينتقل إلى الفعل الكلامي الوصفي، الذي يهدف إلى تعزية الذات، ويمنح لنفسه الصفات الآتية: **الحلم، العلم، النّعمى ،الخصب، الرِّي، الطّاعن، الضّارب، الرّامي، الموت، الضّرغام، الدّهر، البحر، البدر، الصّدر**.

والإجابة بـ: **نعم**؛ " وهي حرف جواب يجاب بها إلاّ في التحقيق." [1] هي إجابة لسؤال مفترض، من قبيل: هل دنا أجلك؟. ويقيم حوارا مفاده تعزية نفسه.

ويأتي بفعل كلامي هو الأمر في: **كفاك، ارفق، روّاك، لاتزل**. حيث لا تقوم هذه الأفعال بغرض الأمر بل تخرج أغراض أخرى هي الدعاء في أغلب الأحيان.

استراتيجية التعديل:

إنّ رثاء النفس أقرب إلى المدح منه إلى الرثاء.فهو تسجيل لمفاخر المعتمد وتعداد لصفاته.

وإذا كانت القوّة الإنجازية المباشرة للرثاء هي إظهار التفجّع، فإنّ القوّة الإنجازية المستلزمة مقاميا هي النعي؛ الذي لا يتعدّى تعداد صفات المعتمد والدّعاء له.

وقد غلب تعديل القوة الإنجازية بالزيادة؛ ابتدأها بذكر صفاته.

[1] – ينظر: الرماني : معاني الحروف، ص: 104.

واستعمال " نعم" للتحقيق ةللإجابة عن الاستفهام الضمني.

والدعوة إلى الرفق بساكن القبر وبأنّه الكرم ذاته. واستدعاء مظاهر الطبيعة لإثبات نسبه إلى بني ماء السماء. وختمها بالدعاء لساكن هذا القبر. والهدف من هذا التعديل هو نقل المعنى المرتبط بسلوك الشاعر وتصرّفاته ، تجاه القضية المعبّر عنها. وقد تميز المعتمد في خطاب رثاء النفس بالإيجابية، فكان تصرّفه واحدا ، كرّس فيه جهده لتعداد صفاته ومفاخره، وكنّه شاعر آخر ينعى ملِكا.

وإذا كان المعتمد لم يتوقّع أن يرثيه أحد بعده . فأوصى بكتابة هذه القصيدة على قبره. وهو ما أدّى إلى استنهاض همّة الشعراء بعده ... فكان كلّما زار قبره شاعر تذكّره ورثاه.

فيروي الفتح بن خاقان في القلائد يقول:" وبعد أيّام من وفاته وافى أبو بكر بحر بن عبد الصمد، شاعره المتّصل به، المتوصّل إلى المنى بسببه، فلمّا كان يوم العيد انتشر النّاس ضحى (...) قام على قبره عند انفصالهم من مصلاّهم، واختيالهم بزينتهم وحُلاهُم.، وقال بعد أن طاف بقبره والنزمه، وخرّ على تربه ولثمه: قصيدة مطلعها: [من الكامل]

ملكَ الـمُلوكِ أسامعٌ فأنادي أم قد عَدَتكَ عن السّماع عوادِ؟

هذه قصيدة أطال إنشادها، وبنى بها اللواعج وأشادها، فانحشر إليه الناس وانحفلواأ وبكوا باكائه وأعوَلوا، وأقاموا أكثر نهارهم مطيفين بهطواف الحجيج، مديمين للبكاء والعجيج، ثمّ انصرفوا، وقد نزفوا ماء عيونهم، وأقرحوا مآقيهم بفيض شؤونهم."[1]

وبعد خمسة قرون على وفاة المعتمد بن عبّاد ها هو المقّري صاحب النفح يزوره، ويذكر زيارة لسان الدين بن الخطيب له ؛ فيقول: "وقال لسان الدين بن الخطيب: " وقفت على قبر المعتمد ان عبّاد بمدينة أغمات، في حركة راحة أعملتها إلى الجهات المراكشية، باعثها لقاء الصالحين ومشاهدة الآثار سنة 761هـ، وهو بمقبرة أغمات في نشَز من الأرض، وقد حفّت به سدرة، وإلى جانبه قبر اعتماد حظيّته مولا رميك، وعليهما هيئة التغرّب ومعاناة الخمول بعد الـمُلك، فلا تملك العين دمعها عند رؤيتها. فأنشدتُ في الحال:

قد زُرتُ قبركَ عن طَوعٍ بأغمات رأيت ذلك من أولى المهمّات

لمْ لا أزورك يا أندى الملوك يدًا ويا سراج اللّيالي المدلهمّات

[1] – ينظر: القتح بن خاقان: قلائد العقيان، ص: 108.107.

وأنت من لو تخطّى الدّهرُ مصرعهُ إلى حياتي لجادت فيه أبياتي
أناف قبـــــــرك في هضبٍ يميّزه فتنتحيه حـــــفيّاتُ التحيّات
كَرُمتَ حـــيًّا وميْتًا واشتهرتَ عُلاً فأنتَ ســلطانُ أحياءٍ وأمواتِ
ما ريءَ مثلُكَ في ماضٍ ومعتقدي أن لا يُرى الدّهرَ في حالٍ وفي آت

وقد زُرتُ أنا قبر المعتمد بن عبّاد بمدينة أغمات سنة 1010 ، ورأيت فيه مثلما رأى فيه لسان الدين رحمه الله تعالى." [1]

وقد بقي قبر المعتمد مزارا للمترحّين عليه في العصور التالية له، وهذا يدلّ على التأثير الذي تركته تلك القصيدة في رثاء النفس وكتابتها على قبره ، فتهيج فكر الزائرين من الشعراء خاصة.

5-2- التقريريات:

لا يوجد **شرط عام** للمحتوى القضوي، حيث أنّ أيّ قضيّة يمكن أن تشكّل محتوى في التقريريات. والغرض الإنجازي فيها هو نقل المتكلم واقعة ما من خلال قضية يعبّر بها عن تلك الواقعة، وأفعال هذا الصنف تستلزم الصدق والكذب، **واتّجاه المطابقة** فيها من الكلمات إلى العالم، **وشرط الإخلاص** فيها يتضمّن النقل الأمين للواقعة والتعبير الصادق عنها، فإذا تحققت الأمانة في النقل تحقق شرط الإخلاص، أُنجزت الأفعال إنجازا ناجحا أو تامًّا وإلاّ أصبحت أخبارا لامعنى لها.[2]والحالة النفسية التي يعبّر عنها هي الاعتقاد؛ أي تمثيل الحالة كما يعتقدها المتكلّم.[3] وتتضمن معظم أفعال الإيضاح عند أوستين.

والقوة الإنجازية المباشرة للتقريريات هي: الوصف، الإخبار، والتقرير. والقوة الإنجازية غير المباشرة المستلزمة مقاميا هي: المدح، الذم، التهكم، التمني، التعظيم، الثناء، الإباحة...

[1] - ينظر: المقري: نفح الطيب، ج4، ص: 99.98.
[2] - ينظر: محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ص: 30.
[3] - ينظر جورج يول: التداولية، ص: 89.

ويمكن أن نُضمّنها قوانين الخطاب التي صاغها غرايس والمتمثلة في: ومن بين الدراسات التي تتعلّق مباشرة بأفعال التوجيه **مبدأ التعاون** principe de coopération الذي صاغه **غرايس**، وهوكما يرى مانقونو D.maingueneau"يلزم عناصر التواصل بعدم قطع العلاقة التحادثية القائمة بينهم على اعتبار أنه ميتا مبدأ meta principe"[1]

مبدأ عام حول طبيعة المحادثة ،إذ يسهم في ضبط الأفعال في دلالتها على قصد المتكلم ، لأن همّه منصبّ تماما على تبليغ المتلقي قصده كما يريد، انطلاقا من أنه يفترض تعاون المتلقي معه. بالإضافة إلى مجموعة قواعد متفرّعة عنه ، يلتزم بها المتكلمون عادة لتحقيق نجاعة الفعل الكلامي ؛ويعرّف غرايس مبدأ التعاون كما يلي:

"أن تجعل مساهمتك في المحادثة كما هو مرجو منك ، من حيث اختيار التوقيت المناسب، وأن تكون تلك المساهمة متماشية مع الهدف والتوجه المسلّم بهما للتبادل الخطابي الذي تقع ضمنه".

والقواعد المتواضع عليها ، والمتمثلة في بديهيات تحادثية maximes conversationnellesوالتي يستند إليها هذا المبدأ هي:

– من حيث الكمmaximes de quantité أن تجعل مساهمتك إخبارية بالقدر المطلوب ، (حسب ما تمليه الحاجة في تلك المحادثة القائمة) ولا تقدم معلومات أكثر مما يلزم.

– من حيث الكيف maximes de qualité ألا تقول ما تعتقد أنه خطأ، ولا تتحدث بشيء لا تملك بشأنه حججا كافية.

– من حيث العلاقة maximes de relationأن تتحدث عما هو مناسب للموضوع.

– من حيث الأسلوبmaximes de modalité أن تكون واضحا وتتجنب الغموض في التعبير، (ابتعد عن ازدواجية المعنى)، وتتكلم بإيجاز(ابتعد عن الحشو)، وأن تكون منظما.

بهذا الطرح يكون غرايس قد وصف الضوابط التي تتحكم في استعمالات المتكلمين للغة أثناء المحادثة، وأتاح الإمكان لوصف أنواع الدلالات التي يمكن للمتكلم أن أن يوحي بها في حالة عدم التزامه بهذه الضوابط، فذلك يؤدي إلى إيحاء المتكلم بالإضافة إلى المعنى المباشر لمقولته بمعنى إضافي هو المعنى الضمني للمحادثة. [2]

[1] -voir :Dominique maingueneau: pragmatique pour le discours littéraire p 102.

[2] –ينظر: ج.ب. براون،ج. يول: تحليل الخطاب،ص: 41.40.

فالقواعد المتفرعة عن مبدأ التعاون تنزل منزلة الضوابط التي تضمن لكل مخاطبة إفادة تبلغ الغاية في الوضوح، بحيث تكون المعاني التي يتناقلها المتكلم والمخاطب معاني صريحة وحقيقية، إلا أنهما يتخالفان في تطبيق هذه القواعد ، فتنتقل الإفادة في المخاطبة من ظاهرها الصريح والحقيقي إلى وجه غير صريح وغير حقيقي، فتكون المعاني المتناقلة بين المتخاطبين معان ضمنية ومجازية.[1]

وقد صاغ غرايس ضوابط مبدأ التعاون على شكل قوانين تتجلى فيما يأتي:

-بديهية العلاقة :قانون الإفادة

- بديهية الصدق: قانون الصدق

- بديهية الكمية: قانون الإخبارية

- بديهية التوجيه: قانون الشمولية

أ- **قانون الإفادة:loi de pertinence** يعد أهم قانون يقوم عليه مبدأ التعاون، لأنه يتسم بالدقة والوضوح، من باب أن الملفوظ فيه يكون أقل إخبارا، لأنه يدفع المستمع لإثراء معلوماته أو تغييرها.فهو قانون يرتبط أساسا بمدى وجود فائدة للمستمع من الخطاب الموجه له.

ب- **قانون الصدق:loi de sincérité** حيث يؤكد غرايس على المشاركة الصادقة سواء أكان الأمر مرتبطا بالاستفهامات **أو** التقريرات؛ فمن يسأل يرغب بجدية في معرفة الإجابة في الأوامر، ومن ناحية المتلقي فهو –وفق هذا القانون – يعقد ثقته في المتحدث كونه كان صادقا في حديثه.

ج- **قانون الإخبارية و قانون الشمولية: loi de information et loi exhaustivité**يمثل الإخبار هدف التواصل عامة، وهو من دعائم تجسيد الفكر ، وإيصاله إلى المتلقي.

وتلتقي التقريريات عند سير ل مع مبحث **خروج الطلب لا على مقتضى الظاهر في البلاغة العربية**. ويكون ذلك عندما يستعمل المتكلم الخبر وهو يقصد به الطلب، ويمثل هذا عدولا عن التعبير بالطلب إلى التعبير بالخبر، وذلك لأغراض منها:

- **الدعاء والتفاؤل:** يضرب السكاكي مثالا ويعلق عليه وهو أنه إذا قيل لك: "أعاذك الله من الشبهة، وعصمك من الحيرة ووفّقك للتقوى". ليتفاءل بلفظ الماضي بعدّها من الأمور الحاصلة، التي حقها أن يعبّر عنها بأفعال ماضية".[2] فتحمل الصيغة قوتين موجهتين للمتلقي، تؤثران عليه، وهما؛ قوة

[1] -ينظر: طه عبد الرحمان : اللسان والميزان، ص: 239.

[2] -ينظر: المرجع نفسه، ص:432.

الدعاء وذلك ما يفتح المجال لتواصل وتوافق مع المخاطب، وقوة التفاؤل وهو ما يبعث المخاطب على الارتياح، وأن يأتي المتكلم ويكسب ثقته .

– **الحرص على وقوع الطلب**: وذلك بأن يناجي المتكلم نفسه، فيخيّل له بأن الأمر حاصل فيعبر عن الطلب بالخبر على اعتبار حصوله في الذهن. يقول السكاكي:"فالطالب من أن يبلغ حرصه فيما يطلب ربما انتنقشت في الخيال صورته، لكثرة ما يناجي به نفسه فيخيل إليه غير الحاصل حاصلا حتى إذا حكم الحس بخلافه غلطة تارة ،واستخرج له محملا آخر."[1]

– **التأدب في الخطاب**: يكون ذلك لاعتبارات خاصة بطرفي العملية التواصلية ،فإذا كان المتكلم أقل درجة من السامع فمن الأفضل أن يكسو خطابه بنوع من الاحترام والتأدب، ومثال ذلك خطاب العبد مولاه:"إذا حوّل عنه الوجه:" ينظر إليّ المولى ساعة"، احترازا عن فعل الأمر والتأدب في مخاطبته، ومراعاة حاله لأن مخاطبته بأسلوبي الأمر والنهي الطلبيين، يثير حفيظة المتلقي مما يؤدي إلى قطع عملية التواصل.

– **تنزيه المتكلم عن الكذب**: ففي جملة:" تأتيني غدا". هذه جملة خبرية لفظا طلبية معنى، وفيها جانب من التأدب والتودد للمخاطب، لتحقيق فعل الإتيان، إذ لو استعمل الحملة الطلبية باستعمال أسلوب الأمر على نحو: "ائتني غدا". فإنها لاتحمل جانبا عاطفيا يؤثر على المتلقي فيجعله يستجيب لفعل الإتيان.

ومدى خروجها عن مقتضى الظاهر. وهي أقرب إلى التداولية من البلاغة. لأنها اهتمت بالمعاني المقصودة.

ففي القصيدة التي قالها عندما منعته حوّاء بنت تاشفين من خباء عارية، في قوله[2]:

[من البسيط]

هُم أوقـــــدوا بَيْن جَنبَيكَ نارا أطـــالوا بها في حَشـــاكَ استعارا

أمَا يُخجِلُ المجـدَ أن يُرحِلـــو كَ ولم يُصـــــــحِبوكَ خِباءً مُعارا

فقَد قـنّعوا المجدَ إن كـــــان ذا كَ – وحاشاهم– منكَ خِزيا وَعـارا

يَـــقِلُّ لِعينيك أن يجعلـــــــو سَوادَ العيون عليـــــــكُم شِعارا

[1] –ينظر: المرجع السابق، ص:نفسها.

[2] – ينظر: المعتمد بن عبّاد، الديوان، ص: 97.

تُـــراهُم نسوا حين جزت القفارَ حنينا إليـهم وخُضـــــتَ البِحارا
بـــعهدٍ لـــزومٍ لسُبـــــل الوفا إذا حـــــادَ من حـــادَ عنها وجارا
وَ قلبـــي نَـــزوعٌ إلى يوسفٍ فَلـــــوْلا الضـــلوعُ عليه لَطـــارا

بتطبيق قوانين الخطاب كما يلي: في التقريريات لا يوجد شرط عام **للمحتوى القضوي**، حيث أنّ أيّ قضيّة يمكن أن تشكّل محتوى في التقريريات؛ والقضية في هذه القصيدة هي طلب المعتمد لخباء عارية من حوّاء بنت تاشفين ورفضها لطلبه على طريقتها الخاصّة.

وتتمثّل **الشروط المعدّة** في حيازة الشاعر على شواهد وأسس ترجّح وتؤيّد صدق المحتوى القضوي؛ ومن بينها أنّ المعتمد كان أسيرا لا يملك خباءً، وكان يحتاج له لشؤونه اليومية، ومن ناحية أخرى إنّ ردّ فعل حوّاء بالرفض لا يعبّر عن العلاقة السابقة بين المعتمد وبين المرابطين . وهو ما لم تأخذه بعين الاعتبار.

في حين أنّنا لا نجزم بصدق **شرط الإخلاص** الذي يتضمّن النقل الأمين للواقعة والتعبير الصادق عنها، فإذا تحققت الأمانة في النقل تحقق شرط الإخلاص، أُنجزت الأفعال إنجازا ناجحا أو تامًّا وإلاّ أصبحت أخبارا لامعنى لها. وتحقّق الأمانة في النقل أمر لا يمكن الجزم به، لأنّ المعتمد شاعر وليس مؤرّخا. وهذا يُخرِج الأفعال من أفعال إنجازية ناجحة إلى مجرّد أخبار لها أهمّيتها بالنسبة للشّاعر. **واتّجاه المطابقة** من الكلمات إلى العالم بنقل

الإخبارية: إخبار المخاطب بالمعلومة وهي امتناع حواء بنت تاشفين من إعارة خباء للمعتمد بن عبّاد.

الشمولية: ركّز على امتناعها إعارته الخباء ولم يطرح إمكانية عدم ملكها لخباء، وهذا احتمال وارد نتيجة للظروف القاسية التي يعيشها المرابطون، وإمكان ثالث هو عدم تدخل النساء في القضايا السياسية مادام عزل المعتمد بن عبّاد وأسره قضية سياسية بيد يوسف بن تاشفين ولا يحقّ لأيّ شخص من المرابطين إبداء التعاطف مع هذا الأسير، فقانون الشمولية مختلّ لأنه ركّز على ناحيته ووجهة نظره في الحاجة إلى الخباء ولم يُركّز على ظروف الطرف الآخر الذي يعاتبه ويتهكّم عليه'

الصدق: رغم أنّ الإخبار بالواقعة صادق إلاّ أنّ انتفاء الصدق يتسلّل إلى الخطاب في قوله:

تُــراهُم نسوا حين جزت القفارَ حنينا إليـهم وخُضـــــتَ البِحارا
بــعهدٍ لـــزومٍ لسُبـــــل الوفا إذا حـــــادَ من حــادَ عنها وجارا
وَ قلبـــي نَــزوعٌ إلى يوسفٍ فَلـــوْلا الضـــلوعُ عليه لَطـــارا

فقد جاز البحر من أجل مصلحته، وأملا في الاستنجاد بالمرابطين في حماية مُلكه، وليس حنينا إليهم باعتبار أنّه ما جاز البحر إلى العُدوة إلاّ عندما كان بصدد التهيئة لمعركة الزلاقة.فقد اختلّ قانون الصدق.

ونزوع قلبه إلى يوسف وحبّه له لا يمكن للمخاطب أن يُصدّقه ما دام قائما على علاقة أسر وسلب للمُلك.

الإفادة: تبيان أخلاق المرابطين التي تتنافى مع ما كان منهم من جهاد في سبيل الله ونصرة المسلمين إلى عدم مساعدة الأسير وهم في بلادهم.

يخرج هذا الفعل التقريري من مجرّد التقرير والإخبار والوصف إلى التهكّم. وهو يمثّل القوة الإنجازية المستلزمة مقاميا لهذا الفعل الكلامي.

القصيدة التي قالها في مدح يوسف بن تاشفين وهو يتذكّر بلاءه في معركة الزلاّقة. في قوله[1]:
[من المتقارب]

وَيَوْمَ الـــــــعُروبَةِ ذُدتَ العِـدَا نَـــــصرْتَ الـــهُدى، وأبَيْتَ الفِرارَا
ثَبَتَّ هُـنـــاكَ ، وإنَّ القُـــــلـــو بَ بين الـــــضُّلوعِ لَـــتأْبى القَرارا
ولَـوْلاكَ يا يـــــوسُفُ الـمُتَّـــقَى رأيْنا الـــــــجزيرَةَ للـــــــكُفرِ دارا
رَأَيْـنا السُّيـــــوفَ ضُـحى كالنُّجو مِ، وكالـلّيْلِ ذاكَ الـــــغُبار الـمُثارا
فللَّـــــهِ دَرُّكَ فـي هَـــــــولِهِ لـــــقد زاد بأسُـــــكَ فيه اشتِهَارا
تَـــــزيدُ اجتـزاءً إذا ما الرِّمـــا حُ عـــــندَ التّنـــاجُزِ زِدنَ اشتِجارا

[1] – ينظر: المعتمد بن عبّاد، الديوان،ص:98.

كأنَّـكَ تـــحسبـــها نَرجِـــسًا تُـــديرُ الـدّماءَ عليْـها عُقـــارَا
تُريـك الرّمـــاحُ الـقَدود انثنَاءً وتـــجلو الصّفاحُ الخدودَ احمرارا
إذا نـــارَ حربـــكَ ضَرَّمْتَها حَـــسبنا الأســـنَّةَ فيها شَرارا
سَتلْقى فِـــعالكَ يومَ الحـسا بِ تَنَثَّـــرُ بالـــمِسك منك انتثارا
وللـــشُّهـــداءِ ثـــناءٌ عليْكَ بِحُـــسنِ مُقامِـــكَ ذاكَ النَّهارا
وأنَّهـــم بـــك يَستبـــشِرو نَ ألاّ تـــخافَ وألاَّ تُضـــارا

في التقريريات لا يوجد شرط عام **للمحتوى القضوي**، حيث أنّ أيّ قضيّة يمكن أن تشكّل محتوى في التقريريات؛ والقضية في هذه القصيدة هي تقرير بلاء يوسف بن تاشفين في معركة الزلاقة.

وتتمثّل **الشروط المعدّة** في حيازة الشاعر على شواهد وأسس ترجّح وتؤيّد صدق المحتوى القضوي؛ وتمثّلت في ثبات يوسف بن تاشفين وذوده العدا ونصره للهدى .

في حين أنّنا لا نجزم بصدق **شرط الإخلاص** الذي يتضمّن النقل الأمين للواقعة والتعبير الصادق عنها، فإذا تحققت الأمانة في النقل تحقق شرط الإخلاص، أُنجزت الأفعال إنجازا ناجحا أو تامًّا وإلاّ أصبحت أخبارا لامعنى لها. وتحقّق الأمانة في النقل أمر لا يمكن الجزم به، لأنّ المعتمد شاعر وليس مؤرّخا. وهذا يُخرِج الأفعال من أفعال إنجازية ناجحة إلى مجرّد أخبار لها أهمّيتها بالنسبة للشّاعر.فحديثه في هذه القصيدة عن يوسف بن تاشفين وبلائه منفردا هو من الإجحاف في حقّ القادة من مثل المعتمد قائد الأندلسيين، والجنود المغاربة الآخرين؛ وإن كان لأندلسيون أدرى بأرض المعركة والعدوّ، فالمغاربة معروفون بشجاعتهم وإقدامهم. **واتّجاه المطابقة** من الكلمات إلى العالم ، فهو يريد أن يرسم صورة يبرز فيها شجاعة يوسف بن تاشفين .

الإخبارية: إخبار المخاطب عن حادثة تاريخية، حدثت بالفعل، وهي معركة الزلاقة.

الشمولية: الاقتصار في الحديث عن شجاعة يوسف بن تاشفين، رغم حسن بلاء المعتمد بن عبّاد وغيره من الفرسان في يوم العروبة،فلم يورد أيّ إشارة عن شجاعة أيّ فارس آخر،

الصدق: ظاهر المعلومات صادق إلاّ أنّ القصد من المدح والثناء هو مدح نفسه، لأنه في حال الأسر ولايُعقَل أن يمدحَ آسره ومازال يتذكّر كابوس عزله وأسره. فقد اختلّ معيار الصدق .

الإفادة: الزلاقة موقعة عظيمة رفعت راية الإسلام في الأندلس بفضل شجاعة فرسان قادة، من أمثال يوسف بن تاشفين.

شعراء طنجة: في قوله[1]: [من الكامل]

شُعــراءُ طـــــنجةَ كُلُّهـم والمــغربِ ذَهَبوا من الإغراب أبـــعدَ مذهبِ
سألوا الـــعسير من الأسير وإنّــه بســـؤالهم لأحقُّ منـــهم فاعجَبِ
لـولا الـــحياءُ وعـــــزّةٌ لخمية طيَّ الحشا لَحَكاهُــم في المطلبِ
قد كانَ إن سُئِلَ الندى يُجزِل وإنْ نادى الصّـــريخُ ببابه اركب يركَبِ

التقريريات لا يوجد شرط عام **للمحتوى القضوي**، حيث أنّ أيّ قضيّة يمكن أن تشكّل محتوى في التقريريات؛ والقضية في هذه القصيدة هي تعبيره عن حال الشعراء حين علموا بنزول المعتمد إلى العدوة ، وتنافسهم في الوصول إليه وتتبّعه. وهو الأمر الذي أثار استغرابه .

وتتمثّل **الشروط المعدّة** في حيازة الشاعر على شواهد وأسس ترجّح وتؤيّد صدق المحتوى القضوي؛ ومن بينها أنّ المعتمد كان أسيرا لا يملك المال الزائد الذي يمنحه في شكل عطايا للشعراء.

في حين أنّنا لا نجزم بصدق **شرط الإخلاص** الذي يتضمّن النقل الأمين للواقعة والتعبير الصادق عنها، فإذا تحققت الأمانة في النقل تحقق شرط الإخلاص، أُنجزت الأفعال إنجازا ناجحا أو تامًّا وإلاّ أصبحت أخبارا لامعنى لها. وتحقّق الأمانة في النقل أمر لا يمكن الجزم به، لأنّ المعتمد شاعر وليس مؤرّخا. وهذا يُخرِج الأفعال من أفعال إنجازية ناجحة إلى مجرّد أخبار لها أهمّيتها بالنسبة للشّاعر. فاكتفى بالتعبير الصادق عن إسراع شعراء المغرب إليه. **واتّجاه المطابقة** من الكلمات إلى العالم. حيث جعل جميع شعراء طنجة والمغرب في نفس الحكم مع الحصري. إذ يمكن أن يكون هنالك شعراء لم يهمهم الانتقال إلى المعتمد ومطالبته بالصلات.

الإخبارية: الإخبار بسلوك شعراء المغرب عامّة، واستغراب سلوكهم.

الشمولية: إنّ السبب الأوّل في تتبّع الشعراء للمعتمد بن عبّاد هو الصّلة التي قدّمها للحصري الشاعر، وهذا ما لم يذكره المعتمد فاختلّ شرط الشمولية.

[1] – ينظر: المعتمد بن عبّاد: الديوان، ص: 92.91.

الصدق: إنّ اعتبار كلام المعتمد صادقا بأنّه طيّ الحشا، يجعلنا نقع في تناقض وهو تقديمه لصلة لشاعر كي يمدحه، مع معرفته بالظروف القاسية التي هو مُقبِل عليها، ممّا يجعل قانون الصدق يختلّ **الإفادة:** سلوك شعراء المغرب الذي خرج عمّا تعارف عليه العرب؛ من إغاثة اللهفان. مثلا.

وأنشد[1]:[من البسيط]

فيما مضى كُنتَ بالأعيادِ مسـرُورا فساءَكَ العيدُ في أَغماتَ مأْسُوراَ
تَرى بناتِكَ في الأَطمارِ جائِعةً يَغزِلنَ للنَّاسِ ، لا يَملِكنَ قِطميراَ
بَرزْنَ نَحوَكَ للتّسليمِ خاشعةً أَبصارُهُنَّ حَسيراتٍ مكاسِيرَا
يَطَأْنَ في الطِّينِ ، والأقدامُ حافِيةٌ كأَنَّها لم تَطأْ مِسكًا وكافورَا
لا خَدَّ إلاَّ ويشكو الجدْبَ ظاهِرُهُ وليْسَ إلاَّ مع الأنفاسِ مَمْطورَا
أفطرْتَ في العيدِ لا عادتْ إساءَتُهُ فكانَ فِطرُكَ للأكبادِ تفطيرا
قد كان دهرُكَ إن تأمرهُ ممتثِلا فردَّكَ الدّهرُ منهِيًّا ومأمورَا
مَن باتَ بعدَكَ في مُلكٍ يُسرُّ بهِ فإنّما باتَ بالأحلام مغرورا

التقريريات لا يوجد شرط عام **للمحتوى القضوي**، حيث أنّ أيّ قضيّة يمكن أن تشكّل محتوى في التقريريات؛ والقضية في هذه القصيدة هي التعبير عن حاله في يوم العيد وحال بناته .

وتتمثّل **الشروط المعدّة** في حيازة الشاعر على شواهد وأسس ترجّح وتؤيّد صدق المحتوى القضوي؛ وتتمثل في وصفه لبناته وتقرير حالهم السيئة.

في حين أنّنا لا نجزم بصدق **شرط الإخلاص** الذي يتضمّن النقل الأمين للواقعة والتعبير الصادق عنها، فإذا تحققت الأمانة في النقل تحقق شرط الإخلاص، أُنجزت الأفعال إنجازا ناجحا أو تامًّا وإلاّ أصبحت أخبارا لامعنى لها. وتحقّق الأمانة في النقل أمر لا يمكن الجزم به، لأنّ المعتمد شاعر وليس مؤرّخا. وهذا يُخرِج الأفعال من أفعال إنجازية ناجحة إلى مجرّد أخبار لها أهمّيتها بالنسبة للشّاعر. ولا نجزم لأن المعتمد ينقل الحادثة كما وقعت ، إذ لا يشترط أن تكون بناته حافيات

[1]- ينظر: المعتمد بن عباد: الديوان، ص: 110.

وبأسمال بالية. **واتّجاه المطابقة** من الكلمات إلى العالم، فبالكلمات استطاع أن يشكّل صورة رسمها عن حاله وحال بناته يوم العيد.

5- 3- التوجيهيات:

وتسمّى أيضا الطلبيات وهي نوع من الأفعال الكلامية التي يستعملها المتكلمون لجعل شخص آخر يقوم بشيء[1] ، ويسمّيها محمود أحمد نحلة الطلبيات وهي جميع الأفعال الكلامية الدالّة على الطلب، بغضّ النظر عن صيغتها، وغرضها الإنجازي هو توجيه المخاطب إلى الفعل أو محاولة التأثير فيه، واتّجاه المطابقة فيها هو جعل العالم يلائم الكلمات. [2]

وشرط المحتوى القضوي هو التعبير عن فعل مستقبلي للمخاطب وشرط الإخلاص هو إرادة المتكلم حدوث الشيء ورغبته الصادقة في حدوثه، والشّرط الـمُعدّ هو قدرة المخاطب على أداء المطلوب منه.[3]

ويدخل في هذا الصنف صيغ الاستفهام والأمر والنهي والدعوة، والاستعطاف، والنصح.

1- الأمر:

يقول السكاكي:" الأمر في لغة العرب عبارة عن استعمالها أعني استعمال نحو لنزل- وانزل- ونزال وصه على سبيل الاستعلاء"[4] ويرى "أن هذه الصور، والتي من قبيلها، هل هي موضوعة لتستعمل على سبيل الاستعلاء،فالأظهر أنها موضوعة لذلك، وهي حقيقة فيه، لتبادر الفهم عند الاستماع نحو:قم، وليقم زيد، إلى جانب الأمر، وتوقّف ما سواه من الدعاء، والالتماس والندب، والإباحة والتهديد، على اعتبار القرائن من خلال هذا القول نلاحظ أن المتكلم هو المسؤول على أن يعبّر ما يقوله عن الأمر، حيث إذا فشل في أن يكون كلامه أمرا، لم يتعدّ أن يكون دعاء أو التماسا ...الخ .

[1] - ينظر: جورج يول: التداولية، ص: 90.

[2] - ينظر: محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة، ص: 100.

[3] - ينظر:طالب هاشم الطبطبائي: نظرية الأفعال الكلامية، ص: 30.

[4] - ينظر: السكاكي : مفتاح العلوم ،ص: 428.

ويشترط في جريان الأمر على أصل معناه، أن يكون الآمر أعلى رتبة من المأمور، يقول السكاكي: "لا شبهة في أن طلب المتصور على سبيل الاستعلاء، يورث إيجاب الإتيان على المطلوب منه ومن ثم كان الاستعلاء ممن هو أعلى رتبة من المأمور. استتبع إيجابه وجوب الفعل بحسب جهات مختلفة، وإلا لم يستتبعه فإذا صادفت أصل الاستعمال الشرط المذكور أفادت الوجوب، وإلا لم تفد غير الطلب، ثم إنها حينئذ تولد بحسب قرائن الأحوال ما ناسب المقام ".

الشروط المعدة لفعل الأمر:

- قواعد تداولية وهي ترتبط بوضعية المتخاطبين.
- أن يتوفر شرط الاستعلاء والسلطة: على الآمر أن يكون في مرتبة أعلى من مرتبة المأمور.
- أن يتوفر شرط القدرة: على الآمر أن يكون قادرا على إصدار الأمر.
- الإرادة: إرادة المتكلم في إصدار الأمر.
- الاقتناع أو القصد[1].

وإذا اختل شرط من هذه الشروط المعدة لفعل الأمر عدل عن المعنى الأصلي إلى معان فرعية أبرزها:

الدعاء، والالتماس.

– الالتماس:" كقولك لمن يساويك رتبة: افعل بدون الاستعلاء والتضرع فإن قيل أي حاجة إلى قوله. بدون الاستعلاء مع قولك لمن يساويك رتبة قلت قد سبق أن الاستعلاء لا يستلزم العلو فيجوز أن يتحقق من المساوي بل من الأدنى أيضا".[2]

– التعجيز والتحدّي: ويرتبط هذا الغرض المتضمن في القول بالمخاطب، ومدى قدرته على القيام بالفعل ف"إذا قلت لمن يدّعي أمرا ليس في وسعه، امتنع أن يكون المطلوب بالأمر، حصول ذلك الأمر في الخارج، بحكمك عليه بامتناعه، وتوجّه إلى مطلوب ممكن الحصول، مثل بيان عجزه، وتولد التعجيز والتحدّي".[3]

---

[1] – ينظر: عمر بلخير ،تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية ،ص :174 .

[2] – ينظر:التفتازاني :مختصر السعد ،شرح تلخيص كتاب مفتاح العلوم ، ، تح: عبد الحميد هنداوي، صيدا بيروت ،2003. ص:212.

[3] – ينظر: السكاكي ،مفتاح العلوم ،ص:417.

– **التهديد:** يربط هذا المقام بين المتكلم والمخاطب، ويتدخل القصد لفهم صيغة الأمر، ويضرب السكاكي مثالا بأنك" إذا قلت لعبد شتم مولاه، وأنك أدبته حق التأديب، أو وعدته على ذلك أبلغ إيعاد: اشتم مولاك، امتنع أن يكون الأمر بالشتم ، والحال ما ذكر ،وتوجه بمعونة قرينة الحال إلى نحو: اعرف لازم الشتم، وولّد معنى التهديد"[1]. نلاحظ أن الأمر هو فعل كلامي أصلي، وأن ماتلاه من الأفعال هي وظائف خطابية، وأغراض تواصلية تجمع بين المتكلم والمخاطب، حيث تختلف هذه الأغراض باختلاف الموقف الذي تتم فيه هذه الأفعال المتضمنة في القول.

وفي شعر الأسر عند المعتمد، نجد الأمر يخرج عن معناه الأصلي الذي وضع له، ليعبّر عن أغراض فرعية، مثّلتها أفعال كلامية غير مباشرة، يُفهم معناها بالعودة إلى السياق الذي وردت فيه. وتفصيلها كما يأتي:

نجده في قصيدته التي قالها عندما دخل عليه طائفة من أهل فاس مودّعين، وقد كان يوسف بن تاشفين قد سجنهم بأغمات وكانوا قد عاثوا في الأرض فسادا، وكان المعتمد يتسلّى بمجالستهم إلى أن شُفع فيهم فانطلقوا من وثاقهم. في قوله[2]: [من الطويل]

أمَا لانسكاب الدّمعِ في الخدِّ راحةٌ لقَد آنَ أنْ يفنى ويفنى بهِ الخـدُّ
هَبُوا دَعـوةً يا آلَ فاسٍ لِـمُبتـــلًى بما مِنهُ قد عافاكُم الصَّمَـدُ الفَـردُ
تَخلَّصتُمُ من سجن أغماتَ والْتوَتْ عَلَيَّ قُيــودٌ لــم يَحِـنْ فَكُّها بَعـدُ
من الدُّهمِ ، أمّـا خَلقُـــها فـــأساوِدُ تَلَوّى، وأمّا الأَيدُ والبطشُ فالأُسدُ
فهُنّئْتُـــمُ النُّعمى، ودامـت لِـكُلّكم سعادتهُ إن كان قـــد خانني سعْدُ
خَــرَجْتُم جَماعاتٍ، وخُلِّفتُ واحِدًا ولله فـــــي أمري وأمرِكم الحمد

يخرج الأمر عن غرضه الأصلي وهو الأمر إلى الدعاء، في هذه الحالة يختل شرط الاستعلاء، فيصبح المتكلم أدنى رتبة من المخاطب، وبهذا فهو يمثل طلبا " **هنّئتم، دامت لكلّكم سعادته.**

[1] – ينظر: المرجع السابق ،ص: 429.

[2] – ينظر: المعتمد بن عباد: الديوان، ص: 95.94.

فأقصى قوة إنجازية لهذا الفعل هي الدعاء، وهذا الفعل وإن كان ناجحا من ناحية أداء المخاطَب الشيء المطلوب منه، ورغبة المتكلم في ذلك الأداء. إلاّ أنّ ذلك الفعل غير ناجع يعني أنّه ليس له أثر في أرض الواقع.

وفي قصيدته التي قالها يخاطب فيها قيده عندما دخل عليه ابنه أبو هاشم الذي ارتاع لقيده، يقول:

وقال وقد دخل عليه ابنه أبو هاشم فارتاع لقيده[1]:[من السريع]

والظاهر أنّ هذا الشعر قاله المعتمد أوّل عهده بالقيد.كما ورد في القلائد

قَيدي أما تعلـــمُني مُسلِما أبَيْتَ أنْ تُشــفِقَ أو تَرْحَما

دَمي شرابٌ لَكَ، واللّحمُ قدْ أَكَلْتَهُ لا تَـــهشِمِ الأعظُما

يُبْصِرُني فيـــكَ أبو هاشِمٍ فينْثــني القلْبُ ، وقد هُشِّما

إرحم طُفَيْلاً طـــائشًا لُبُّهُ لم يخْشَ أن يأْتيكَ مسترحِما

وارحـــم أُخَيَّاتٍ لهُ مِثْلَهُ جرَّعتَهُـــنَّ السُّمَّ والعلْقما

منهُنَّ مـــــن يَفهمُ شيئاً خِفنا علَيـــه للبُكاءِ العمى

والغيْرُ لايـــفهَمُ شيْئا فما يفتح إلاّ للرضاع فمـــــا

هذا الأمر مُوجّه ظاهريا إلى القيد، لكنّ المقصود هم من قاموا بتقييده.

ونلاحظ أنّ القوة الإنجازية للفعل **ارحم** خرجت من الأمر على وجه الاستعلاء إلى الطلب، من الأدنى مرتبة إلى الأعلى مرتبة، ولتعديل القوة الإنجازية لتضمن نجاح الطلب، استعمل الجذر اللغوي"**ارحم**" واستعماله صيغة التصغير " **طُفَيْلا**" و" **أُخَيّات**" ، التي تستدعي من المسلمين رحمة الصغار.

لكنّ الذي يحول دون إنجاز هذا الأمر؛ هو أنّ المأمور لا يمكنه القيام بالأمر. لافتقاده السلطة والعقل.

[1] – ينظر: المصدر السابق، ص:115.

وقال[1]: [من البسيط]

اِقنَع بِحـــــظِّكَ مِن دُنياكَ ما كانا وَعَزِّ نَفسكَ إن فارَقتَ أوطـــانا
في اللهِ في كُلِّ مـفقودٍ مضى عِوَضٌ فأَشعِرِ القلبَ سِلـــــوانًا وإيمانا
أَكُلَّما سَنَحتْ ذِكـــرى طَرِبْتَ لـها مَجّت دُموعَكَ في خدَّيْكَ طوفانا
أما سَمِعتَ بِسُلطانٍ شبـــيهِكَ قد بَزَّتهُ سودُ خُطوبِ الدّهرِ سُلـطانا
وَطِّن على الكُرهِ، وارقُـب إثْرَهُ فَرَجًا واستغـــنم الله تغنم منه غفرانا

وفي خطاب الحكمة يخاطب المعتمد نفسه ، ويدعوها إلى التجمّل والصبر في أفعال من قبيل: **اقنَع، عَزِّ، أشعِر، وَطّن، ارقُب، استغنم**. وهي أفعال لها علاقة بالفعل في المستقبل..وهو توجيه نفسه إلى الصّبر والتسليم لأمر الله. فشرط المحتوى القضوي هو التعبير عن فعل مستقبلي للمخاطب، **والشروط المعدّة** تتمثّل في قدرة المخاطب على أداء المطلوب منه ، وما دام يخاطب نفسه فالأرجح قدرته على القيام بالفعل في المستقبل. **وشرط الإخلاص** هو إرادة المتكلم حدوث الشيء ورغبته الصادقة في حدوثه، فهو يريد يرغب في الصبر والاحتساب على ما حدث له في حياته. أمّا **اتّجاه المطابقة** فهو من العالم إلى الكلمات.

ولـمّا أحسّ بدنوّ وفاته رثى نفسه بهذه الأبيات ووصّى أن تُكتب على قبره[2]:[من البسيط]

قَـبرَ الغريبِ سقاكَ الـــرّائحُ الغادي حـــقًّا ظَـفِرتَ بأشـلاءِ ابن عبّادِ
بالحِلـمِ، بالعلـمِ ، بالنُّعمى إذا اتَّصلت بالخِصبِ إن أجدبوا، بالرِيِّ للصّادي
بالطّاعن ، الضّارب ، الرّامي إذا اقْتتلوا بالـــموتِ أحمرَ ، بالضّرغامةِ العادي
بـــالدّهرِ في نَقَمٍ ، بـــــالبحرِ في نَعَمٍ بالبَـــدرِ في ظُلَمٍ ، بالصّدر في النّادي
نعـم ، هو الـحقُّ وافـاني بهِ قَـــــدَرٌ مِنَ السّـماءِ ، فوافـــــاني لميـــعادِ
ولَـــمْ أَكُنْ قبل ذاكَ النَّعشِ أعـــلَمُهُ أنَّ الجِـــبالَ تَهـــادى فَـــوقَ أعوادِ
كَفَاكَ ، فـــارفُقْ بما استُودِعتَ مِن كَرَمٍ رَوّاكَ كُـــــلُّ قَـــطوبِ البـــرقِ رعّادِ

[1] – ينظر: المعتمد بن عباد: الديوان، ص: 115.114.

[2] – ينظر: المصدر نفسه ، ص:96.

يبــكي أخاهُ الـــذي غيَّـــبتَ وابِـلَهُ تحت الصّـفيحِ ، بدمــعٍ رائحٍ غادي
حتّـــى يَـــجودَكَ دمعُ الطّلِّ مُنــهَمِرا مِـــن أعيُـــنِ الزُّهرِ لــم تبخَل بإسْعادِ
ولا تَزَل صـــــلواتُ اللهِ دائـمـــــةً عـــــــلى دفينك لا تُحصى بتعداد

يقول: **كفاك فارفق**. يبدأ باسم الفعل **كفاك** لكن يفقد قوته أمام قوة فعل الأمر " **ارفق**"
إنّ الفعل ارفق مستند إلى القبر، وهو لتبيان قيمة الدفين، الذي يُعَدُّ غريبا، ومن حظّ هذا القبر أن ظَفِرَ بأشلائه.
وفي قوله: **ولاتزل صلوات الله دائمة على دفينك** دعاء يفهم من السياق دعوة لمباركة الله لدفين هذا القبر.

2- **النهي**: وهو :"طلب الكف عن الفعل استعلاء"[1] .ولا يختلف عن الأمر من حيث شروط جريانه على الأصل.

- يقول السكاكي في هذا :"والنهي محذوّ به حذو الأمر في أن أصل الاستعمال: لا تفعل، أن يكون على سبيل الاستعلاء بالشرط المذكور، فإن صادف ذلك، أفاد الوجوب، وإلا أفاد طلب الترك فحسب" ويكون بصيغة واحدة هي لا الجازمة التي تدخل على الفعل المضارع[2]. والشروط المعدة لإجراء النهي على أصله هي:

- شرط الاستعلاء.
- إلزام المخاطب به.

وإذا اختل أحد الشرطين اللازمين لإجراء النهي على أصله، خرج إلى أغراض تواصلية فرضها السياق كالتهديد، والدعاء، والالتماس من النادر استخدام أسلوب النهي ولهذا علاقة بخصوصية النهي الذي يتطلب وجود السلطة وممارستها.ومن مثاله قوله في قصيدة الفخر بأصله اللخمي:

[1] - ينظر: التفتازاني : مختصر السعد، شرح تلخيص كتاب مفتاح العلوم،ص:213.
[2] - ينظر: السكاكي ،مفتاح العلوم ،ص:427.

قوله[1] : [من الرمل]

مَن عَزا الـــــــمجدَ إلَيْنا قد صدقْ لم يُلَم من قال ، مهما قال حَـــــقْ
مجدُنا الشّـــــــمسُ سناءً وسنـــًا مَنْ يَرُمْ سَــتْرَ سَناها لم يُطِـــــــقْ
أيُّـــها النّـــاعي إلَيْنا مَـــــجدَنا هل يَضيرُ المَجْدَ أَنْ خَـــــطبٌ طَرَقْ
لا تُرَعْ للـــــدّمعِ مِن آمـــــاقنـا مَزَجَـنْهُ بِـــــــدمٍ أيـــدي الحُـرَقْ
حَنِقَ الدّهرُ علـــــــيْنا فسَـــــطا وكذا الـدّهرُ عـــــلى الحُـرِّ حَنِـقْ
وقديـــمًا كَلِفَ الـمُلكُ بـــــنـــا ورأى مِـــــــنّا شُـــموسًـا فَعـشِقْ
قـــد مـــــضى مِنّا مُلوكٌ شُـهِروا شُهرةَ الشَّمسِ تـــــجلّتْ في الأُفق
نـــحنُ أبـــــناءُ بني ماء السَّـما نحـوَنا تَطـــــــمحُ ألحـاظُ الحدَقْ
وإذا ما اجـــتمع الدّيـــــنُ لنا فَحقيرٌ ما مـــــــــن الدُّنيا افترقْ

وهو نهي المخاطب في قوله: **لا تُرَع** .عن الروع والخوف من المآسي التي لحقت باللّخميّين، وتعديل اقوة الإنجازية بأنّهم ملوك شُهروا شهرة الشمس، وأن لاداعي للروع من حالتهم الحالية.

3- **النداء**: هو طلب إقبال المدعو إلى الداعي حسّا أو معنى، بأحد الحروف المخصوصة، وهي عند السكاكي :يا، أيا، هيا، أيّ، أ،وا. وتستعمل منها يا، وأيا لنداء البعيد حقيقة يا عبد الله إذا كان بعيدا عنك، أو تقديرا لتبعيد نفسك نحو: يا إله الخلق أو لما هو بمنزلة البعيد من نائم أو ساه تحقيقا، أو بالنسبة إلى جد الأمور الذي ينادى له .

والدلالات التي تتولد من إجراء النداء كالندبة والزجر والتحسر والاستغاثة وغيرها تحمل في وطياتها معنى النداء ،ولا تبدو منقطعة عنه فليس هناك انفصال تام بين هذه الأغراض البديلة وغرض النداء الأصلي .

نجد غالبية استعمال النداء في مدوّنة الدراسة، بتضافره مع الأساليب الإنشائية الأخرى، وهذا ما توضّحه الأمثلة الآتية:

[1] – ينظر: المعتمد بن عباد، الديوان، ص: 109.

ففي قوله:

أيُّـــها النّـــاعي إليْنا مَـــــجدَنا هل يَضيرُ المَجْدَ أَنْ خَـــــطبٌ طَرَق

وهو لايؤدّي وظيفة التنبيه فحسب، بل يخرج منها إلى غرض النفي، بعد تضافره مع أسلوب الاستفهام، فالمجد لا يضيره إن طرَقَ خطب على واقع اللّخميّين ماداموا قد عاشوا ذلك المجد الأثيل.

4-الاستفهام:

يصنفه أغلب البلاغيين على أنه من الإنشاء الطلبي، ويميز السكاكي الاستفهام عن باقي أنواع الإنشاء الطلبي بقوله: «إنك في الاستفهام تطلب ما هو في الخارج ليحصل في ذهنك نقش له مطابق، وفيما سواه تنقش في ذهنك ثم تطلب أن يحصل له في الخارج نقش مطابق، فنقش الذهن في الأول (أي الاستفهام) تابع وفي الثاني (أي باقي الطلبيات) متبوع »[1].

أدواتـه: الأدوات الإنجازية للاستفهام هي: **الهمزة، أم، هل، ما، من، أي، كم، كيف، أين، متى، أيان،** هذه الكلمات ثلاثة أنواع: أحدها يختص بطلب حصول التصور وثانيها يختص بطلب حصول التصديق، وثالثها لا يختص .[2]والراجح أن بين التصور والتصديق فرق وهو يتمثل في أن **التصور** يكون المتكلم فيه خالي الذهن من أي فكرة حول المستفهم عنه، أما في **التصديق** فيجب أن يكون لدى المتكلم فكرة مسبقة عن الموضوع المستفهم عنه، ويندرج ذلك ضمن ما أسماه **سيرل** معيار الشروط المعدة[3].

أن الشروط المعدة للاستفهام تتمثل في أن يكون المستفهم غير عالم بما يسأل عنه طالبا العلم به وهذا ما يؤدي إلى إجراء الاستفهام على أصله، أي يكون استفهاما لغرض الاستخبار وطلب العلم. فيكون فعلا كلاميا مباشرا، وهذا في أقل الحالات، أما إذا وجدنا الاستفهام في غير مقام الاستخبار وطلب العلم خرج عن غرضه الأصلي المباشر إلى أغراض تواصلية فرضتها المقامات التي

[1]- ينظر : السكاكي : مفتاح العلوم، ص: 416 .

[2] - ينظر : المرجع نفسه، ص :418 .

[3] - ينظر : مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص: 158 ، 159 .

يرد فيها الاستفهام، وامتنع فيها إجراء المعنى الأصلي المباشر إلى معنى فرعي غير مباشر؛ ويمكن عرضها كالآتي :

– **التمني**: إذا قلت هل لي من شفيع؟ «في مقام لا يسع إمكان التصديق بوجود الشفيع امتنع إجراء الاستفهام على أصله وولد بمعونة قرائن الأحوال معنى التمني »[1].

– **العرض**: «إذا قلت لمن تراه لا ينزل: ألا تنزل فتصيب خيرا، امتنع أن يكون المطلوب بالاستفهام التصديق بحال نزول صاحبك لكونه حاصلا، ويوجه بمعونة قرينة الحال إلى نحو : ألا تحب النزول مع محبتنا إياه، وولد معنى العرض»[2].

– **الإنكار والزجر**: «إذا قلت لمن تراه يؤذي الأب : أتفعل هذا ؟ امتنع توجه الاستفهام إلى فعل الأذى لعلمك بحاله، وتوجه إلى مالا تعلم،...، وولد معنى الإنكار والزجر»[3].

– **الإنكار والتوبيخ**: «أو كما قلت لمن يهجو أباه مع حكمك بأن هجو الأب ليس شيئا غير هجو النفس، هل تهجو إلا نفسك؟، أو غير نفسك؟ امتنع منك إجراء الاستفهام على ظاهرة، لاستدعائهم أن يكون الهجو احتمل عندك توجها إلى غيره، وتولد منه بمعونة القرينة»[4].

–الوعيد والزجر، الاستبطاء والتحضيض .

وفي مدوّنة الدراسة، يخرج الاستفهام عن غرضه الأساسي وهو الاستعلام إلى أغراض مستفادة من السياق، تتراوح بين:

التعجب: فهو يتعجب من أن يهوى أسير البقاء، وهذا بعد أن دعا له الطبيب بدوام البقاء، وهذا دليل على اليأس الذي اعتوره بعد الملمّات التي حاقت به.

وفي قوله[5]: [من البسيط]

لَو أستـطيعُ على التزويدِ بالذَّهَـبِ فَعلتُ لـــــكن عداني طـارقُ النُّوَبِ

[1] – ينظر: السكاكي: مفتاح العلوم، ص :416 .

[2] – ينظر: المرجع نفسه، ص : نفسها .

[3] – ينظر: المرجع نفسه ، ص : نفسها .

[4]– ينظر: المرجع نفسه، ص : نفسها .

[5] – ينظر: اللمعتمد بن عبّاد: الديوان، ص:92.

يا ســـائلَ الشِّعرِ يجْتابُ الفَلاةَ بهِ تزويدُكَ الشِّـــعرَ لا يُغني عن السَّغَبِ

زادٌ مِـــن الرّيحِ لا رِيٌّ ولا شِـــبَعٌ غَـــــــدا لهُ مؤْثِرًا ذو اللُّبِّ والأدَبِ

أصبَحْتُ صِفرًا يَدِي مِـمّا تَجودُ بِهِ ما أعجَبَ الحادِثَ المَقدورَ في رَجَبِ

ذُلٌّ و فَقــرٌ أَزالا عِـــزَّةً وغِنـــى نُعمى اللّـيالي مِنَ البلـــوْى على كَثَبِ

قَد كانَ يستلـــبُ الجبارَ مهجَتهُ بَطـشي ويحيا قَـــتيلُ الفقرِ في طَلَبي

والـمُـــلْكُ يَحرُسُهُ في ظِلِّ واهِبِهِ غُـــلْبٌ مِنَ العُجْمِ أو شُمٌّ مِنَ العَرَبِ

فَحينَ شـــــاءَ الذي آتاهُ ينزِعُهُ لَـمْ يُجْدِ شيْئاً قِـــراعُ السُّمرِ و القُضُبِ

فَهاكَها قِطْعةً يُطوى لـــها حسَدًا السّـــــــــيفُ أصدَقُ أنباءً من الكُتُب

التقرير : يقرّر الشاعر أنّ الموت أروح من حياة الذلّ والأسر، لأنّها تمنح الإنسان الراحة من الشقاء الذي عاشه.

النفي: إذ ينفي أن يرغب في رؤية بناته عواري حافيات خوادم أبسط جندي في جيشه أيّام عِزّه.

الإخبار: وذلك من الاستئناف البياني الذي يعني الإجابة على أسئلة مضمرة من معترض مفترض: كقوله:

يَقولون صبرًا , لا سـبيلَ إلى الصَّبرِ سأبكي ، وأبكي ما تطاولَ مِن عُمري

هوى الكَوكَبانِ : الفتْحُ ثُمَّ شـــقيقُهُ يَزيدُ[1] ، فهل عِند الكـواكِبِ مِن خُبرِ

[1] – المأمون: اسمه عبّاد، ويكنّى أبا الفتح، وأبا النصر، أكبر أولاد المعتمد بن عبّاد، ولاّه أبوه قرطبة عندما استولى عليها ثانية سنة 471هـ، وقتله المرابط ون بقرطبة. ينظر: الفتح بن خاقان: القلائد، ص: 69.

الراضي: هو أبو خالد يزيدبن المعتمد، كان كلوفا بمطالعة الكتب والدواوين، مولعا بالشعر، ولي الجزيرة الخضراء، قتله المربطون برُندة سنة 484هـ. ينظر: الفتح بن خاقان: القلائد، ص: 110.

5- **التمنّي**:

وهو الأسلوب الإنشائي الذي يطلب فيه المتكلم ما هو ممتنع الوقوع، وهو حسب السكاكي: "أن تطلب كون غير الواقع فيما مضى واقعا فيه مع حكم العقل بامتناعه"[1]

والفرق الجوهري بين التمني والترجي هو أن المتمني لا يطمع في حصوله، ومن ثم لا يعتقد إمكانه، أما المترجي فهو أمر يعتقد حصوله وإمكانه . والفرق الآخر أن التمني يكون في الأمر المحبوب فقط وأن الترجي يكون في المحبوب والمكروه معا ».[2]

يخرج التمني عن الغرض الأصلي المباشر إلى أغراض تواصلية أخرى فرعية، يفرضها تعدد المقامات نحو: النفي، الاستفهام، الطلب.

نستنتج أن شرط حدوث التمني على أصله هو عدم الطماعية في وقوعه. وهذا ما يسميه سيرل بالشروط المعدة لإجراء التمني على أصله.

أدواته:

– الكلمة الموضوعة في الأصل للتمني هي ليت، يقول السكاكي:"إنك تقول ليت زيدا يأتيني أو ليتك تحدثني، فتطلب إتيان زيد أو حديث صاحبك في حال لا تتوقعهما ولا لك طماعية في وقوعهما".

وقد يعدل المتكلم عن دلالة التمني غير المتحقق **بليت**، إلى ما يوحي بتحققه أو الرغبة في تحققه فيستعمل أدوات بديلة نحو: هل، لو.

– هل: نحو "هل لي من شفيع" حيث يعلم أن لا شفيع له حينئذ يمنع حمله عن حقيقة الاستفهام لحصول الجزم بانتفائه. والنكتة بالتمني بـ: **هل** هو إبراز المتمني لكمال العناية به في صورة الممكن الذي لا جزم بانتفائه.

– لو: نحو: لو تأتيني فتحدثني، بالنصب على تقدير: فأن تحدثني فإن النصب قرينة على أن لو ليست على أصلها، إذ لا ينصب المضارع بعدها بالإضمار أن، وإنما يضمر بعد الأشياء الستة، والمناسب ههنا هو التمني.

---

[1] –ينظر: المرجع السابق، ص: 428.

[2] – ينظر : الدسوقي ضمن شروح التلخيص، ج2، ص 241 – 243 ، ترتيب وتعليق عبد المتعال الصعيدي، منشورات دار الحكمة، قم، إيران، د. ت، نقلا عن مسعود صحراوي : التداولية عند العلماء العرب، ص 118 .

- لعل: قد يتمنى ب**لعل**، فتعطي حكم **ليت** ،وينصب في جوابه المضارع على إضمار أن نحو: "لعلّي أحج فأزورك"(بالنصب)، لبعد المرجو عن الحصول .

- هلاّ- ألا- لوما- لولا وهي في الأصل ليست موضوعة للتمني، بل تفيد معنى متولدا عنه هو التنديم في الماضي، والتحضيض في المضارع.

يقول السكاكي: "وكأن الحروف المسماة بحروف التنديم والتخصيص وهي: هلا وألا ولولا ولوما. مأخوذة منها أي هل. لو. مركبة مع لا وما المزيدتين مطلوبا بالتزام التركيب، التنبيه على إلزام. هل ولو معنى التمني فإذا قيل هلا أكرمت زيدا أو ألا بقلب الهاء همزة ،أو لولا أو لوما، كان المعنى :ليتك أكرمت زيدا .

متولدا منه معنى التنديم وإذا قيل :هل تكرم زيدا . أو لولا فكان المعنى ليتك تكرمه. متولدا منه معنى السؤال".[1]

وإذا عدنا إلى شعر الأسر عند المعتمد، لانجده يحتفي بالتمنّي، وكأنّ الاستسلام ألغى عنده حتّى احتمال التفكير في الأماني. فلا نجده يستعمله إلاّ في قصيدة واحدة

وقال إثر ثورة ابنه عبد الجبّار: [من المتقارب]

كذا يَهلِكُ السّيفُ في جَفنهِ إلى هزِّ كَفّي طويلَ الحنينِ
كذا يعطَش الرُّمحُ لم أعْتقِلْهُ وَلم تُرْوِهِ مِن نجيعٍ يَميني
كذا يُمنَعُ الطِّرفُ[2] عَلْكَ الشَّكيـ مِ[3] مُرتَقِبًا غِرَّةً في كَمينِ
كـــــأنَّ الفوارِسَ فيهِ لُيوث تُراعي فَرائسَها في عَرينِ
ألاشَرَفٌ يَرحَمُ الـمشرفيّ مما به مِن شَماتِ[4] الوتين[5]
ألا كرَمٌ يُنعِشُ السَّمهريَّ ويَشفيهِ مِن كُلِّ داءٍ دَفينِ
ألا حَنَّةٌ[1] لابنِ مُحْنِيّةٍ[2] شديد الحنين ضعيف الأنين

[1] - ينظر: السكاكي: مفتاح العلوم ،ص:427.

[2] - الطِّرف: الكريم من الخيل.

[3] - الشكيم: مفرده الشكيمة: حديدة اللّجام المعترضة في فم الفَرَس.

[4] - الشّمات: كالشّماتة، فعله: شمت كَفَرِحَ: الفَرَح بِبَلِيَّةِ العدوّ

[5] - الوتين: عرق إذا انقطع مات صاحبه – وإضافة الشمات إلى الوتين: يُرادُ به شماتة صاحبه.

يُؤَمِّلُ مِن صدرِها[3] ضمَّةً تُبَوِّئُهُ صدرَ كفٍّ معينِ[4]

هذه مقطوعة فذّة ترسم جيشان الألم المكبوت، إذ أخفقت ثورة ولَديه في الأندلس فقتلا، وحال الأسر بينه وبين ميدان الكفاح، وتحقيق الذات بالنصر أو الموت[5]. وكانت تفصح عن النقمة والغضب. ونلاحظ فيها تكرار "كذا" ؛ **وكذا**: تكون كلمتين متشابهتين وهما كاف التشبيه وذا اسم الإشارة. مثال: علمت عليّا فاضلا وعلمت أخاه كذا. أي مثله، وتدخل عليها هاء التنبيه. وتكون كلمة واحدة مركّبة يكنى بها عن الشيء المجهول وما لا يراد التصريح به، مثل: فعلت كذا وقلت كذا.[6] و **كذا** كلمة واحدة ممكني بها عن العدد وهو مبهم في الأشياء . وهي كناية بمنزلة (فلان) إذا كنيت به في الأسماء.[7]

يبدؤها بالتعبيرعن عجزه عن الحرب والكفاح مع ابنيه، بسبب الأسر. في قوله: **كذا يهلك، كذا يعطَش،كذا يُمنَعُ**، فهو يعبّر عن ذهوله بانتهاء أمله في عودة مُلكه بفشل ثورة ابنه، إنّه الأبهام الذي تضفيه كذا وتكرارها على الأبيات الثلاثة الأولى.

ثمّ يتمنّى القوّة التي يمكنه بها التخلّص من ذلّه: **ألا شرفٌ، ألا كرمٌ، ألا حنّةٌ.**

وهو يخرج عن غرض التمني إلى غرض يتناسب مع السياق، وهوالندم على الماضي. الذي لا يدفع إلى الإنجاز. وإنّما يجعل التمني مرتبطا بالمستحيل الذي لن يحدث. وإنما يفتح الباب للألم والذكرى.

---

[1] – الحَنَّة: الرأفة والرحمة

[2] – الـمَحنيّة : القوس

[3] – الضمير عائد على الـمَحنيّة.

[4] – ينظر: المعتمد بن عباد: الديوان، ص: 116.

[5] – ينظر: أحمد مختار البرزة: الأسر والسجن في شعر العرب، ص: 418.

[6] – ينظر: مجموعه من الباحثين: المعجم الوسيط، ص: 781.

[7] – ينظر: صالح فاضل السامرائي: معاني النحو، دار الفكر ، عمان، الأردن، ط5. 2011.مج2، ص: 300.

خاتمة:

في ختام هذا الفصل نصل إلى جملة من النتائج، نوردها في ما يأتي:

- تعدّ نظرية الأفعال الكلامية مجالا خصبا للتطبيق على الخطاب الأدبي، والشعري منه خاصة.
- إنّ تقسيم سيرل الأفعال الكلامية حسب الشروط التمهيدية وشرط الإخلاص واتّجاه المطابقة، تقسيم يلقى ترحيبا عند التطبيق، لأنه يفسح المجال أمام تصنيف معاصر يستمدّ منهجيته من رافدين، هما البلاغة العربية، والتداولية المعاصرة.
- إنّ تطبيق مفهوم تعديل القوة الإنجازية الذي اقترحه محمد العبد، يساهم في معرفة قوة الخطاب، ومدى تأديته لشدة الغرض سواء أكان بالسلب أو بالإيجاب. باستغلال العناصر اللغوية المتوفرة في النص الشعري.
- نظراً لطبيعة المدونة، فإننا اقتصرنا على العمل على أنواع الأفعال الكلامية التي وجدناها في شعر الأسر عند المعتمد بن عبّاد؛ وهي: التعبيريات، التقريريات، التوجيهيات.
- تكثر التقريريات عند المعتمد، وهذا يثبت أنّ شعره في الأسر كان مذكّرات، كتب فيها تفاصيل محنته. وقد ساعدت النصوص الموازية على فهم النصوص وتأويلها، لأنّ التقرير يعتمد على اتّجاه مطابقة إلى الواقع.وفيها أمكننا تطبيق قوانين الخطاب كمبدأ التعاون ونظرية الملاءمة، على الوصول إلى تحليل أسهم في تطبيق هذه المفاهيم على النص الشعري.
- إنّ نجاعة مبدأ التعاون وتأدية دوره في التواصل لا تتأتّى إلا بخرق واحد من مبادئه على الأقلّ.
- استعمل التعبيريات في نصوص رثاء بنيه، لأنها كانت تعبيرا عن معاناته، وكان يتجه بها إلى العالم.
- استعمل التوجيهيات (الطلبيات) في غضون النصوص الشعرية؛ وقد تنوع استعمالهابين أنواع الأساليب الإنشائية المعروفة: الاستفهام، الأمر، النهي، النداء.
- خرج الاستفهام إلى التقرير والنفي والتعجب، وهذا بالانتقال إلى القوة الإنجازية المستلزمة مقاميا.

- كثُر استعمال أسلوب الأمر بغرضه الصريح في خطابات الحكمة التي يوجهها إلى نفسه ويدعوها إلى الصبر والتجمل. كما خرج إلى المعنى المستلزم مقاميا، واقتصر على الدعاء لأنّ رتبة المعتمد كانت دائما الأدنى فكان يطلب الدعاء، ويدعو للمخاطَبين باستعمال صيغ متنوعة: الفعل المبني للمجهول، اسم الفعل،فعل الدعاء الصريح أو مصدره.
- كان نادرا استعمال أسلوب النهي، فقد استعمل مرة وحيدة في خطاب الفخر بأصله اللخمي، وهو يخاطب به المتلقي الكوني بأن لايُراع.
- كان ورود النداء متعاضدا مع الأساليب الأخرى؛ كالدعاء، والاستفهام.

الفصل الرابع

الفصل الرابع: المراسلات الشعرية في شعر الأسر عند المعتمد بن عبّاد:

1-مفهوم المراسلات الشعرية.

2- المدخل التداولي في المراسلات الشعرية.

3- المراسلات الشعرية في شعر الأسر عند المعتمد بن عبّاد:

3-1- مع أبي بكر الداني (ابن اللبّانة).

3-2- مع ابن حمديس الصقلّي.

3-3- مع ابنه الرشيد

1- مفهوم المراسلات الشعرية:

يقدّم ابن وهب الكاتب تعريفا لغويا للترسّل فيقول:" الترسّل من ترسّلتُ أترسّلُ ترسُّلا. وأنا مترسِّل(...) متوقّف، ولا يقال ذلك إلاّ فيمن تكرّر فعله في الرسائل(...) ويقال لمن فعل ذلك مرّة واحدة. أرسل يُرسِلُ أرسالا وهو مُرسِل والاسم الرسالة. أو راسَلَ يُراسِلُ مُراسلة وهو مُراسِل، وذلك إن كان هو ومن يُراسله قد اشتركا في المراسلة، وأصل الاشتقاق من ذلك أنّه كلام يُراسَلُ به من بعيد"[1]

فابن وهب يفرّق بين:

الترسّل: الذي ينسبه للنثر، وبالتحديد لمهنة الكتابة، أي الذي يكون متوقّفا عليها، وهذا لا يكون إلاّ في الدواوين.

الإرسال: وهي عندما يُرسِل المرسِل مرّة واحدة.

المراسلة: مِن راسَلَ يُراسِلُ مُراسلة وهو مُراسِل، إذا اشترك هو ومن يراسله في المراسلة.

الرسالة: كلام يُراسَل به من بعيد.

وإذا كان حديث ابن وهب عن الكتابة، فإنّنا سنستخدم المصطلح الثالث؛ وهو المراسلة في صيغة الجمع، لتصبح مراسلات. ثمّ نضيف لها الجنس الأدبي الذي نحن بصدَد دراسته، وهو الشعر. لينتج لنا مصطلح: المراسلات الشعرية. وهو ما وجدنا المقّري يستعمله في النفح.[2] فالترسل مصطلح خاص بحرفة الكتابة. والإرسال هو مصطلح يستعمل للدلالة على الإرسال من جهة واحدة، والرسالة مصطلح عام تدخل جميع المصطلحات السابقة في بابه.

وتسمّى الرسالة الأولى ابتداء والرسالة الثانية جوابا، وإعادة الكتابة استئنافا، وقد تتحوّل المراسلة إلى حركة مكاتبة، لتنتقل إلى المعارضة الشعرية.

---

[1] - ينظر: ابن وهب الكاتب: البرهان في وجوه البيان . ص: 152.

[2] - ينظر: المقري: نفح الطيب، ج4، ص: 07، والمصطلح وارد في فهرس الموضوعات.

وتعدّ المراسلات الشّعرية ضربا من ضروب المعارضات؛ " والمعارضة في الشعر أن يقول شاعر قصيدة في موضوع ما من أي بحر وقافيةن فيأتي شاعر آخر فيُعجَب بهذه القصيدة بجانبها الفني وصياغتها الممتازة، فيقول قصيدة من بحر الأولى وقافيتها، وفي موضوعها أو مع انحراف عنه يسير أو كثير، حريصا على أن يتعلق بالأول في درجته الفنية أو يفوقه فيها"[1]، وإن كانت تختلف عنها في أنّ المعارضات تكون بين قصيدتين من زمنيْن متباعدين، أمّا المراسلات فتكون في نفس الفترة الزّمنيّة. لكن في أغراض متتالية؛ كأن تكون قصيدة الابتداء من وتكون قصيدة الجواب من وهذا هو مبدأ توالي الأغراض أي هي الأغراض الـمُكمّلة لبعضها من ناحية الغرض. وهي تُصنّف من المعارضات الدّاخلية مع أنواع شعرية أخرى هي: المجاوبات، البديهة، الارتجال، الإجازات، التذييل، قلب المعنى، ومعارضة الشاعر لنفسه[2].

وقد أضحت سِمة بارزة مِن سِمات الأدب الأندلسي؛ هذا العصر الذي أصبح الناس فيه يتكلّمون شِعرا. ومناط اهتمامنا بالممارسة في المراسلات الشعرية، هو أنّ الترسل عامّةً: تلفّظ ووضع تواصل وتفاعل ابتدعه الإنسان، يهدف به إلى مجاوزة البُعد في المكان.ومن جهة أخرى تعدّ المراسلات الشعرية الإخوانية أوثق أجناس الرسائل صلة بالنشاط الأدبي في البعد العملي التداولي.

ويمكن تعريف الرسائل الإخوانية بأنّها:"الرسائل التي تعرض عواطف الأفراد ومشاعرهم من رغبة ورهبة، ومن مديح وهجاء، ومن عتاب واعتذار واستعطاف"[3]. وهناك من المؤلّفين من يُطلق الإخوانيات والعتاب بدون تمييز، على ما يقال شِعرا أو نثرا في مناجاة الأصدقاء.[4]

ويبيّن القلقشندي أهمّيتها بقوله: "ولها موقع خطير من حيث تشترك الكافة في الحاجة إليها."[5]وقد قسّمها في كتابه"صبح الأعشى في صناعة الإنشا" إلى سبعة عشر نوعا هي: التهاني، والتعازي،والتهادي، والشفاعات، والتشوق، والاستزارة،واختطاب المودّة ، وخطبة النساء،

[1] – ينظر : أحمد الشايب: تاريخ النقائض في الشعر العربي، دار النهضة المصرية، القاهرة ط2. 1954. ص:07.

[2] – ينظر: إيمان الجمل: المعارضات في الشعر الأندلسي، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط1. 2007.ص: 479.

[3] – ينظر: شوقي ضيف: شوقي ضيف –تاريخ الأدب العربي – العصر العباسي الأول- ، دار المعرف، ط8. 1966. ص 465

[4] –ينظر: زكي مبارك: النثر الفني في القرن الرابع، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة، ط1. 1934. ج1. ص: 163.

[5] – ينظر: القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، شرحه وعلق عليه وقابل نصوصه: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، د.ط، د.ت ج9، ص:03.

والاستعطاف، والاعتذار، والشكوى، واستماحة الحوائج، والشكر، والعتاب، والسؤال عن حال المريض، والأخبار، والمداعبة...". [1]

وبهذا يوسّع القلقشندي من مجالات استدعاء الرسائل عامة، وفي هذا السياق المراسلات ، لتنتمي إلى الإخوانيات، التي يشترك في حاجتها الجميع، لرحابة أغراضها.

2- المدخل التداولي في المراسلات الشعرية:

المراسلات الشعرية ظاهرة انتشرت في عصر الطوائف، بحيث نستطيع أن نقرر بأنّ الشعر كان لغة الرسالة تماما على النحو الذي كان عليه النثر، فعبّر عن جميع الأغراض التي تحتويها الرسالة النثرية الإخوانية من دعوة إلى مجلس أنس إلى إجابة وشكر، ومن إهداء واستهداء إلى تهنئة وتسلية وتقارض ثناء، ومن عيادة وشوق وعتاب إلى سفارة وتبرّم وهجاء، وما إلى ذلك من مختلف المعاني. ويصنّفها اميليو جارثيا جوميث بأنها من مظاهر الشعر الأندلسي ويسميها الإخوانيات ويضعها مع: المرتجلات، القطع التي تقال في شيء معيّن، والمقطّعات الشخصية.[2]

ونظام السجن في عهد ابن تاشفين لم يكن من الصرامة بحيث يحول دون تبادل الرسائل أو تزاور الأصدقاء البيئة وتكمن أهميته في اشتراك جميع الطبقات فيه: الملوك والأمراء والوزراء وعامة الشعراء والبعد عن التكلف والتزوير العاطفي.[3]

إنّه يغدو لزاما أن يلازم القصد فعل التلفظ، لأنه لا عبرة بقصد المرسِل بعد أن يتلفظ باللغة(...) فالقصد يظلّ كامنا في فعل التلفّظ بالخطاب ذاته."[4] مما يؤدّي إلى إنجاز خطابات لغوية متعددة في سياقات متنوعة، بخطاب ذي شكل لغوي واحد

[1] - ينظر: المرجع السابق، ص:04.

[2] - ينظر: اميليو جارثيا جوميث: الشعر الأندلسي بحث في تطوره وخصائصه، ترجمه عن الإسبانية: حسين مؤنس، دار الرشاد القاهرة، ط2، 2005. ص: 74.

[3] - ينظر: سعد إسماعيل شلبي: البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر عصر ملوك الطوائف، ص:480.

[4] - ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص: 193.

وبما أنّ قصد المرسل هو المعنى الذي يريد أن ينقله إلى المرسل إليه في خطابه، فإنه يتأكد أن اختيار الاستراتيجية التلميحية لايقيدها جنس الخطاب(...) مادام يستوفي شروط الخطاب من وجود مرسل ومرسل إليه وعناصر سياقية أخرى.

حيث إن المقاصد تتغلغل في صميم الحياة اليومية فتتحوّل إلى أعمال أقوال. وهذا مايمنحها سِمتيْن بارزتيْن تداوليا:

1-المحاورة:

فلا تُنظَم في نفس الغرض كالمعارضات، إنما في أغراض متتالية متكاملة. نحو:العتاب/الاعتذار- الشكوى/التسلية. ويتولّد عن هذا تشقيق معنى القصيدة الثانية التي تُعدّ جوابا من القصيدة الأولى التي تُعدّ ابتداءً.فتكون القصيدة الثانية مُكمّلة للأولى ولا يمكن دراسة واحدة منهما دون دراسة الثانية، فتكون الدراسة ناقصة.

2- الإنجازية: مادام الابتداء يتطلّب جوابا فوجود الجواب هو الإنجاز الأوّل، وتتمثّل الإنجازات الأخرى في سُبل الجواب، خاصّة وأنّ الطرف الثاني يساند الطرف الأوّل ويحاول إقناعه ويعزّز معانيه، وحاول تأسيس علاقة معه بالخطاب[1].

والمراسلات الإخوانية حتى تتّسم بالأدبية، يجب أن تحقّق وظيفة الإنشاء الأدبي، لتتحوّل المراسلات إلى حركة أدبية.

وهذا التنافس في الكتابة بين المتراسلين، يضفي على المراسلات السمة الحوارية، بالتوسع في إنجاز الرسالة، من خلال المحاورة التي تجري بينهم ويكون كلّ طرف من طرفي المحاورة دافعاإلى إتمام الكتابة.[2]

ولعلّ المفهوم اللساني الأبرز الذي تستدعيه المراسلات السعرية، هو مفهوم المرجع، لكونه ذلك الخيط الدقيق الذي يربط بين رسالة الابتداء، ورسالة الجواب.

وهي تسمى الإحالة في الدرس التداولي، وفي اللسانيات النصية.أمّا في في الدرس اللساني المرجعية référence ،ولم تحظ بأهمية في اللسانيات باعتبار أنها تُعنى بخارج اللغة أو العناصر

[1] - ينظر: صالح بن رمضان: الرسائل الأدبية ودورها في تطوير النثر العربي القديم (مشروع قراءة شعرية)، دار الفارابي، بيروت لبنان، ط2، 2007.ص: 104.

[2] - ينظر: المرجع نفسه، ص: 78.

الميتالغوية، ويعرّفها جون ديبوا J. DUBOIS بأنّها: "الوظيفة التي يتمكّن من خلالها الدّليل اللغوي من الرّجوع إلى موضوع في عالم غير لغوي واقعا كان أم خيالا"[1] . ولم تهتم اللّسانيات السوسيرية بالوظيفة المرجعية باعتبار أنها وظيفة لا نجدها في اللّغة بل تتموقع خارجها ، فهي ترجع إلى موضوع في العالم غير اللّغوي واقعا كان أم خيالا.

ويصنفها رومان جاكيسون ضمن الوظائف اللغوية الستة للتواصل اللغوي؛ ويرى أنها: "أساس كل تواصل فهي تحدد العلاقات بين المرسل والشيء أو الغرض الذي ترجع إليه، وهي أكثر الوظائف أهمية في عملية التواصل ذاتها"[2]. وتطلق عليها عدة تسميات، فهي "تعيينية" أو "تعريفية" وهي العمل الرئيس للعديد من المراسلات، في حين لا تلعب الوظائف الأخرى في المراسلات سوى دور ثانوي".[3]

فكل دليل لغوي يؤمن الرابط بين المفهوم والصورة السمعية وهو في ذات الوقت يعود على الواقع غير اللّغوي. هذه الوظيفة المرجعية، تجعل الدليل في علاقة، لا مع عالم الأشياء الواقعية، بل مع العالم كما يدرك داخل المكونات الإيديولوجية لثقافة ما، فالمرجعية ترتبط بالموضوع الواقعي بقدر ما ترتبط بالموضوع في الفكر. وهذا ما يجعلها مفهوما ينتقل بسلاسة من اللّسانيات العامّة إلى مجالات لغوية أخرى تدرس اللّغة في ارتباطها بالظروف التي أنتجتها من الرّؤية المعاصرة، لتضعها من المفاهيم الأساسيّة في لسانيات النصّ واللّسانيات التّداولية.

وقد أولت اللسانيات التداولية أهمّية كبيرة للوظيفة المرجعية، وذلك لأنّها تربط بين السياق اللغوي وسياق الموقف، أي الواقع الاجتماعي التي قيلت فيه العبارة اللغوية، ضمن تطبيق الإستراتيجية التضامنية من طرف المتكلم بدراسة الإحالة؛ وهي: "الإستراتيجية التي يحاول المرسل أن يجسّد بها درجة علاقته بالمرسل إليه ونوعَها. وأن يعبّر عن مدى احترامه لها، ورغبته في المحافظة عليها أو تطويرها، بإزالة معالم الفروق بينهما".

[1] JEANDUBOIS ETAUTRES DICTIONNAIREDE L'INGUISSTIQUE, p 404

[2] - ينظر: فاطمة الطبال بركة، النظرية الألسنية عند رومان جاكسون دراسة ونصوص، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ط 1، 1993، ص:67.

[3] - ينظر: المرجع نفسه، ص:نفسها.

أمّا في حالة المراسلات الشعرية، فإنّ النص الأول (نص الابتداء) يصبح مرجع النص الثاني (نص الجواب)، فعلى أساس النص الأول يتمّ بناء النص الثاني، من طرف المرسل الثاني لهذا انص، ونجد ظلاله متمثّلة في ملفوظات وتراكيب متواجدة في النصّين كليهما، فندرك عند الدراسة أيّهما نصّ الابتداء ,وأيّهما نصّ الجواب. كما أنّ المرجعية تظهر بِسِمَة أخرى وهي المتكلم والمخاطب في النصّين، إضافة إلى مبدأ المحاورة، فتوالي الأغراض يفسّر اقتراض ملفوظات وتعابير من النص الأوّل.

3-المراسلات الشعرية في شعر الأسر عند المعتمد بن عبّاد:

من أبرز الأمثلة عن المراسلات الشعرية؛ شعر المعتمد بن عبّاد وصِلته بشعرائه – نذكر منهم ابن اللبّانة وابن حمديس الصقلّي– حتّى بعد أسره وتبدّد مملكته إشبيلية.ممّا كان مثار اهتمام لدارسي تاريخ الأدب. فلا يوجد مصدر أو مرجع إلا وأشار إلى هذه العلاقة التي تجاوزت علاقة شاعر بمَلِك، لأنها استمرّت حتى بعد تلاشي مُلكه وانهيار سلطانه للمدة التي كان أسيرا فيها.

حيث حافظ المعتمد بن عبّاد على شعوره بأنّه مَلِك، بالرغم من أسره وسلب مُلكه وسوء معاملة المرابطين له. فكيف يبقى لديه هذا الشعور؟ وهو يعاني الغربة والوحدة.

وهناك طائفة من الشعراء تأثروا بهذه المأساة، وكانوا مثال الوفاء ونعدّ منهم: ابن حمديس الصقلي، وأبا بكر ابن اللبانة، وأبا بحر بن عبد الصمد[1]. فالأخير رثاه بقصيدة مطوّلة وبكى أيّامه.[2] وإن كان الداني أوثق معرفة بالمعتمد وآل عبّاد. وقد جرت بينهما وبين المعتمد مراسلات، تشير إلى تعلّق هذين الشاعرين به، ولعلهما كانا يطمعان في إيناسه وإزالة وحشة السجن عنه، وكان كلٌّ منهما يرثي نفسه، لأن سجن المعتمد كان نهاية لنعيم ورفاهية عاشا فيها ونعما بها.[3]

ثم انصرف كل واحد منهما يطلب الحياة من جديد في ظلّ ممدوح جديد، لا من نسيان أدركهما، لكنّها الطبيعة الإنسانية تعثر بالموت لتتجدّد وتمضي في طريق الاستمرار؛ فأمّا ابن حمديس، فلجأ إلى بني زيري في إفريقية، وأمّا ابن اللبّانة، فانحاز إلى مبشر بن سلمان صاحب ميورقة.

[1] – ينظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج4، ص: 128.

[2] – ينظر: الفتح بن خاقان: القلائد، ص: 106

[3] – ينظر: سعد إسماعيل شلبي: البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر عصر ملوك الطوائف، ص: 337.336.

وسيظلّ هذا الشعر الذي وقف يحيّي العظمة الزائلة، أقوى صورة حزينة في الأدب الأندلسي أثارها الوفاء لا الرجاء، وبعثتها صدمة الموت لا انفتاح الحياة.[1]

ولعلّ من أهمّ صفات المُلوك مُجالسة الشعراء، وإن كانت هذه الصّفة لاتتوفّر دائما في الأسر، إلاّ أنّها تبقى ممكنة باستغلال وسائل الاتّصال المتوفّرة آنذاك.

فقام المعتمد بالمراسلات الشعرية مع شاعريه أبي بكر الداني وابن حمديس الصقلّي، في نماذج عديدة. وقد جسّد الشاعران معنى الوفاء لملك في جميع الظروف، ووقفا معه موقفا يُحسَب لهما في التاريخ.

ومن جهة أخرى وجدنا في مدوّنة الدراسة نص مراسلة شعرية بين المعتمد وابنه الرشيد؛ وهذا ليس غريبا لأن المعتمد ينتمي إلى عائلة شعرية؛ فوالده المعتضد كان شاعرا، وأبناؤه كانوا شعراء؛ نذكر منهم: الراضي ، بثينة، الرشيد.

إنّ ما يهمّنا في هذا الجزء أن نصل إلى تحليل الضوابط المستعملة في التواصل بالشعر. ونريد تحديد العلاقة التخاطبية بين المعتمد وشاعرَيه، وبالاعتماد على آراء المؤرّخين والدارسين، لأنّ الدراسة التداولية تنطلق من القصد من استعمال اللغة، للوصول إلى الإنجاز وتوجيه المخاطَب المقصود للقيام بالفعل، الذي يتمثّل في فهم قصده، وإجابته عن رسالته، وفي مستوى أعلى القيام بإنجازات أخرى خارج الإطار اللّغوي. ورصد مدى توفّر عناصر من قبيل: المرجعية، الإشاريات، القصد، الضمني، الإنجاز ، التوجيه في المراسلات الشعرية في مدوّنة الدراسة.

[1] – ينظر: إحسان عباس: تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين، ص: 155.

3-1- المراسلات الشعرية بين المعتمد بن عباد والداني:

التحق الداني بآل عبّاد منذ فترة طويلة، ولعلّ ذلك ما يفسّر مبدئيا طريقتهما في المراسلة، حيث تمّت المراسلات الشعرية بين المعتمد والداني في نموذجين:

3-1-1- النموذج الأول: وصل هذا النموذج إلى درجة المكاتبة، فكلّ طرف يدفع الطرف الآخر للجواب،[1] وهذا يدلّ على المعرفة الجيّدة الموجودة بين طرفي العملية التواصلية. وقدرة المتلقّي على فهم المقصود ودفع المُرسِل الأول للرد، وهكذا...

وكان المعتمد هو البادئ بالمراسلة:

الابتداء: صلة ونص ابتداء

الجواب: رد الصلة ونص الجواب

الاستئناف: لوم وشكر

جوابه: مدح

ويمكن توضيح ذلك من خلال المخطط الآتي:

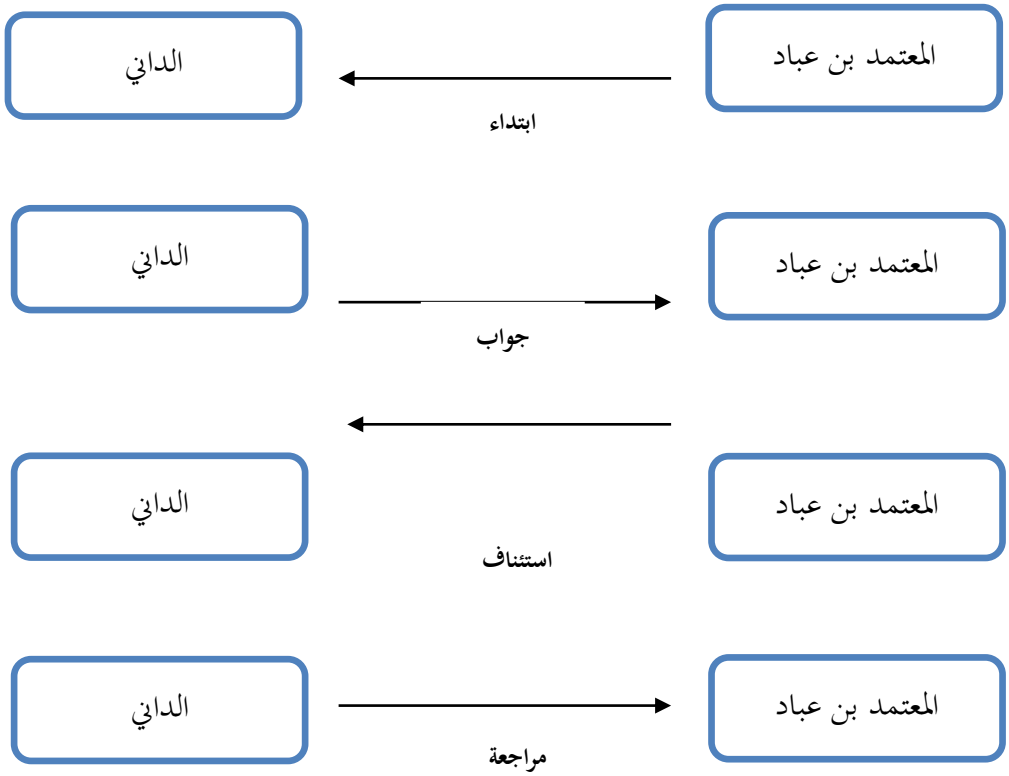

[1] – ينظر: صالح بن رمضان: الرسائل الأدبية ودورها في تطوير النثر العربي، ص: 78.

أبو بكر الداني : أبو بكر محمد بن عيسى، نسبة إلى دانية؛ وهي مدينة بالأندلس من أعمال بلنسية، على ضفة البحر شرقا[1]. وهو المعروف بابن اللبانة، لأنّ أمّه كانت تبيع اللّبن لتعيله ، من كبار أدباء الأندلس وشعرائها، نظم القصائد والموشّحات، وهو من شعراء الدولة العبادية، التحق حبهم من أيّام المعتضد بن عبّاد[2]؛ له كتاب" سقيط الدُّرر ولقيط الزَّهر" كانت وفاته أحد شعراء دولة المعتمد، كان يميّزه بالشّفوف والإحسان، ويُجوّزه في فرسان ذلك الشّأن.[3] وقد اشتهر ابن اللبّانة برثاء بني عبّاد بإشبيلية، وكانت صلة هذا الشاعر بالمعتمد بن عبّاد أكثر من شاعر بلاط، يمدح ويتعاطى على مدحه أجرا، بل أحبّ بني عبّاد جميعا، واشتغل بإحصاء مكارمهم فألَّف كتابا مُستقلاّ سمّاه" **الاعتماد في أخبار بني عبّاد**" وله عدّة مقطوعات وقصائد في بكاء أيّامهم وانتثار نظامهم، كما ألّف مُصنّفا سمّاه" **السلوك في وعظ الملوك**" إلاّ أنه ضاع. ولم نخسر بفقده، فهناك نماذج كثيرة من شعره في مأساة المعتمد في الذخيرة والقلائد والنفح"[4].كانت وفاته سنة 507هـ بميورقة.[5]

3-1-1-1- التحليل التداولي لنص الابتداء:

حين كان المعتمد أسيرا بأغمات وفد عليه الداني شاعره، فبعث إليه بعشرين مثقالا، ومعها هذه الأبيات[6]:[من الوافر]

إليك النّـزرَ مِن كـــــفِّ الأسير فإن تَقْبلْ تَكُنْ عيْنَ الشَّكـــــور

[1] – ينظر:ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج2. ص434.

[2] – ينظر: عبد الوهاب عزام: المعتمد بن عبّاد الملك الجواد الشّجاع الشّاعر المرزّأ. مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، د.ط.د.ت، ص: 28.

[3] – ينظر: المرجع نفسه، ص: 103.

[4] – ينظر: سعد إسماعيل شلبي: البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر عصر ملوك الطوائف، ص:328.

[5] – ينظر: الفتح بن خاقان : القلائد، ص: 494.

[6] – ينظر: المعتمد بن عبّاد، الديوان، ص: 103.

تَقَــبَّلْ ما يـــــــــذوبُ لهُ حَياءً وإنْ عَذَرَتْهُ حالاتُ الـــــفقيـــر
ولا تعجَبْ لخـــــطْبٍ غَضَّ منه أَلَيْسَ الخَـــــسفُ مُلْتزِمَ البُدور؟
ورَجِّ بـــجَبرِه عُـــــــقْبى نـــداه فـــكَم جبَرت يَداهُ مِـــن كَسيرِ
وَكم أعْلتْ عُلاهُ مِنْ حَـــضيضٍ وَكَـــم حطّتْ ظُـــباهُ مِـــنْ أمير
وَكـم أحظى رِضـاهُ مِـــن حَظِيٍّ وكم شـــهِرتْ عُلاهُ مِـــن شَهيرِ
وكـم مِن مِنبـــــرٍ حـــنَّت إليْهِ أعـــالي مُـــرتَقاهُ ومِـــن سريرِ
زَمانَ تنافـستْ في الحَـــظِّ منهُ مُـلوكٌ قد تَجورُ على الدُّهـــور
زَمـــانَ تنافستْ عَـــن جانِبَيْهِ جِيادُ الـخَيْلِ بِالموت الـمُســـير
بِـحيثُ يطيرُ بالأبـــطال ذُعرٌ وَيُلْفى ثَمَّ أَرجـــحَ مِن ثَبـــير
فقد نـظَرتْ إِلَيْهِ عُيونُ نَـــحسٍ مـــضَت منه بِمعدومِ النَّـــظير
نُـــحوسٌ كُنَّ في عُقبى سُـــعودٍ كـــذاكَ تـدور أقـدارُ القـــدير

3-1-1-1-1- الإشاريات في نص الابتداء:

الإشاريات الشخصية في نصّ الابتداء:

المرجعية: ينبغي أن نشير إلى أنّ العبارات المستعملة في نص الابتداء أبدعتها الذات الشاعرة.

يتجلّى مظهر التوجّه بالخطاب إلى الـمُخاطَب بعينه؛ من خلال التركيز على ذكره وذكر ما يحيل إليه في كلّ شطر في الأبيات الأربعة الأولى؛ نحو: **إليكَ، تَكُنْ، تقبلْ، تقبَّلْ، لاتعجَبْ، رَجِّ**. وهذا الـمُخاطَب هو المقصود من الكلام لا غيرُه.

المتكلّم هنا هو الذّات الشّاعرة، لكنّه لا يذكر نفسه مباشرة بالتعبير باستعمال ضمير المتكلّم؛ وإنّما يستعيض عن ذلك بذكر صفاته: **الأسير، الفقير**.

ثمّ يورد ضمير الغائب مضافا إلى الاسم، وهذا الضمير في جميع الحالات كان يحيل على الذات الشّاعرة: **جبرِه، نداهُ، يداهُ، رضاهُ، عُلاهُ، مُرتقاهُ**. ويورده مرتبطا بالحرف إلى: **إليه**.

إنّ أوّل ما نلاحظه هو تغييب الشّاعر ذاته، ليذكر الصّفة التي تبيّن حاله: **الأسير، الفقير**.

وكأنّ في موضوع الابتداء ما يُحرِجُ الـمُعتمد إذ لم يذكر ضمير المتكلّم مباشرة، بل انتقل من الحاضر ليعبّر عن الماضي، وما ارتبط به من أسماء اشياء.

أ– 3 – الإشاريات المكانية:

إنّ هذا الأسير الفقير يذكر مظاهر مُلكه المسلوب، المنبر، السّرير. فهو مَلِكٌ مُرزَّأ، دارت عليه الدوائر، لأنّ مظاهر الـمُلك هذه تعبّر عن العلاقة التي تربط بينه وبين شاعره، وتؤطّر حدود تلك العلاقة. من مدح ومجالس أُنس.

أ–3– الإشاريات الزمانية:

إنّ ما استعمله المعتمد هو: **زَمانَ**؛ للإشارة إلى الزمن الذي فرَضَ فيه قوّته وسُلطته، فكانت دولة بني عبّاد في عصره تمرّ بأعلى عُصورها.

2–1–1–3– الحجاج في نصّ الابتداء:

إنّ السؤال الذي نطرحه هنا هو ما الذي سيُقنع به المعتمد شاعره الداني؟ وللإجابة عن هذا السؤال قمنا باستخراج الآليات الحجاجية المختلفة التي استدعاها المعتمد.

الحجاج بتكرار: كم الخبرية التي تدل على كثرة الأفعال المنسوبة للمعتمد والإخبار بها:

وَكم أعْلتْ عُلاهُ مِنْ حَـــضيضٍ وَكَــم حطّتْ ظُــباهُ مِـــنْ أمير

وَكـم أحظى رِضـاهُ مِـــن حَظِيٍّ وكم شـــهِرتْ عُلاهُ مِـــن شَهيرِ

وكـم مِن مِنبـــرٍ حـــنَّت إليْهِ أعـــالي مُـــرتَقاهُ ومِـــن سـريرِ

فكم الخبرية تكون بمعنى كثير، ويستعملها من يريد الافتخار والتكثير.[1]

الحجاج بالمشترك:

ثبير: من أعظم جبال مكّة، بينها وبين عَرَفة، سُمّيَ ثبيرا باسم رَجُلٍ من هُذَيل، مات في ذلك الجبل فعُرِفَ الجبل به.[2] وجاء في الحديث النبوي الشريف؛ عن ثُمامة بن حزْن القُشيري رحمه الله قال:شَهدتُ الدَّارَ حينَ أشرفَ عليهم عُثمان رضي الله عنه،فقال: أنشدكم بالله وبالإسلام، هل تعلمون أنّ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم –كان على ثبير: ثبير مكّة، ومعه أبو بكر، وعُمر ،

[1] – ينظر: فاضل صالح السامرّائي: معاني النحو، ط5 . 2011.مج2، ص: 295.

[2] – ينظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، مج 2، ص: 73.

وأنا. فتَحرّكَ الجبل، فرَكضه رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – برجله وقال: اسكُن ثبير، فإنّما عليك نبيّ، وصدّيق، وشهيدان". قالوا: اللّهمّ نعم. قال: الله أكبر. شهدوا لي وربّ الكعبة أنّي شهيد.ثلاثا" .[1] إنّ إيراد الداني لاسم جبل ثبير يريد به إحداث شبه بين الجبل الذي سكن ورجح حين وقف عليه الرسول – صلى الله عليه وسلم – وصحابته، وبين صمود المعتمد وثباته في وجه جَور الزمان بعد انقلاب الحال عليه. ولا يمكن التوصل إلى هذه العلاقة إلاّ من خلال الاستنتاج الذي يقيمه المتلقّي للنصّ.

3-1-1-1-3- الأفعال الكلامية في نص الابتداء:

يتمثّل نص الابتداء في فعل كلامي كُلّي هو الشكوى؛ ويقول القلقشندي إنّ الشكوى: " يجب أن تكون مبنية على صفة الحال المشكية ، على ما يوجب المشاركة فيها ويقضي بالمساعدة إن أُستدعِيتْ عليها، من غير إغراق يفضي إلى تظليم الأقدار وإحباط الأجر."[2]

ومحتوى النص أنّ المعتمد يشكو حاله، رغم أنّه يبتدئ قصيدته بالمنح والعطاء،في قوله: **إليك النزر**..، وهو يصف هذا العطاء بالنزر، لكنّه يقرنه بوصف آخر يعود على المعتمد،وهو : **الفقير**. ويلحّ عليه لقبول هذه الصّلة، وبأنّه يذوب حياء من قلّة عطائه، ويلتمس العذر لنفسه بأنّه أصبح فقيرا، ويدعو الداني إلى عدم التعجّب من حال مَلِكه، بعد أن دارت عليه الدوائر.

ويضمّ الفعل الكلامي الكلّي أفعالا كلامية صغرى تنوّعت بين:

التوجيهيات:

الأمر: باستعمال اسم فعل الأمر: **إليكَ** ، ويقوم بتعديل القوة الإنجازية سلبيًّا من خلال قرائن: **النّزر، كفّ الأسير**. توظيف أسلوب الشرط في تعديل القوة الإنجازية والغرض منه الإلحاح في قبول الصّلة: **فإن تقبل تكن عين الشَّكور**. إنّ هذا التعديل السلبي يعمل على إنقاص القوة الإنجازية لفعل الأمر.

[1] – ينظر: الترمذي: سنن الترمذي، تح: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1996. مج: 06، ص: 71، 72. رقم الحديث: 3703. رواه الترمذي ، وقال حديث حسن ، وقد أوردنا الجزء من الحديث الذي يهم الدراسة.

[2] – ينظر: القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج9، ص:173، 174.

تعديل آخر: **تقبَّل**: يخرج من التعبير عن الأمر الصريح إلى الطّلب، فالمتكلّم وضع المُخاطَب في منزلة أعلى منه، وذلك لسبب: **ما يذوب له حياءً**: توكيد معنوي لـ: **النزر**. ويعزّز هذا النزر الذي لم يتعوّد الشاعر على منح مثله، بـ: **وإن عذَرته حالات الفقير**.

فعل الأمر الصّريح: **رَجِّ** الذي يخرج من التعبير عن الأمر إلى التعبير عن الدعوة إلى التضامن والمساندة.

نلاحظ أنّ الشاعر ركّز على الصّلة، واستعمل التوجيهيات بفعل الأمر الذي خرج عن الأمر الصريح إلى أغراض فرعية، تمثّلت في الطلب والدعاء.

التعبيريات:

الحديث عن الماضي المُشرق للمعتمد والمجد الذي كان يقوم به، ويُقدّمه للآخرين. هو استحضار لبُعد ذاتي في مقامٍ مع من يعرفه حقّ المعرفة. ويتمثّل هذا البُعد في تذكّر قوّته في إعلاء الحضيض وحطّ الأمير، ووصف جور الزمان عليه.

يجمع المعتمد بين متناقضين: الفقر والعطاء، والسؤال المطروح هو: هل يرغب المعتمد فعلا في منح العشرين مثقالا إلى الداني؟ ما الذي يدعوه إلى العطاء وهو يعاني الفقر؟ أم أنّه شعور الملك الذي لم يبارحه؟. ولا يمكننا بأيّة حال أن نقدّم افتراضات للإجابة عن هذه التساؤلات حتى يكتمل معنا الجزء الثاني من النص، وهو رسالة الجواب.

3-1-1- 2- التحليل التداولي لنص الجواب:

في قول الداني: حيث ردّ صلته هذه وكتب إليه[1]:[من الوافر]

سَقطْتَ من الوفاء عـلى خبير فَذَرني والذي لكَ في ضميري
تركْتُ هواكَ وهو شقـيق ديني لئن شقّت بُرودي عن غَــدور
ولا كنتُ الطّــليقَ من الرزايا لئن أصْبَحْتُ أجحِفُ بالأسير
أَسيرُ ، ولا أَسيرُ إلى اغتِنــامٍ مَعاذَ الله مِن سوءِ المصيـــــر
إذا ما الشـكر كان وإن تناهى على نعمى فما فضل الشَّكور

[1] – ينظر: ابن اللبّانة: ديوان ابن اللبّانة مجموع شعره، ص: 74.73.72.

جذيمة أنـتَ ، والزَّبَّاءُ خانـت وما أنا مَن يُقَصِّرُ عن قَصيـر
أنا أدرى بفضلك مِنكَ ، إنّـي لَبِستُ الظّلَّ منه في الحَـرور
غَنِيُّ النفسِ أنت وإن أحَّـت على كَفّيكَ حـــالاتُ الفقير
تُصرّف في الندى حِيل المعاني فتسمح من قليلٍ بالكثيـــر
أُحدّثُ عنـــك عن نبعٍ غريب تفتّحَ عن جنى زهْرٍ نضيـــر
وأَعْجَبُ مِنـــكَ أنّكَ في ظلامٍ وَترفعُ للعُـــفاةِ منـــارَ نـــورِ
رُوَيـدَكَ سوفَ توسِـعُني سُروراً إذا عادَ ارتِـــقاؤُكَ للسّريـــر
وسوْف تُحِـــلُّني رُتَبَ المعالي غداةَ تَحُلُّ في تلكَ القُصـــور
تَزيدُ عن ابنِ مـــــروانٍ عطاءً بها ، وَأَنْيَفُ ثَمَّ على جَريـــر
تَأَهَّـــبْ أن تعودَ إلى طُلوعٍ فليس الخسفُ ملـــتزمَ البُدور

3-1-1-2-1- الإشاريات في نص الجواب:

المرجعيّة: النصّ الثاني مرجعه النصّ الأوّل نصّ الابتداء، تعكس بعدا تداوليا هامًّا: هذا النصّ هو نصّ الجواب لنصّ الابتداء السابق، لأنّه من الممكن أن يتأخّر الردّ على الابتداء، فتكون هذه العبارات دالاًّ للمُرسَل إليه فيها. يتعرّف من خلالها أنّ هذه القصيدة هي نصّ جواب.

ويعود الداني لتطبيق عنصر هام من إنجازية رسالة الجواب وضمان تواصليتها، وهو إحالتها على رسالة الابتداء، ويكون بتضمن قرائن بنائية من نص الابتداء كما هي أو إجراء تغيير طفيف يشترط فيه أن يشعر قارىء الرسالتين بأنّ هنالك خيطا رفيعا يجمع بينهما.

في مثال: **وإنْ عَذَرَتْهُ حالاتُ الفقير** – وقوله:

غَنِيُّ النفسِ أنت وإن أحَّت على كَفّيكَ حالاتُ الفقير

وقوله:

إذا عادَ ارتِقاؤُكَ للسّرير تتشابه من حيث البناء مع قول المعتمد في نص الابتداء: **أعالي مُرتَقاهُ ومِن سريرِ**

وقول الداني:

فليْسَ الخَسفُ مُلْتزِمَ البُدور يشبه تركيبيا قول المعتمد: **فليْسَ الخَسفُ مُلتزِمَ البُدور**

الإنجاز الثاني : الردّ على نص الابتداء بنص الجواب، الذي يحمل قيمة تواصلية تعود إلى تقاليد المراسلات في العصر الأندلسي وشيوع التعامل بها، وبالتالي ترسّخ هذا المفهوم في الشعرية الأندلسية محلّ الدراسة.

أمّا من ناحية استعماله للإشاريات الشخصية، فنجده عمل على المزاوجة بين ذكر المتكلّم و المُخاطَب في بداية القصيدة:**سقطتَ، ذرني، لكَ، ضميري، تركتُ هواكَ وهو شقيق ديني**. فالمتكلم يتوجّه للمُخاطَب بالكلام ويُشرِكه فيه،

فيستعمل ضمير المُخاطَب أكثر من استعماله لضمير المتكلّم:**أنتَ، تُصرّف، تسمحُ، رويدكَ، تزيدُ، تأهّب**.

الإشاريات المكانية: يستعمل الداني أسماء الأمكنة وصفاتها، فيستعمل **ظلام** صفة للأسر الذي يعانيه المعتمد.

ويستعمل أماكن أندلسية جمعته بالمعتمد، تمثّلت في: **ارتقاؤك للسرير، القصور**. وهي رموز مُلك بني عبّاد لإشبيلية، وأماكن أليفة بالنسبة للمعتمد الذي سيروقه الحديث عن مجده الغابر. وقد سبقه المعتمد إلى ذكر الارتقاء للسرير، وما يرمز إليه من العودة إلى السلطة والحكم.

الإشاريات الزمانية: ربط ذكرها بذكر الإشاريات المكانية، في قوله: **غداة تحلُّ في تلك القصور**. و"**غداة**" تعود في اشتقاقها إلى الغد؛ من اليوم المترقّب البعيد.[1] فالداني يُخبِر المعتمد بما يحبّ أن يسمعه، فكان عند حسن توقّعاته، فيمنحه الأمل بالعودة إلى قصوره، ولو بعد حين.

3-1-1-2-2- الحجاج في نصّ الجواب:

يستدعي الداني حُججًا تنتمي إلى المشترك، أي ما يعرفه كلٌّ من الداني والمعتمد، فيحتجُّ للوفاء بين الداني والمعتمد باستدعاء شخص هو مثال للوفاء، وهو قصير مولى جذيمة الأبرش،و- وهو من أسلاف المعتمد- . والإشارة إلى الحكاية التي تجمعه مع الزبّاء[2].

فجذيمة الأبرش كان مَلِكا قويا فقتل أبا الزبّاء، التي حاولت الانتقام منه بالحيلة لا بالقوة، فتنبّه قصير لفعلتها لكن جذيمة استشار مستشاريه فاقترحوا عليه الذهاب إلى مملكتها، أين نكّلت به

[1] - ينظر: مجموعة من الباحثين، المعجم الوسيط، ص: 646.

[2] - ينظر: ابن الاثير، الكامل في التاريخ، مج1، ص: 262. وما بعدها.

وقتلته، ثمّ عمل قصير على تشجيع عمرو بن عديّ للثأر لسلَفه المغدور، وبذل أيّما جهد في إنجاح الخطة وإلقاء القبض على الزبّاء وقتلها من طرف عمرو بن عديّ والانتقام لجذيمة. فالداني يعمل على إقامة علاقة المشابهة بينه وبين قصير، ووجه الشّبه هو الوفاء للملك، لكنّ قصيرا بذل الجهد المعروف للانتقام لـمَلِكِه، وكأنّ الداني سيبذل مثل ذلك الجهد في الانتقام للمعتمد، وهنا تظهر إقامة الحجاج على الإيهام. فلا يهمّ الداني تطبيق الفكرة بقدر ما يهمّه وجود فكرة الوفاء عنده تجاه امعتمد.

الصعيد الثاني: هذا الإيجاز هو ما يدفع متلقّي النص الكوني إلى البحث عن علاقة استدعاء الحكاية و ربطها بالسياق الحاليّ.

ويحتجُّ على العطاء الوفير بعطاء الملك الأموي عبد الملك بن مروان للشاعر جرير.

فقد احتجّ بأمرين؛ الوفاء والعطاء.

الاحتجاج بالظواهر الطبيعية: حيث يقوم الداني بالإجابة عن سؤال المعتمد في نص الابتداء، في قول المعتمد: أليس الخسف ملتزم البدور؟ فيجيب الداني: ليس الخسف ملتزم البدور، والجميع يعلمون أنّ الخسوف ما هو إلاّ ظاهرة عابرة على البدر، والقصد من هذه الحجّة هو تشجيع المعتمد وبعث الأمل فيه بالعودة مَلِكًا وإن كان هذا الاحتمال يبقى مستحيلا، ولكنّه يتأسّس على التضامن والمساندة، والوفاء للملك بالوقوف معه في محنته.

3-1-1-2-3- الأفعال الكلامية في نص الجواب :

استعمل التوجيهيات ومنها: الأمر: **ذرني** هو فعل جاء على صيغة الأمر، وخرج غلى غرض فرعي ليشكّل فعلا كلاميّا غير مباشر هو الطلب، والعبارة التالية له عملت على إنقاص القوة الإنجازية: **والذي لك في ضميري.**

استعمال اسم فعل الأمر: **رويدك.**

تأهّب: خرج إلى غرض التحفيز والدعوة إلى بعث القوة في نفسه.

فعل كلامي غير مباشر: **أَعجبُ**

قوام هذا النص هو مجموعة من الإنجازات التي قام بها الداني، ويمكن بسطها فيما يأتي:

إنّ أوّل إنجاز قام به الداني هو ردّ الصّلة ،وهذا لايعني بأنّه لم يقبلها، وإنّما هذا نابع من فهمه للمعنى المضمر والمقصود من نص الابتداء. وهو أنّ الوفاء ليس له علاقة بالعطاء، فهذا الوفاء موطنه الضمير. ويقارن الإنجاز الثالث: تبرير الفعلين الأوّل والثاني.

الحوارية : على عدة مستويات:

المستوى الأول: الأغراض: الشكوى ⟵ المدح

فنصّ الابتداء من غرض الشكوى ونص الجواب من المدح، وهذا ما يجعل هذه الأغراض متتابعة، وهي من بين أهمّ خصائص المراسلات الشعرية.

المستوى الثاني: الحوارية في البناء: قول المعتمد في نص الابتداء:

ولا تعجَبْ لخطْبٍ غَضَّ منه أَلَيْسَ الخَسفُ مُلْتزِمَ البُدور؟

وقول الداني في نص الجواب:

وأَعْجَبُ مِنكَ أنّكَ في ظلامٍ وَترفعُ للعُفاةِ منارَ نورِ

فما يثير تعجّب المعتمد هو الحال التي وصل إليها، أمّا ما يثير تعجّب الداني هو سموّ نفس المعتمد وتفكيرها في الآخرين ، وهو في ظلام السجن.

وفي الأسلوب: بيت المعتمد نهي عن التعجب أسلوب إنشائي.

أمّا بيت الداني فهو أسلوب خبري: **أعجب منك**

طرح سؤال في نص الابتداء: **أليس الخسف ملتزم البدور؟**

والجواب في نص الجواب: **ليس الخسف ملتزم البدور**.

المستوى الثالث : الحوارية في الحجج:

من خلال استعمال أسلوب الشرط الذي يوم على الربط بين قضيتين متلازمتين لا تتحقّق جملة جواب الشرط إلا إذا تحقّقت جملة الشرط:

رُوَيدَكَ سوفَ توسِعُني سُرورًا إذا عادَ ارتِقاؤُكَ للسّرير

استعمال أساليب متلازمة لم يذكر فيها الشرط صراحة، لكنّها تحمل التلازم الذي يُبنى عليه أسلوب الشرط:

وسوْف تُحِلُّني رُتَبَ المعالي غداةَ تَحُلُّ في تلكَ القُصور

3-1-1-3- التحليل التداولي لنص الاستئناف:

فراجعه المعتمد بهذه الأبيات:[من الخفيف]

رَدَّ بِرّي بَغـياً علـــــــيَّ ، وبِرّاً وَجَفا فاستحقَّ لَوماً وشُـــــكرا
عافَ نَزري إذ خافَ تأكيدَ ضَرّي فاستحقَّ الجــفاءَ إذ عاف نزرا
فإذا ما طَـــوَيْتُ في الحمْدِ بعضاً عادَ لَوْمي في البَعضِ سِرّاً وجَهرا
يا أبا بـــكرٍ الغريـــبَ وفـــاءً لا عدِمناك في المـــغارِبِ ذُخرَا
أيُّ نَفعٍ يُجْدي احتياطُ شَفيـــقٍ؟ مُتُّ ضُرًّا ، فكيف أرهَـــبُ ضُرَّأ[1]

تنتمي هذه القصيدة إلى غرض العتاب؛ وهو: "[2]حياة المودّة وشاهد الوفاء، وإذا قلَّ كان داعيه الأُلفة وقيد الصحبة". ننطلق من أن المعتمد لم يكن يعلم أنّ الدّاني سيردّ الصلة، لكنّ تفاجأه بهذا الردّ دفعه إلى الاستئناف الذي يعادل بالمفاهيم التداولية الإنجاز؛ ابتدأه مباشرة بالإخبار بفعل الداني مع غيابه، لأنّ هذا الفعل حاليّا أهمّ من أن يُذكر صاحبه لأنّه فعل نبيل، كما استعمل اسم الداني. في: **يا أبا بكر**. وهذا ليعبّر عن القرب المعنوي بينهما. ووصفه بالغريب، لأنّه ليس في بلاده. ويضيف له صفة أخرى: **شفيق** وهي تدلّ على كثرة شفقة الداني على المعتمد.

وتنتمي مجموعة الأفعال التي غلبت على هذا النص إلى التقريريات. في أفعال ماضية: **ردَّ، جفا، عافَ، خافَ، استحقَّ، عافَ**.

ويمكن تلخيص ما قام به الداني في:

ردّ الصلة التي يمكن أن يحتاجها وهو في غربة.

الوفاء لأسير ليس له ما يمنحه لهذا الغريب.

[1]- ينظر:المعتمد بن عباد: الديوان، ص: 104.

[2] - ينظر: ابن رشيق: العمدة، ج2، ص: 160.

لكنّ المعتمد يفكّر في عطاء آخر لا يُرَدّ؛ وهو الدّعاء: **لا عدمناك في المغارب ذخرا**، ويختتم استئنافه بتساؤل: ماذا سيفيد شعور هذا الشفيق بترك المال عند المعتمد إذ يمكن أن يحتاجه هذا الأسير.

يعقب هذا التساؤل بموته من الضرّ أي ضُرّ الأسر فكيف يرهب ضُرّ الفاقة. وهذا الاستفهام: الذي يخرج عن غرضه الأصليّ طلب السؤال إلى غرض فرعي هو: النفي: **أيُّ نفعٍ؟ كيف أرهبُ؟**. وهذا ما يستفزّ الداني للردّ على الاستئناف بجواب يوضّح فيه موقفه.

3-1-1-4- التحليل التداولي لنص جواب الاستئناف:

يقول الداني[1]:[من الخفيف]

أَيُّها الماجِدُ السَّمَيْذَعُ، عُذْرا صَرفيَ البِرَّ إنَّمـــــا كان بِرَّا
حاش للهِ أن أُجيحَ كريـــــما يتشكَّى فقرا، وكم سَدَّ فــقرا
لا أزيدُ الجفاءَ فيه شُقــــوقا غَدرَ الدَّهرُ بي لَئن رُمتُ غَدرَا
لَيْتَ لي قُوَّةً أو آوي لرُكــنٍ فتَـــــــــرى للوفاءِ مِنِّيَ سِرَّا
أنت علَّمتني السّيادةَ حــتَّى ناهَضتْ هِمَّتي الكَواكِبَ قدرا
رَبِحَتْ صَفقَةٌ أُزيلُ بُـــــرودا عن أديمي بها وألبَـــسُ فَخرا
وكَفاني كلامُكَ الرَّطبُ نَيــلاً كيف ألقى دُرًّا وأطلُبُ تِبـــرَا
لم تَمُتْ، إنَّما المكارِمُ ماتت لا سقى الله الأرض بعدك قطرا

3-1-1-4-1- الإشاريات في نص جواب الاستئناف:

وتتجلّى في التوجّه إلى المخاطب بالكلام وإشراكه في الحوار، باستعمال الإحالة على المخاطب، في حالات مختلفة منها: الانفصال: **أنت**.

الاتّصال: **كفاني، كلامكَ، بعدك**.

[1] – ينظر: ابن اللبانة الداني: ديوانه مجموع شعره، ص: 64.63.

الاستتار: **فترَى، لم تمُت**. وهذا التوجّه إلى المخاطَب المقصود بعينه، يجعل المسافة بين طرفي الخطاب قريبة، اقتضت هذه المشاركة.

الانطلاق من المخاطب وتقديمه باستعمال أسلوب النداء: **أيّها**...

تقديم أوصاف للمعتمد: **الماجد، السّميذع، كريمًا، سدَّ فقرا**.

المرجعية: وجود ذلك الخيط الرفيع الذي يربط بين النصّين، بأن يحتوي النص الثاني على قرائن من النص الأوّل فينبني عليه، ويتأسّس.من مثال ذلك قول المعتمد: **رَدَّ بِرّي بَغياً عليَّ ، وبِرّاً**

وردّ الداني: **صَرفيَ البِرَّ إنَّما كان بِرًّا**

وقول المعتمد: **متُّ ضرًّا فكيف أرهبُ ضُرًّا**؟ وردّ الداني: **لـم تَمُتْ ، إنَّما المكارِمُ ماتت**.

3-1-1-4-2- الحجاج في نص جواب الاستئناف:

نلاحظ استعمال العامل الحجاجي "إنّما"، في قوله:

لم تَمُت إنّما المكارم ماتت لا سقى الله بعدك الأرض قطرا

القول: "**إنّما المكارم ماتت**" **تتناسل** منه مجموعة من الأقوال من قبيل:

ينقطع السخاء: المعتمد هو مصدر السخاء وبموته ينقطع السخاء.

ينقطع الجود: المعتمد أصل الجود وبموته ينقطع الجود.

تنقطع الشجاعة: المعتمد هو مثال الشجاعة وبموته تنقطع الشجاعة.

تنقطع إغاثة اللّهفان: المعتمد هو من كان يغيث اللهفان، وبموته تنقطع هذه المكرُمة.

ويمكن تمثيل هذه المواضع بالمخطط الآتي:

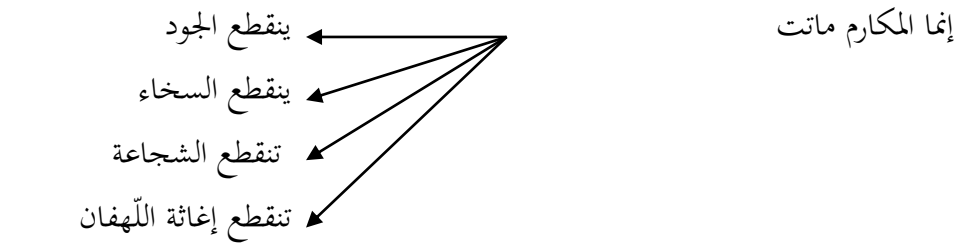

ونجد الداني يستعمل الاقتباس من القرآن الكريم، في قوله: **لَيْتَ لي قُوَّةً أو آوي لرُكــنٍ. هو** اقتباس من قوله تعالى: ﴿ **قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ** ﴾[1]

ويقول محمد الطاهر بن عاشور في تفسير الآية:" لو أنّ لي بكم قوّة: هذا أقصى ما أمكنه في التمني، ليت لي قوة: يريد أنصارا لأنه كان غريبا بينهم"[2] فالداني اقتبس من هذه الآية لما يرى فيها من الملاءمة بين سياقها الحقيقي. والسياق الذي استعارها للتعبير عنه.فهو يرى أنّه الوحيد الذي يساند المعتمد، ولا يوجد غيره ولا يمكنه فعل شيء إلا التمني، وهو أقصى ما عنده.

3-1-1-4-3- الأفعال الكلامية في نص جواب الاستئناف:

الحوارية: عتاب/ اعتذار

الاعتذار: وفيه يذهب الشاعر مذهبا لطيفا، ويقصد مقصدا عجيبا، ليعرف كيف يأخذ بقلب أن يلطّف برهانه مدمجا في التضرّع والدخول تحت العفو"[3]

و"الاعتذار يسل السخائم من القلوب، ويسترلّ الأوغار من الصدور، ويُطلع الأنس وقد غرب"[4].

فالاعتذار يتناسب مع العتاب، لهذا هو يخفف من ألم المعاتِب.

[1] – سورة يونس .55.

[2] – ينظر: محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس،د.ط. 1984.ص: 130.129.

[3] – ينظر: ابن رشيق: العمدة،ج2، ص: 176.

[4] – ينظر: القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج9، ص:166.

1-2- النموذج الثاني: يبدأ الداني المراسلة، والمعتمد يكتفي بالجواب، وفق ما يوضّحه المخطط وهو المرفق أدناه. وسبب إيرادنا لهذه المراسلة، هو التأكيد على تغلغل المراسلات الشعرية في الحياة اليومية الأندلسية.

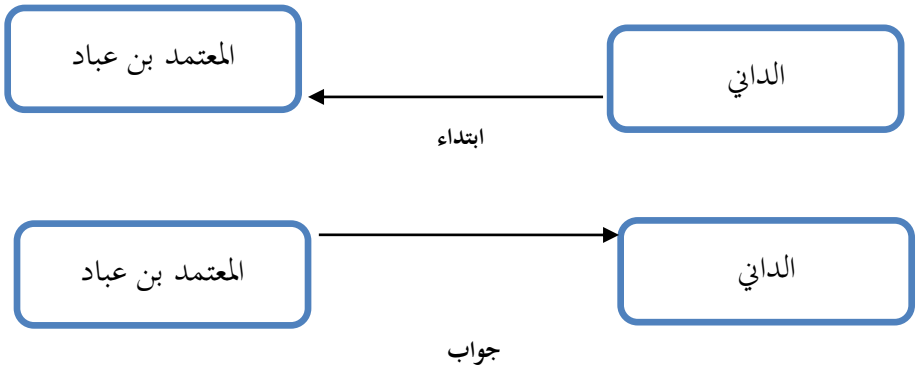

3-1-2-1- التحليل التداولي لنص الابتداء:

يقول الداني[من الطويل][1]:

وَداعٌ ولَكِنّـــــــــــي أقولُ سلامُ وَللنّفسِ في ذِكرِ الوداعِ حِمـامُ
أُخادِعُ نفـــــسًا إن تَحقّقَتِ النَّوى فَلَيسَ لها بَيْنَ الضُّلوعِ مقـــامُ
قد ائْتَـــــــلفتْ أهواؤُها بكَ جُملةً كما ائْتـلفت في وَكرِهنَّ حَمامُ
وشَقَّـــت عن النُّصحِ الـمُبينِ جُيوبُها كما شقّقت عن زهرهنّ كمـامُ
أُكـــرّر لحظي في مُحـــيّاك إنّـــهُ لِنورِ الهـــدى فيه عليك قَسامُ
وَأحـــــمِلُ من تقبيلِ كَفّكَ سُـــؤددا على عـــاتِقِ الجوزاءِ منهُ حُسامُ
أَمُلبِســـــيَ النُّعمى قديمـــا ومِثلَها حَـــديثاً وأَحداثُ الزّمانِ عِظامُ
لَأَجْلَسْتَني حتّى اتّكـــــأْتُ ولمْ يزَلْ يُدِلُّ على الـمَولى الكريمِ غُلامُ
عَسى عند حَملِ العيسِ رَحْلِيَ في غَدٍ يُهيَّـــأُ مِن زادي لَديـــكَ طَعامُ

[1] – ينظر: ابن اللبانة الداني: ديوانه مجموع شعره، ص:130، 131.

وَمَيْلي إلى الطّـــاهي وطِـــيبِ إرادةٍ لِيَثْبُتَ لي في وَصـف ذاك كلامُ
وكيفَ أزيدُ الوصــفَ صُحفَ محاسنٍ سَهِرتُ لها والعالَـــــمونَ نِيام

موضوع نص الابتداء: وداع الداني للمعتمد بن عبّاد، وطلبه تهيئة زاد السّفر من بيت المعتمد أنام ملء جفوني عن شواردها

3-1-2-2- التحليل التداولي لنص الجواب:

فأجابه المعتمد بقوله[من الطويل][1]:

كَلامُــكَ حُرٌّ والكلامُ غُـــلامُ وَسِحرٌ ولكـــن ليسَ فيه حرامُ
وَدُرٌّ ولكن بين جنبَيْـــكَ بَحرُهُ وزَهرٌ ولكـــــــنَّ الفُؤادَ كمامُ
وَبَـــــعدُ فإن ودَّعتني بِخداعةٍ فَحقّي أن يجني عـــليه سلامُ
أُعَنّي على نفسي بتـزويد أسهُلي بلى وقـــولِ لاشَيْءٌ عَلَيَّ حرامُ
فَدونَكَهُ إذْ لـــم أجِدْ لِيَ حيلةً وقَلبِيَ فاعـــلَمْ في الطّعامِ طَعامُ
فَهُنّئْتَهُ زادًا وفي الصّـدرِ وَقْـــدةٌ وَللصَّبرِ مِن دونِ الفُـــؤادِ غرامُ
لَقد كانَ فَأْلٌ مِن سمائِكَ مُؤنِـسٌ فَقد عـــادَ ضِدًّا والعــزاءُ رِمامُ
تَحَلَّيْتَ بالـــدّاني ، وأنت مُباعِدٌ فيا طيـــبَ بَدءٍ لَو تـــــلاهُ تَمامُ
وَيا عَجَبٌ حقّي السِّماتُ تَخونُني وَحقّي انتباهي للصَّـــــــديقِ منامُ
أَضاءَ لنـــــا أغماتَ قُربُكَ بُرهةً وعادَ بها حينَ ارتَحلـــــْتَ ظلامُ
تَسيرُ إلى أرضٍ بهـــا كُنتَ مُضغةً وفيها اكتست باللَّحمِ منكَ عِظامُ
وَأبقى أُسامُ الذُّلَّ فـــي أرضِ غُربةٍ وما كُنتُ لولا الغـــدرُ ذاكَ أُسامُ
فَبُلِّغتَها في ظـــــلِّ أمنٍ وغِبطَةٍ وَسُنِّـــيَ لـــي مِمّا يعوقُ سَـــلامُ

موضوع نص رسالة الجواب: قبول الطلب

[1] – ينظر: المعتمد بن عباد: الديوان، ص: 113.

الإشاريات في نصّ الابتداء:

الإشاريات الشخصية:

المخاطَب مقيم في المكان الذي يزوره الداني.

وهذا المخاطب أسمى قدرا من الداني.إضافة إلى أنّه صاحب فضل على الداني. والعلاقة بينهماكعلاقة المتنبّي بسيف الدولة. إضافة إلى استعمال اللقب في اشتراك لفظي :**الداني ـــ مباعد.**

المرجعية: وجود ذلك الخيط الرفيع الدي يربط النصين من الملفوظات والعبارات؛ من مثل قول الداني:

وشَقَّت عن النُّصحِ الـــــمُبينِ جُيوبُها كما شقّقت عن زهرهنّ كمامُ

الذي يردّ عليه المعتمد:

وَدُرٌّ ولكن بين جنبَيْكَ بَحرُهُ وزَهرٌ ولكِنَّ الفُؤادَ كمامُ

وقول الداني:

لأجلَستَني حتّى اتّكأْتُ ولم يزلْ يُدِلُّ على المولى الكريم غلامُ

يردّ عليه المعتمد:

كَلامُــكَ حُرٌّ والكلامُ غُـــلامُ وَسِحرٌ ولكـــن ليسَ فيه حرامُ

وقول الداني:

أُخادعُ نفـــــــسًا إن تَحقّقَتِ النَّوى فَلَيسَ لها بَيْنَ الضُّلوعِ مقـــامُ

يردّ عليه المعتمد:

وَبَـــــعدُ فإن ودَّعتني بِخداعةٍ فَحقّي أن يجني عـــــليه سلامُ

الحجاج: يتمثل في إحدى صوره في استعمال الرابط الحجاجي " حتّى"

ن: مرور وقت الأنس بسرعة

ق2 – انتباهي للصديق منام

حتى

ق1 – السمات تخونني

ويبدأ فيه من حجتين

الحجة1: السمات تخونني

الحجّة2: انتباهي للصديق منام

ليصل إلى نتيجة مفادها : مرور وقت الأنس بسرعة، وهذا باستغلال المعنى الذي تحمله حتّى العاطفة، والذي يحمل التساوق الحجاجي.

نلاحظ من هذا النموذج أنّ المراسلات الشعرية تغلغلت إلى صميم الحياة اليومية، كطلب الزاد والقبول من الطرف الثاني. هذه المعاملة التي تثبت مجدّدا أنّ شعور الـمَلِك لم يفارق المعتمد بن عبّاد في أسره.

3-2- المراسلات الشعرية بين المعتمد بن عبّاد وابن حمديس الصقلّي:

هو أبو محمد عبد الجبّار ان أبي بكر بن محمد ابن حمديس الأزدي ولد بصقلية سنة 446هـ، نشأ فيها وفيها قضى شبابه، تنقّل بين إفريقية، وإشبيلية، ثمّ عاد إلى افريقية فالتحق ببني حمّاد والزّيريّين، توفّي عام 527هـ.[1] وكان ابن حمديس شديد الأسى على المعتمد بن عبّاد، لأنّ هذا الأمير قد رفع منزلته وأدناه منه[2].وكان ابن حمديس شديد الأسى على المعتمد، لأنّ هذا الأمير قد رفع منزلته وأدناه منه[3]. حتّى إذا تأخّر التحاقه ببلاط المعتمد سنة 471هـ[4] .

تتمثل المراسلات بين المعتمد وابن حمديس في نموذجين، يبدأ المعتمد فيهما المراسلة؛ وتتكوّن كل مراسلة منهما من ابتداء وجوابه. كما هو مبيّن في المخطّط الآتي:

3-2-1- النموذج الأوّل:

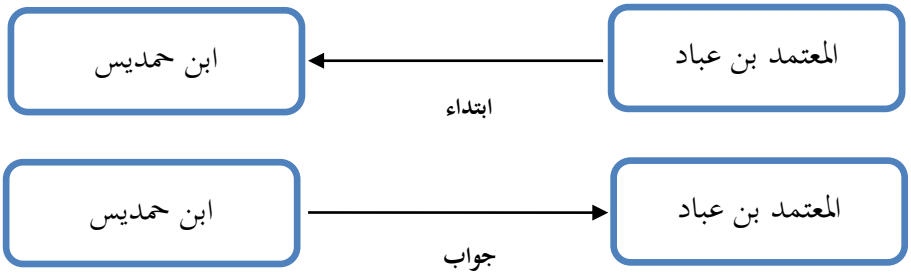

3-2-1-1- التحليل التداولي لنص الابتداء:

كان ابن حمديس قد مضى لزيارة المعتمد بأغمات، فصرفه بعض خدمه بأنّه لا يوجد في ذلك الوقت، فرجع عبد الجبّار إلى منزله، فأُخبِر المعتمد بمجيئه ورجوعه، فعزَّ عليه ذلك، وعنَّف خدَمَه.

---

[1] – ينظر: ابن حمديس الصقلّي : ديوان ابن حمديس، ص: 5،6،7.

[2]– ينظر: سعد إسماعيل شلبي :البيئة الأندلسية، ص:335.

[3]– ينظر: المرجع نفسه ، ص:نفسها.

[4] – ينظر: ليفي بروفنسال : الحضارة العربية في إسبانيا، تر: الطاهر أحمد مكي، دار المعارف، القاهرة، ط3، 1994.:ص: 192.

وكتب إليه بالغداة بهذا الشعر يعتذر إليه[1]:[من الطويل]

حُجِبتَ، فَلا واللهِ ما ذاك عن أمْري فَأَصْغِ فَدتْكَ النّفسُ سمعًا إلى عُذري
فما صارَ إخلالُ الـمكـارِمِ لي هَوًى ولا دارَ إخْجـالٌ لِمِثْلكَ في صَدري
ولكِنَّهُ لـمّا أحالت مـحاسِني يدُ الدَّهرِ ـ شُلّت عنكَ دأبا يَدُ الدّهرِ
عَدمـتُ مِن الخُدّامِ كُلَّ مُهـذَّبٍ أُشيرُ إلَيهِ بالخـفيّ من الأمـرِ
ولم يبقَ إلاّ كُـلُّ أدكنَ ألكَنٍ[2] فلا آذِنٌ في الإذنِ يبـرأُ مِن عَـرّ
حِمارٌ إذا يـمـشي ، ونَسرٌ مُحلِّقٌ إذا طـارَ ، بُـعدًا للحِمارِ وللنّـسرِ
ولَيْسَ بـمُحتاجٍ أتانًا حِـمارُهم ولا نَسرُهُم مِـمَّن يَـحِنُّ إلى وَكـرِ
وهل كُنتَ إلاّ البارِدَ العذبَ إنّما به يَشتَفي الظّمـآنُ مِن غُلـةِّ الصَّدرِ
ولَو كُنتُ مِـمّن يشرَبُ الخمرَ كُنتَها إذا نَزَعت نفسي إلى لذَّةِ الخَمـر
وأنتَ ابنُ حمديسَ الذي كُنتَ مُهدِيًا لنا السـحرَ، إن لم نأْتِ في زمن السّحرِ

3-2-1-1-1- الإشاريات في نص الابتداء:

هويّة المتكلّم:

في رسالة الابتداء نلاحظ أنّ "المعتمد" استعمل ضمير المتكلم في حالة الاتّصال، نحو: **أمري، عذري، لي، صدري، محاسني**. ومتصلا بالفعل آخذا دور الفاعلية: **عدمتُ، أُشيرُ**. ونلاحظ أنّ هذا الاستعمال بين إلحاق الضمير بالأسماء، الذي يدلّ على الملكية والقدرة على إصدار الأوامر والوجود في موقع السلطة. واتّصاله بالأفعال الماضية أو المضارعة ليشكّل تعاقبا كرونولوجيا في: **عدمتُ ـــــ أُشيرُ**، فانعدام الخُدّام الحذقين يمنعه من الإشارة بالأمر الخفيّ.

هويّة المخاطَب:

يأخذ المخاطَب في المراسلات الشعرية موقعا هامّا، لأنّه مسؤول عن الجنس الأدبي ، فالنصّ الأوّل لايسمّى نصّ ابتداء، إلاّ إذا تُوّجت بنصّ الجواب ليتمّ به التحديد الأجناسي ؛ الذي يُخرج

[1] – ينظر: المعتمد بن عباد: الديوان،ص:101،102.

[2] – ألكن: من اللّكنة: وهي عُجمة في اللسان وعِيّ، يُقال: رجل ألكن: بيّنُ اللكنة. ينظر: ابن منظور: لسان العرب، مج13، مادة (لكن) ، ص: 390.

القصيدة من كونها قصيدة عادية إلى جزء من مراسلة شعرية. ولا يكون هذا ممكنا إلاّ إذا اقتنع المخاطب بكتابة جواب لنص الابتداء، محقّقا بذلك مبدأ الحوارية. ويخضع كلّ هذا لشروط أوّلية تتمثّل في:

كتابة نصّ الابتداء على صيغة رسالة في ورق وإرساله. بغضّ النظر عن القرب أو البُعد المكاني. وهي بمثابة ظروف مُعَدّة لإنجاز المراسل

وجود مُحفّزات الإنجاز، وهي ملفوظات مفصليّة في النص تتركّز خاصّة في الاستهلال، وتوفّر الصيغة الحوارية، إذ إنّ الـمُخاطَب موجود في ذهن الشاعر الـمُرسِل.حتّى قبل كتابة النص.أمّا في متن النص يتراءى لنا ما يأتي:

استهلال نص الابتداء بصيغة حوارية تمثّلت في:

حُجِبتَ / أمري أَصْغِ – فَدَتك/ عُذري. فمن البيت الأوّل تظهر أطراف العملية التواصلية.

ومن ناحية أخرى

الـمُخاطَب في نص الابتداء له حضور عينيّ أو ذهنيّ، لأنّه يشارك بطريقة غير مباشرة في توجيه الـمُرسِل عند اختياره لأدواته اللغوية وصياغة خطابه. فالمتكلّم عند تلفّظه بأيّ خطاب – وإن كان يُنصّب نفسه على رأس العمليّة التواصلية– فإنّه لابدّ وأن يتوجّه بخطابه إلى مُخاطَب قد يكون حقيقيّا أو مُتخيّلا أو كونيّا.

ولكِنَّهُ لـمّا أحالت مـــــــحاسِني يدُ الدَّهرِ ـ شُلّت عنكَ دأبا يَدُ الدّهرِ

فالـمُخاطَب مُحدَّد مُعيّن: كُتِبت له رسالة الابتداء بالاسم.تمَّ تحديده في ضمير منفصل للـمُخاطَب "**أنتَ**" وبذكر اسمه صراحة " **ابن حمديس**" ، وهذا هو التوجيه والقصد. وإضافة إلى وجود هذا التحديد، فنجد استعمال الضمائر الدالة على الـمُخاطَب. ويتحدّد قصد التوجّه من خلال استعمال الاسم، فقوله: **وأنت ابن حمديس**. يستلزم ضمنيا أنّ كليهما شاعر.

الإنجازية: وهي الدعوة صراحة للردّ على نصّ الابتداء، بتذكير ابن حمديس بالقصائد التي كان يمدحه بها في عِزّ مُلكه، وكأنّه كان يهديه السّحر. وهو اقتباس من الحديث الشريف: "إنّ من البيان لسحرا" .

وأنتَ ابنُ حمديسَ الذي كُنتَ مُهدِيًا لنا الســحرَ، إن لم نأْتِ في زمن السّحرِ

3-2-1-1-2- الحجاج في نص الابتداء:

وذلك باستعمال الرابط الحجاجي "لكن" ، الذي يربط بين حجّتين متعارضتين، وهي تعبّر عن التعارض الحجاجي، وينتهي بنتيجة من الحجّة الثانية، ففي قوله:

فما صارَ إخلالُ الـمكـارِمِ لي هَوًى ولا دارَ إخْجـالٌ لِمِثْلكَ في صَدري

ولكِنَّهُ لـمّا أحالت مـحاسِني يدُ الدَّهرِ ـ شُلّت عنكَ دأبا يَدُ الدّهرِ

ينطلق المعتمد من حجّتين:

الحجّة الأولى: ما صار إخلال المكارم ولا إخجال لمثل ابن حمديس له هوى.

الحجّة الثانية:لـمّا أحالت محاسنه يد الدهر أصبح لا يتحكّم في حياته.

ليصل إلى نتيجة مفادها تغيّر الحال بالمعتمد. حسب ما هو موضّح في السّلّم الحجاجي التالي:

ن: أحالت محاسنه يد الدهر

ق2 – صار يخجل ويخل

لكن

ق1 – ما صار إخجال ولا إخلال

الحجاج بالمشترك: بذكر الحمار والنسر. وهي حيوانات شهد لها العرف العربي بالسلبية؛ وقد أورد الجاحظ في كتابه الحيوان قوله:" والحمار اجهل الخلق"[1]

وأورد عن النسر قوله:" النسور هي المنسوبة إلى قلّة المعرفة والكيس والفطنة"[2]

والنسر؛ " إذا سقط على الجيفة وتملّأ، لم يستطع الطيران (...) فكلّ من صادفه وقد بطن وتملّأ، ضربه إن شاء بعصا، وإن شاء بحجر، حتى ربما اصطاده الضعيف من الناس".[1] كما أورد سوء اعتنائه بفراخه بسبب حمقه.[2]

[1] – ينظر: الجاحظ: الحيوان، ج2، ص: 258.

[2] – ينظر: المرجع نفسه ، ج7، ص: 24.

3-2-1-1-3- الأفعال الكلامية في نص الابتداء:

الفعل الكلامي الكلّي هو الاعتذار:

ويتكوّن هذا الفعل من مجموعة من الأمر وهو من التوجيهيات، في: **أصْغِ، سمعًا**.

وقد خرجت من الدلالة على الأمر الصريح، إلى غرض فرعي هو الطلب.

بالإضافة إلى أفعال تقريرية إخبارية وصفية، لوصف الخدّام: **ألكن، أدكن، لا يبرأ من عَرّ**.

ليصل بها إلى تبيان قيمة ابن حمديس عند المعتمد في الماضي وفي الحاضر.

3-2-1-2- التحليل التداولي لنص الجواب:

وقام بالرد إليه قائلا[من الطويل][3]:

أمثلُكَ مولىَ يبسط العبدَ بالعذرِ بغيرِ انقباضٍ منك يَجْري إلى ذكـر
لَهَدّ قريضَ الفضلِ ما هدّ من قوى وَحَلّ به ما حلّ من عُقْدةِ الصّبـــر
وإنّي امْرؤ في خَجْـلَةٍ مُسْتَمِـرّةٍ يذوبُ لها في الماءِ جامدةُ الصّـخْر
أتتني قوافيكَ التي جَلّ قَـدرُها بما نقطةٌ منهنّ مُغْـرِقَةٌ بَـحْري
لـعلّك إذا أغنيتني منك بالنّدى أردتَ الغـنى لي من مديحك بالفَخْرِ
وَطَبعُـكَ تِبرٌ سحّر الفضلُ محْضَهُ وحاشـا له أن يستحيلَ معَ الدهـرِ
لعمريَ إني ما توهـمْتُ ريـبةً فتدفعَ وَجْهَ العُرْفِ عـندك بالنُـكْرِ
وكـنت أملُّ الجودَ منك وأنت لا تَـمَلّ عَطاءً منه يأتي على الـوَفْر
فكيف أظنّ الظنّ غير مُبَـرّإٍ ـ تواضَعَ تَهياً كوكبُ الجوّ عن قدري ـ
يخفّ على خُدّام مُلْكِك جانبي كما خَفّ هُدْبٌ في العيون على شفر
إذا طارَ منهم بالوصيّة سَـوذَقٌ فذلك في إفصـاحِ منطقه القمـري
تُحدّثُ عيني عينَهُ بالّذي يـرَب وَجهكَ لي من حُسنِ مائيّة البِشـر

---

[1] – ينظر: المرجع السابق ، ج6، ص: 333.

[2] – ينظر: المرجع نفسه، ج7، ص: 24.

[3] – ينظر: ابن حمديس: ديوان ابن حمديس، ص: 262،261.

لياليَ لا أشْدوكَ إلّا مُطـــــــوَّقا بنعماكَ في أفنانِ روْضــاتِكَ الخضــر
وما زالَ صَوْبٌ من نداكَ يَبُلُّــني ويثـــــقلني حتى عَجَزْتُ عن الوكــر
بكــيتُ زماناً كان لي بك ضاحكاً وَكسرُ جنـــــاحي كان عندك ذا جَـبْر
وأطرَقْتُ لــمّا حالت الحالُ حَيْـرَةٌ تَحيّرَ منها عالَمُ النـفسِ في صــدري
فَخُذْها كما أدري وإنْ كُلُّ خاطري وإن لم يــكن منها البديع الذي تدري

3-2-1-2-1- الإشاريات في نص الجواب:

إنّ الجوّ اللغوي الذي يوفّره ابن حمديس، يتأسّس على احترام الــمَلك، بملفوظات تدلّ على وجود تراتبية احترمها الشاعر في مراسلته مع المعتمد: فهو يستغرب اعتذار الملك لشاعرٍ في بلاطه، وهذا ما أدّى إلى خجله منه، رغم فرحه بالقصيدة في قوله:

أتتني قوافيكَ التي جَلّ قَـــــدرُها بما نقطةٌ منهنّ مُغْـــــــرِقَةٌ بَـــحْري

فابن حمديس يعلن وصول رسالة المعتمد إليه، ويحمل معنى ضمنيّا بأنّ هذه القصيدة هي ردٌّ وجواب لقصيدة الابتداء. ويضع متلقّيه المقصود في سياق انتظار الردّ.

وفيها يبدأ بمدح القصيدة ووصفها بــ: الندى، التبر.

وأنّه لم يتوهّم من صرف خُدّام " المعتمد " له ريبة لتدفع المعتمد للاعتذار بهذا الشكل. ويُذكّره بأعماله الغابرة عندما كان يجود عليه.

المرجعية وتوليد المعاني:

إنّ التواصل الذي نروم البحث عنه في المراسلات، لا يمكن أن يتجاوز الملفوظ، ومنه فقط نستجلي مفهومين الأوّل هو أنّ نصّ الجواب يستدعي لدى بنائه مقاطع من نصّ الابتداء؛ نحو قول ابن حمديس:

أمثلُكَ مولىَ يبسط العبدَ بالعـذرِ بغيرِ انقباضٍ منك يَجْري إلى ذكــر

وقوله:

فكيف أظنّ الظنّ غير مُبَــرّإٍ ــ تواضَعَ تيهاً كوكبُ الجوّ عن قدري ــ

ردّ على قول المعتمد:

حُجِبتَ، فَلا واللهِ ما ذاك عن أمْري فَأَصْغِ فَدتْكَ النّفسُ سمعًا إلى عُذري

وقوله:

يخفّ على خُدّام مُلْكِك جانبي كما خَفّ هُدْبٌ في العيون على شفر
إذا طارَ منهم بالوصيّة سَـــوذَقٌ فذلك في إفصـــاحِ منطقه القمــري
تُحدّثُ عيني عينَهُ بالّذي يــرَب وَجهكَ لي من حُسنِ مائيّة البِشـــــر

هو ردّ على قول المعتمد:

عَدمـــتُ مِن الخُدّامِ كُلَّ مُهــذَّبٍ أُشيرُ إلَيهِ بالخـــفيّ من الأمـــــــرِ
ولم يبقَ إلاّ كُـــــــلُّ أدكنَ ألكَنٍ[1] فلا آذِنٌ في الإذنِ يبـــــرأُ مِن عَـــرّ
حِمارٌ إذا يـــمشي ، ونَسرٌ مُحلِّقٌ إذا طـــارَ ، بُـــعدًا للحِمارِ وللنَّـــسرِ
ولَيْسَ بـمُحتاجٍ أتانًا حِـــمارُهم ولا نَسرُهُم مِـمَّن يَـحِنُّ إلى وَكـــــــرِ

الحضور اللغوي للمتخاطبين في الخطاب الثاني:

استعمل ابن حمديس صفات ليدلّ بها على نفسه: **العبد، إنّي امرؤٌ**، كما استعمل الضمائر الدالة على المتكلّم: **إنّي ما توهّمتُ، كنتُ، أمَلُّ، أظنُّ، بَكيتُ، أطرقتُ**.

تتحدّد هوية المتكلم من خلال الإشاريات التي تُعدّ لصيقة بأيّ خطاب، ولا سيما الخطابات التي تتّسم بالتحديد؛ ومن هذه العناصر الإشارية تلك التي تبيّن الرتبة، وكأنّ الخطاب ينتقل بطريقة تراتبية. في مثل: **مولى، عبد** .فابن حمديس يضع نفسه دون المعتمد، شاعرا في بلاطه كما كان.

هويّة المُخاطَب: يصفه بـ: **المولى**، وينسب إليه: **القريض، أتتني قوافيك، أنت لاتملُّ عطاء، خُدّام مُلكك، نعماكَ، نَداكَ، كسر زماني كانَ عندكَ ذا جبرِ**.إنّ كلّ هذه الأوصاف تدلّ على المعتمد بن عبّاد المَلِك، التضامن مع المَلِك بذكر الأمور التي تُسعده، والابتعاد عن ذكر ما يُعكّر مزاجه. التذكير بأنّ المعتمد شاعر.

[1] – ألكن: من اللّكنة: وهي عُجمة في اللسان وعِيّ، يُقال: رجل ألكن: بيّنُ اللكنة. ينظر: ابن منظور: لسان العرب، مج13، مادة (لكن) ، ص: 390.

3-2-1-2-2- الحجاج في نص الجواب:

استعمال التشبيه:في:

يخفّ على خُدّام مُلْكِك جانبي كما خَفّ هُدْبٌ في العيون على شفر

ليعبّر به عن عدم انزعاجه من تصرّفات الخدّام، بتشبيههم بالعين، والشفر.

استعمال الحجاج بالمشترك:

السوذق: هو الصقر والشاهين[1]، وهو ممّا يقبل الأدب من الحيوان.[2] والصقر عربيّ، وهو من جوارح الملوك ، وهو من الحيوان الذي يدرّب ويستجيب؛ ويشبّه الجاحظ العقعق بالصقر؛ في قوله: " ومن الحيوان الذي يدرّب ويستجيب وينصح العقعق، فإنّه يستجيب ويكيس من حيث تستجيب الصقور، فيزجر فيعرف ما يراد منه، ويخبأ الحلي عنه فيصاح به، فيمضي حتى يقف بصاحبه على المكان الذي خبّأه فيه"[3].

القمري: حمام[4]. وهو ممّا يطرب بصوته ويشجى بلحنه[5]،وهي التي يشهد لها الضمير الجمعي بالحِذق. والفهم

وهو يقابل بين هذه الشخوص والشخوص التي وظّفها المعتمد في قصيدته.وهي الحمار والنسر.

استعمال الرابط الحجاجي "حتّى" الذي استغلّه في معنى التساوق الحجاجي؛ أي الإتيان بحجج عديدة للوصول إلى نتيجة واحدة. في قوله:

وما زالَ صَوْبٌ من نداكَ يَبُلُّــني ويثـــــقلني حتى عَجَزْتُ عن الوكــر

حيث تربط حتى بين حجّتين:

الحجّة الأولى: مازال صوب من نداكَ يبلّني.

الحجّة الثانية: عجزتُ عن الوكر.

ليصل إلى نتيجة ضمنية: كثرة أفضال المعتمد على ابن حمديس.

---

[1] – ينظر: مجموعة من الباحثين: المعجم الوسيط، ص: 460.

[2] – ينظر: الجاحظ: الحيوان، ج4، ص: 47.

[3] – ينظر: المرجع نفسه ، ج6، ص: 478.

[4] – ينظر: المرجع نفسه ، ج3، ص: 146.

[5] – ينظر: المرجع نفسه، ج1، ص: 194.

ويمكن توضيح ذلك بالسلّم الحجاجي الآتي:

ن: كثرة فضائل المعتمد

ق2 – عجزت عن الوكر

حتى

ق1 – مازال صوب من نداك يبلني

3-2-1-2-3- الأفعال الكلامية في نص الجواب:

1-الحوارية:

تتجلّى الحوارية من خلال التعاقب الذي يأتي بين الأغراض الشعرية؛ فنص الابتداء هو نص اعتذار، الذي أظهره السياق الذي ورد فيه التلفّظ، وهو الاعتذار عن صرف خُدّام المعتمد لابن حمديس عندما قدِم لزيارته.

أمّا نص الجواب فهو مدح، بأنّ هذا الصرف لن يؤثّر على العلاقة الطيّبة والمستمرّة بين ابن حمديس ومَلِكه.

وظّف التوجيهيات؛ وهي:

الاستفهام : الذي يخرج عن غرضه الأصلي، وهو الاستعلام إلى غرض مستفاد من السياق، وهو النفي في: **أَمِثْلكَ؟ كيف أظنّ الظنّ؟**.

الأمر: الذي يعبّر عن الإنجازية، وقد كان دليلا عى إنجاز الجواب على قصيدة الابتداء؛ في قوله: **خُذها**.

تقريريات تساند موضوع المدح: وهي في وصف وصول رسالة المعتمد: **أتتني قوافيكَ**.

وصف حال المعتمد في الماضي.

3-2-2- النموذج الثاني:

النموذج الثاني:

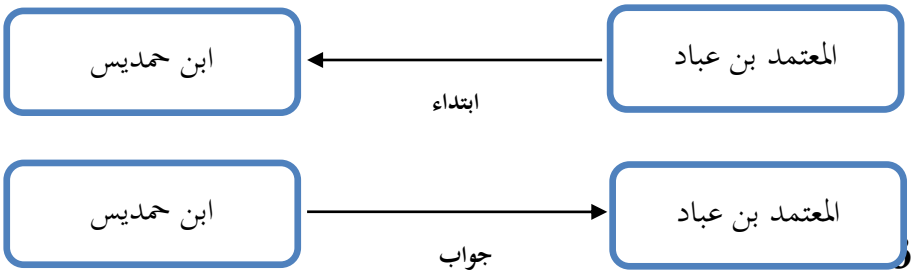

وقال وهو أسير يأسى على قصوره، وكتب بها إلى ابن حمديس،[1]:[من الطويل]

غَريبٌ بـأرض المـغربين أسيـــــرُ سَيبكي عـليه مـــــنبرٌ وسريرُ
وتَنـــــدُبُهُ البِيضُ الصَّوارِمُ والقَـنا وينـهَلُّ دمعٌ بَينهُنَّ غَـــــزيرُ
سَيبـكيه في زاهيهِ والزّاهِرِ النَّـــدى وطُلاّبُهُ ، والعُـرفُ ثـــمَّ نكيرُ
إذا قيلَ في أغماتَ قد ماتَ جودُهُ فما يُرتجى للجودِ بـعدُ نُشورُ
مضى زمـــنٌ والـمُلكُ مُستأنِسٌ به وأصبَحَ عنهُ اليومَ وهـــو نَفورُ
بِرأيٍ مِـــــن الدَّهرِ المضلِّل فاسدٍ متى صلَحت للصّالحين دُهورُ
أذلَّ بني ماء السّماء زمـــــانُهم وذُلُّ بني مـــــاء السّماءِ كثيرُ
فما ماؤها إلاّ بُكـــــــاء عليهمُ يفيـــضُ على الأكبادِ منهُ بُحورُ
فيا لَيتَ شِعري هـــــل أبيتَنَّ ليْلةً أمامي وخلفي روضةٌ وغَديـــرُ
بِـمُنبِتةِ الزيتون مَوروثـــــــةِ العُلا تُغنّي قِيانٌ أوتَرِنُّ طُـــــــيورُ
بِزاهِرِها السّامي الذّرا جـادَهُ الحَيا تُشيرُ الثُّـــــــريّا نحونا ونُشيرُ
ويلحظُنا الزّاهي وســـــعدٌ سعودُهُ غَيـورَين والصَّبُّ الـمُحبُّ غَيورُ
تُراهُ عـــــــــسيرًا أم يسيرًا منالُهُ ألا كُـــــلُّ ما شاءَ الإلهُ يَسيرُ
قضى اللهُ في حِمصَ الحِمامَ وبُعثِرتْ هنالك مـــــنّا للـــنّشور قبور

[1] – ينظر: المعتمد بن عباد: الديوان، ص: 98، 99.

3-2-2-1-1- الإشاريات في نص الابتداء:

يُجري المعتمد الخطاب على ضمير الغائب لبيان هول ما حلّ به، وتأثّر مظاهر مُلكه بذلك. ويصف نفسه بصفات: **غريب، أسير**.

ويزخر نصّ الابتداء الذي أنشأه المعتمد بالإشاريات المكانية، والتي تتمثّل تحديدا في أسماء الأمكنة؛ وهي: **الـمَغرِبَيْن، أغمات، حمص**. وفي أسماء رموز الـمُلك والسيادة: **منبر، سرير، البيض الصوارم، القنا، الزّاهي، الزّاهر، روضة، غدير، مُنبِتة الزيتون، قِيان، طيور، سعد السعود**.

ويدلّ ترتيب الإشاريات المكانية المتمثّلة في أسماء الأماكن على الانتقال إلى المغرب وأغمات بعد أن كان بالأندلس، وقد نسب الغربة وحال الأسر إلى المغرب وهي أوصاف تدلّ على أنّ هذا المكان مُعادٍ، وحتى ذكره **لحمص** وهو الاسم المشرقيّ **لإشبيلية**[1]، يدلّ على أنّ إشبيلية مكان ليس بالذي يبعث السعادة في نفس المعتمد، فقد قَرَنها بالحِمام ونشور القبور، وهذا للتعبير عن هول انتزاع مُلكِه منه. وكأنّه لا يتذكّر من عاصمة مملكته إلاّ هذه التجربة المريرة، والتي يبدو أنّها هي التي عَلِقت بذاكرته وتذكّرها بها. فالمعتمد لم يَحتفِ بالمكان العامّ وهو إشبيلية، وإنّما احتفى بتفاصيل المكان التي كانت من مظاهر سيادة بني عبّاد على إشبيلية.

فالمعتمد يتمنّى أن يبيت ليلة واحدة في قصوره، هذا الحلم الذي يراوده ينطلق إليه وهو مقيّد لا يبارح مكانه، وما هي إلا رغبة في التحرّر انتابته، وحدّث بها شاعره. وكأنّه لم يُرد أن يعرف غير ابن حمديس رغبته في الحرّية، ومن سجنه الموحش يختار أن يهرب بالخيال والحنين، ويصف الفتح بن خاقان الحصن الزاهر. فيقول:"وكان الحصن الزاهر من أجمل المواضع وأبهاها، وأحبّها إليه وأشهاها، لإطلاله على النهر، وإشرافه على القصر، وجماله في العيون، واشتماله بالشجر والزيتون (...) وكان كثيرا ما يدير به راحه، ويجعل فيه انشراحه، فلمّا امتدّ الزمان إليه بعدوانه، وسدّ عليه أبواب سُلوانه، لم يَحِنَّ إلاّ إليه، ولم يتمنَّ الحلول إلاّ لديه."[2].

[1] – ينظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، مج1،ص: 195 .

[2] – ينظر: الفتح بن خاقان: قلائد العقيان ومحاسن الأعيان، ص: 94.

3-2-2-1-2- الحجاج في نص الابتداء:

نجده يستعمل الحجاج بالأصل اللّخمي؛ في قوله:

أذلَّ بني ماء السّماء زمـــــــانُهم وذُلُّ بني مـــــاء السّماءِ كثيرُ

وهو يحيل على المآسي التي انتهت بها حياة أسلافه من ملوك لخم.

كما نجده في الحجاج يستعمل العمل الحجاجي: ما...إلاّ؛ وهو عامل حجاجي يوجّه القول نحو وجهة واحدة، وهي النتيجة التي يقصدها المتكلّم لا غيرُها. وفق مسارات تعدّ هي المواضع أي المعاني المشتركة التي يتّفق عليها جمهور المتلقّين، ففي قوله:

فما ماؤها إلاّ بُكـــــــــاء عليهمُ يفيـــضُ على الأكبادِ منهُ بُحورُ

نقوم باستخراج المواضع الممكنة، وتحديد ما هو مقبول منها حجاجيا، وما هو فاسد. وهي كما يلي:

القول: ما ماؤها إلاّ بكاء عليهم، يروم الشاعر أن يوصلنا إلى نتيجة ضمنية مفادها: تذكّر مأساة بني ماء السماء كلّما هطل المطر. نستنتج منه أربعة مواضع؛ واحد منها فقط مقبول حجاجيا:

الموضع (1) : ماؤها بكاء عليهم (+ +)

الموضع (2) :ماؤها ليس بكاء عليهم (+ -)

الموضع (3): ليس ماؤها بكاء علهم (- +)

الموضع (4) : شيء آخر غير مائها ليس بكاءً عليهم (- -)

نلاحظ أنّ الموضع (2): الموضع صحيح لكنّه لا يؤدّي إلى النتيجة، لذلك فهو فاسد حجاجيا، ومعنى الموضع أنّ ماء السماء ظاهرة طبيعية بحتة.

الموضع (3) : صحيح لكن لا يؤدّي إلى النتيجة المقصودة، فهو فاسد حجاجيا، ومعناه: الدموع هي التي تصلح أن تكون بكاءً على بني ماء السماء.

الموضع (4): غير صحيح لأنّه يفتح النتيجة والمراد هنا حصر النتيجة، وهوفاسد حجاجيا.

أمّا الموضع (1): فهو الوحيد الصحيح، لأنه يؤدي إلى النتيجة المقصودة، من أنّ ماء السماء بكاء عليهم. وهو صحيح حجاجيا لأنّه يعبّر عن قصد الشاعر.

3-2-2-1-3- الأفعال الكلامية في نص الابتداء:

نلحظ استعمال التوجيهيات:

التمنّي: **فياليت شِعري** ، هو تمنٍّ لأمرٍ مستحيل جاء لغرض التمنّي وهو الغرض الأصلي لإجراء التمنّي

ألا كلُّ ما شاء الإله يسيرُ: الظاهر أنّه تمنٍّ، لكنّه وقع مشترك لفظي:

يسير- سهل/ يحدُث، فيخرج التمني من الغرض الموضوع له في الأصل إلى غرض اليأس والتسليم لقضاء الله وقَدَره.

الاستفهام: في قوله: **تُراهُ عسيرا أو يسيرا منالُهُ؟** يخرج هذا الاستفهام عن الاستخبار إلى التعبير عن الحيرة.

3-2-2-2- التحليل التداولي لنص الجواب:

ويقول في قصيدة جواب للقصيدة التي أرسلها المعتمد من الأسر إلى الشاعر[1]: [من الطويل]

جَرى بكَ جَدٌّ بالـــــــكرام عثُورُ وجارَ زمانٌ كنتَ فيه تُـــــجيرُ

لقد أصبحتْ بيضُ الظبا في غمودها إناثاً لِتَرْكِ الضّرْبِ وهي ذكــور

تجيء خـــــــــلافا للأمور أُمُورُنا وَيَعدِل دهرٌ في الورى ويـــجورُ

أتيـأسُ في يـــــــــومٍ يناقضُ أمْسهُ وَزُهْرُ الدراري في الـبروج تـدور

وقد تنْتخي الســـاداتُ بعد خمولها وتخرج من بعد الـكسوف بدور

لئن كنتَ مقصورًا بـــــدارٍ عَمَرْتَهَا فقد يُقْصَرُ الضرغام وهو هصور

أغَرَّ الأسارى أن يـــــــقالَ: محمدٌ غريبٌ بأرض المغربين أسيـــــر

[1] – ينظر: ابن حمديس: ديوان ابن حمديس، ص: 260.

تنافس من أغـــــلالها في فكاكـها وَيُقْصَمُ منها بالمصاب ذكـــور
وكنت مســـجًّى بالظبا من سجونـها بسورٍ لها إن السجونَ قبـــــور
إلى اليوْم لـم تَذْعر قطا الليل قُـرَّحٌ يغيرُ بها عند الصباح مـــــــغيرُ
ولا راحَ نادٍ بالمكارم للغنـــــــى يقلبه في الرّاحـــــــــتين فقير
لقد صُنْتَ دينَ الله خيرَ صيـــانةٍ كأنّك قلبٌ فيه وهـــــو ضمير
ولمّا رحلتمْ بالندى في أكفّـــكمْ وَقُلقِلَ رَضوى منـــــــكمُ وثبير
رَفَعتُ لساني بالقيامة قدْ أتـــــت ألا فانظروا هـــذي الجبال تسير

3-2-2-2-1- الإشاريات في نص الجواب:

ينوّع ابن حمديس في استعمال الضمائر؛ فنجده يستعمل:

ضمائر المخاطَب: وهي موجّهة إلى المخاطَب المحدّد وهو المعتمد، مثل: **كأنّكَ، كنتَ،صُنتَ عَمَرتَهَا:** وتدلّ على تذكّر الأيام الخالية ، وعلى أنّه صاحب فضل على المكان الذي حلّفيه، فقد أصبحت أغمات عامرة بالمعتمد، يؤمّها الشعراء من أجله. فقد منحها شَرَفا بحلوله فيها.

أتيأسُ: استعماله في المضارع، لتوضيح الحالة الحالية للمخاطَب. وإبراز وعي الشاعر المتكلّم بهذه الحالة.

استعمال ضمير الجمع لمتكلّم، في: **تجيء خلافا للأمور أمورُنا:**يجمع ابن حمديس بينه وبين المعتمد؛ وكأنّ تقلّب الحال على المعتمد يعني تقلّبها على ابن حمديس، لأنّه شاعره وهو من المنتمين لبلاط الدولة العبّادية بإشبيلية.

استعمال ضمير المخاطب للجمع: **ولمّا رحلتم بالندى في أكفّكم:** إشارة إلى اليوم الذي خرج فيه المعتمد وآله من القصر إلى الأسر، وهم لا يحملون إلاّ الندى الذي هو دليل على القلّة.

استعمال ضمير المتكلّم: **رفعتُ لساني:** وهو ينصّب نفسه على رأس العملية التخاطبية بعد أن قام بوصف جميع العناصر الممكنة للسياق الذي يقصده: **المعتمد، آل عبّاد، الأسارى.**

وهذا ليعبّر عن هول الحادثة، والمتمثّلة في تسبّبها في قيام القيامة، وهذه القيامة التي قامت هي قيامة ابن حمديس الذي قرن نفسه مع المعتمد في حديثه عن تقلّب الأمور.

استعمال ملفوظات للدلالة على أنّ هذا النص هو نص جواب لقصيدة المعتمد؛ ومثالها:

أغَرَّ الأسارى أن يـــــــقالَ: محمدٌ غريبٌ بأرض المغربين أسيـــــر

فالعجز هو مطلع نص الابتداء الذي بعثه المعتمد، وهذا يدلّ على أنّ صوته مازال مسموعا، وكلامه مازال يُردَّد.

استعمال الاسم الشخصي للمعتمد: **محمد**.

3-2-2-2-2- الحجاج في نص الجواب:

يستعمل **الحجاج التقويمي** في قوله:

أغَرَّ الأسارى أن يـــــــقالَ: محمدٌ غريبٌ بأرض المغربين أسيـــــر

فالقول: **أغرّ**[1] **الأسارى** يدفع إلى التساؤل: ما الشيء الذي أدخلهم في الغفلة والخديعة؟ والجواب: **أن يقال محمد غريب...**، وهو يضع معترضا على كلامه، ويتوقّع ما يقول المتلقّون ليحاججهم به، ليصل إلى نتيجة مفادها: المعتمد ليس مأسورا بأغمات لكنّه عَمَرَها.

استعمال الحجاج بالمشترك: وهو توظيف معارف مشتركة بين الشاعر والمخاطَب المقصود بالخطاب، وجمهور المتلقّين، وقد استعملها في قوله: **وقُلقِلَ رضوى منكم وثبير.**

رضوى: قال ابن أبي حاتم، حدّثنا عمر بن شبّة، حدّثنا محمّد بن يحيى أبو عنان الكناني، حدّثنا عبد العزيز بن عمران، عن معاوية ان عبد الله، عن الجلد بن أيوب، عن معاوية بن قرة، عن أنس بن مالك – رضي الله عنه – عن النبي – صلى الله عليه وسلم-؛ قال:" مّاتجلّى الله تعالى للجبال طارت لعظمته ستّة أجبل، فوقعت ثلاثة بالمدينة وثلاثة بمكّة بمكّة، وقع بالمدينة. أُحُد وورِقان ورضوى.ووقع بمكة حراء وثبير وثَور" .[2] وورد هذا في تفسير قوله تعالى:﴿ **وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ**

[1] – أغرّ: أغرّه أي أدخله في الغِرّة: أي الغفلة والخديعة. ينظر: مجموعة من الباحثين: المعجم الوسيط، مادة: ، ص:.

[2] – ينظر:ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، تح: سامي بن محمد السلامة، إهداء من سلطان بن محمد بن سعود الكبير، دار طيبة للنشر والتوزيع ، ط2، 1999، مج3، ص: 471.

مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[1]

ثبير: من أعظم جبال مكّة، بينها وبين عَرَفة، سُمّيَ ثبيرا باسم رَجُلٍ من هُذَيل، مات في ذلك الجبل فعُرِفَ الجبل به.[2] وجاء في الحديث النبوي الشريف؛ عن ثُمامة بن حزْن القُشيري رحمه الله قال:شَهدتُ الدَّارَ حينَ أشرفَ عليهم عُثمان رضي الله عنه،فقال: أنشدكم بالله وبالإسلام، هل تعلمون أنّ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم –كان على ثبير: ثبير مكّة، ومعه أبو بكر، وعُمر ، وأنا. فتَحرّكَ الجبل، فرَكضه رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – برجله وقال: اسكُن ثبير، فإنّما عليك نبيّ، وصدّيق، وشهيدان". قالوا: اللّهمّ نعم. قال: الله أكبر. شهدوا لي وربّ الكعبة أنّي شهيد.ثلاثا" .[3]

إنّ تحرّك هذه الجبال المقدّسة من خلال القرينة اللغوية قلقل، دليل على عظمة آل عبّاد .

ونستنتج أن ابن حمديس يحرص على تضمين قصائده شواهد يحتجّ بها للمرتبة التي يُعلي بها المعتمد. هذا جوهر مدح الموك كما يقول قدامة بن جعفر: فالشاعر"يحرص على الإتيان بشواهد تمثل القمة في إصابة الوجه في مدح الملوك"[4]. فتساعد هذه الحجج في إصابة وجه المدح المقصود؛ وهو هنا يتمثّل في: قيمة المعتمد ورفعته.

3-2-2-2-3- الأفعال الكلامية في نص الجواب:

ينتمي هذا الجواب إلى غرض المواساة والمدح، وهي تنتمي إلى التعبيريات – حسب تقسيم سيرل للأفعال الكلامية – وغرضها الإنجازي التعبير عن الموقف النفسي، وهو في هذه الحالة يعبّر عن حالة مَلِكه بعد الأسر، وجَور الدهر عليه. ويجب توفّر شرط الإخلاص؛ وهو أنّ ابن حمديس لديه رغبة في التعبير عن حالة ملكه المعتمد ومواساته بذلك.

---

[1] – سورة الأعراف الآية 143.

[2] – ينظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، مج 2، ص: 73.

[3] – ينظر: الترمذي: سنن الترمذي، مج: 06، ص: 71، 72. رقم الحديث: 3703. رواه الترمذي ، وقال حديث حسن ، وقد أوردنا الجزء من الحديث الذي يهم الدراسة.

[4] – ينظر: قدامة بن جعفر: نقد الشعر، مطبعة الجوائب قسطنطينية، ط1. 1302: ص: 82.

واتّجاه المطابقة أنّ الشاعر لا يروم التأثير في غيره، وغايته القصوى هي التعبير عن الموقف والحالة النفسية. وهذا ما يفسّر السبيل التي انتهجها في الحجاج. وهي سبيل للإخبار بحال المعتمد وليس تجاوزها لفعل شيء أكثر.

ومن أمثلة التعبيريات:

جَرى بكَ جَدٌّ بالـــــــكرام عثُورُ وجارَ زمانٌ كنتَ فيه تُـــــجيرُ

للتعبير عن انقلاب الحال على المعتمد.

3-3-مع ابنه الرشيد:

ينتمي المعتمد بن عبّاد إلى عائلة شعراء، فوالده المعتضد كان شاعرا، وإن غلبت مواقفه السياسية على شعره، وأبناؤه: الراضي وبثينة والرشيد أيضا شعراء وهذا ما نلمسه من خلال مطالعة ديوانه أو أخباره. ومن جنس المراسلات نجد ما ورد عندما عتب المعتمد على ابنه الرشيد في طريقه من مكناسة إلى أغمات، عتبا أفرط فيه . فكتب إليه الرشيد يستعطفه: [من الخفيف]

يا حليف الندى وربَّ السماحِ وحبيب النفوسِ والأرواحِ

من تمامِ النُّعمى عليَّ التماحي لمحةً من جبينك الوضّاحِ

قـــــد غَنينا بِبِشرِهِ وسناهُ عن ضـياءِ الصّباحِ والمصباحِ

يتّجه الرشيد إلى مخاطَبه بالنداء، واستمال ضمير المخاطب؛ في: **حليف، حبيب**.ثمّ يستعمل ضمير المتكلّم: **عليّ، التماحي**. لينتهي إلى التعبير بضمير الجمع للمتكلم؛ في: **غنينا**. وهذا للتعبير عن أبناء المعتمد وتحقيق الانتماء إلى والدهم.

فردّ عليه المعتمد قائلا [1]: [من الخفيف]

كُنتُ حِلفَ النَّدى ورَبَّ السَّماحِ وَ حَبيـــــــــبَ النُّفوسِ والأَرْواحِ

إذْ يَميني للبَذْلِ يـــــومَ العَطايا وَلِقَبْـــــضِ الأرواحِ يـــــومَ الكِفاحِ

وَشِمـــــــالي لقَبضِ كُلِّ عَنانٍ يُقْحِمُ الـــــخَيْلَ في مَجالِ الرِّماحِ

وأنا الـــــــيومَ رهنُ أسرٍ وفَقرٍ مُســـــــتباحُ الحِمى مهيضُ الجناحِ

لا أُجيبُ الـصّريخَ إذا حضَرَ النّا سُ ولا الـــــــمُعتَفين يومَ السّماحِ

عادَ بِشـري الذي عَهِدتُ عُبوسًا شغَلَتـــــــني الأشجانُ عن أفراحي

فالتِماحي إلى العُيـــــونِ كريةٌ ولَقد كـــــــــــانَ تُرفَةَ اللّمّاحِ

[1] – ينظر: المعتمد بن عبّاد: الديوان، ص: 94.

استعمل ضمير المتكلّم مع الفعل الماضي يقوم بدور الفاعليّة في: **كُنتُ**. هذه الفاعلية كانت في الماضي، وانتهى زمانه. ومع الاسم: **يميني، شمالي**. فيتذكّر الأيّام الخالية التي كان يقيم العدالة فيها.

لينتقل إلى مفهوم جديد هو التعبير عن التزامنيّة؛ والتي تتجسّد في التعبير بالتزامن مع وقت التلفّظ بالخطاب.باستعمال الضمير المنفصل" أنا" في قوله: **وأنا اليوم رهنُ أسرٍ وفقرٍ**. ويواصل تفصيل التعبير عن واقعه: **لا أجيبُ، شَغَلتني، عاد بِشري، التماحي إلى العيون كريه**. إنّ الأسر والفقر الواقع به وقت التلفّظ هو ما أدّى إلى اختلاف نظرة الناس إليه، فبعد أن كان: حبيب النفوس والأرواح، ويبذل العطايا، ويقبض الأرواح، ويقود المعارك. فأصبح مستباح الحمى مهيض الجناح. فلا يمكنه أن يجيب الصريخ لأنّ حاله تعطّلت بالأسر. لأنّ واجباته تعطّلت بفعل الأسر، وانقلبت الحال عليه من بِشرٍ غلى عُبوس، وبعد أن كان الناس يتمنّون رؤيته، باعتبار أنّه مَلِك، أصبحوا يكرهون التماحه.

وقوله [1]: [من الخفيف]

وأنا الـــــــــيومَ رهنُ أسرٍ وفَقرٍ مُســـــــتباحُ الحِمى مهيضُ الجناحِ

وأنا اليوم رهن أسر وعسر : اليوم يقصد بها زمان التلفظ فالعلاقة هي التزامنية ؛أي في وقت الحديث ذاته.حيث يضيف إليها قرينة تمنع من الالتباس، فالحاضر عند المعتمد هو حاضر الأسر لا غيره وهذا يناقض الماضي الذي يندم عليه كثيرا.

إنّ أهم ما يميّز هذه المراسلة بين الابن ووالده؛ هو الرد على الاستعطاف بالشكوى إذ لا يهمّ العتمد تمتين أواصر العلاقة مع صاحب القصيدة الأولى فهذه العلاقة فطرية ربانية، لا يحتاج إلى التكلف في تمتينها أو بذل مجهود للحفاظ على التواصل بينهما.

وثاني ما نلاحظه هو وجود المرجعية، وهذا ليثبت لنا أن نص المعتمد هو الرد على نص الرشيد. في قول المعتمد :

كُنتُ حِلفَ النَّدى ورَبَّ السَّماحِ وَ حَبيـــــــــــبَ النُّفوسِ والأَرْواحِ

وهو ردّ على قول الرشيد:

[1] – ينظر: المصدر نفسه، ص: 94.

يا حليف الندى وربَّ السماحِ وحبيب النفوسِ والأرواحِ

وقول المعتمد:

عادَ بِشــري الذي عَهِدتُ عُبوسًا شغَلَتـــــــــني الأشجانُ عن أفراحي

ردّ على قول الرشيد:

قـــــد غَنينا بِبِشرِهِ وسناهُ عن ضـياءِ الصّباحِ والمصباحِ

وقول المعتمد:

فالتِماحي إلى العُيـــــــونِ كريهٌ ولَقد كـــــــــــــانَ تُرفَةَ اللّمّاحِ

ردّ على قول الرشيد:

من تمامِ النُّعمى عليَّ التماحي لمحةً من جبينك الوضّاحِ

فالمرجعية تتمثّل في وجود ذلك الخيط الرفيع بين النصّين الأوّل والثاني والتي بيّن للشاعر الأوّل، ثمّ لعموم القرّاء أنّ النص المنجز هو الردّ على النص الأوّل لا غيره.

الحواريّة: إنّ ما نلاحظه على هذه المراسلة يتمثّل في توالي الأغراض؛ فالنص الأول كان مدحا وجوابه كان شكوى، وتفسير ذلك يعود إلى أنّ المعتمد لا يرى حاجة لتوطيد علاقته التخاطبية بالرشيد لأنّه ابنه أساسا، فالعلاقة بينهما تتجاوز علاقة ملك أسير بشاعر إلى علاقة الأب بابنه.وينزع المعتمد في جوابه إلى البعد عن التكلّف في الصياغة والتعبير' فلا يمدحه ولا يُعلي شأنه. وإنّما يعبّر عن مشاعر الغضب من ابنه بكلّ أريحيّة. بالتركيز على حال المعتمد في الماضي وحاله في الحاضر، حيث أصبح التماحه إلى العيون كريها، وفيه إشارة ولوم على عدم زيارة الرشيد له في أسره بالرغم من كونه في المغرب في فترة كتابة المراسلة.

خاتمة

في ختام هذا الفصل نصل إلى جملة من النتائج:

- تعدّ المراسلات الشعرية صنفا من الشعر لاقى ازدهارا في الأدب الأندلسي. فأصبح الناس يتكلمون شعرا.

- هنالك شبه كبير بين بناء القصائد في المراسلات الشعرية وبنائها في الترسل النثري، حيث أصبحت لديها ضوابط، تتمثل في الورود في نفس الوزن، ونفس القافية، وتوالي الموضوعات.

-كان للخطاب الموازي في المراسلات، أهمية بالغة في تحليل النصوص، والوصول إلى النتائج المرجوّة.

- تعدّ المراسلات الشعرية مجالا خصبا من مجالات التواصل، فهي تمثّل مدوّنة جيّدة للدراسة التداولية.

- المرجعية من أهم المنطلقات في تحليل المراسلات الشعرية تداوليا، فالنص الثاني لابد وأن يورد عناصر لغوية وأشطرا من النص الأول، وفي هذا مراعاة للظروف المحيطة، وإمكانية تأخّر الردّ، فإيراد هذه المؤشّرات يبيّن بأنّ النصّ الثاني هو جواب للنصّ الأوّل .

- مع الدّاني: نستنتج من خلال النموذجين المدروسين ما يأتي:

- النموذج الأول كان مكاتبة تتكون من أربعة نصوص؛ وهذا يثبت لنا العلاقة الجيّدة التي تربط المعتمد بشاعره الذي قضى معه أيّام ملكه زمنا طويلا.

- تتحقّق الإنجازية من خلال تقديم الصلة من طرف المعتمد وردّها من طرف الداني؛ هذا الردّ الذي لا يعني رفضها، وإنّما يعني تقدير الظروف الصعبة التي يمرّ بها المعتمد. وهذا ما يبرّره وجود نصّ الاستئناف، ونص جواب الاستئناف. وهو استدعاء لمبدأ أساس في النظرية التداولية وهو الضمنيّ، وهو القيام بفعل وإرادة شيء آخر.

- استعمال الإشاريات لتحقيق التراتبية والقيام من خلالها بمساندة غرض المدح. فنجد إعلاء لقيمة المخاطَب عند الداني.

- الحوارية: توالي الأغراض في المكاتبة: شكوى/مدح ـــــ عتاب / مدح.

– الحجاج: الحجاج في نص الجواب يكون أقوى منه في نص الابتداء، فالشاعر الثاني هو من يقع عليه الجهد الأكبر في صياغة الحجج.

– تتأسّس المراسلات على العلاقة الموجودة قَبلا بين الـمُرسل والـمُرسَل إليه، فلذلك يحاولان الحفاظ على استمراريتها وتمتينها.

– الإنجازية من بين أهم المفاهيم التي تقوم عليها التداولية، وهي ركيزة في المراسلات الشعرية، فبدون إنجاز نص الجواب لا معنى لنص الابتداء، فيخرج من جنس المراسلات إلى النص الشعري العادي.

–الحوارية مبدأ تقوم عليه المراسلات، من خلال تتابع الأغراض مثل: الاعتذار/ المدح.الشكوى/ المواساة.

– التوجّه بالخطاب إلى مخاطَب بعينه وهو المقصود بالخطاب في القصيدة.

– يستعمل المعتمد ضمير المتكلّم أكثر من ضمير المخاطَب لملاءمته لغرض الشكوى، أمّا الداني فإنّه يركّز على ضمير المخاطَب لإثبات التضامن معه.

– يركّز المعتمد على الأسر مكانا، والداني يركّز على مظاهر الملك الغابر.

– يستدعي المعتمد الحجاج بالمشترك، ويختار الداني من المشترك ما تضمّن الوفاء والعطاء.

– كلٌّ من المعتمد والداني يستعملان التوجيهيات المتمثلة في أسلوب الأمر. ويتجهان إلى إنقاص القوّة الإنجازية لفعل الأمر لخروجه إلى الطلب، ويستعملان الصيغ والملفوظات المناسبة للإنقاص من القوة الإنجازية.

– في النموذج الثاني: اهتمّ الداني، بجزئية تعبير الشعر عن تفاصيل الحياة اليومية؛ في طلبه أخذ زاد السفر من بيت المعتمد، وهنا يتجلّى شعور الـمَلِك الذي لم يفارق المعتمد، مادام له بيت. يجهّز منه المسافرين. ويظهر من المراسلة من خلال الطلب في نص الابتداء وإجابة الطلب في نص الجواب. وقرب المسافة المكانية الذي لم يُثن الداني عن طلب الزاد شعرا.

– مع ابن حمديس الصقلّي:

– في النموذج الأول : قام المعتمد بالاعتذار أما ابن حمديس فقد ردّ بالمدح.ونجد المعتمد يزاوج بين استعمال ضمير المتكلم وضمير المخاطب، أما ابن حمديس فيعمل على إعلاء مكانة المعتمد، بمعاملته وكأنّه مازال مَلِكا؛ من خلال ملفوظات: العبد، المولى، خدّام مُلكك، نعماك.

– وفي الحجاج يقوم ابن حمديس بإجراء مقابلة بين الحجج التي أتى بها المعتمد: الحمارأ النسرأ السوذق، القمري، باستغلال الحجاج بالمشترك والتقنية التشبيه.

– واستعمال الأفعال التقريرية الوصفية في الأفعال الكلامية لوصف الواقعة التي أدّت للمراسلة.

– وفي النموذج الثاني؛ نجد الاحتفاء بالمكان؛ فمن ناحية المعتمد نجده يحتفي بالمكان الأليف، بذكر أماكن من الماضي، والتركيز على الانتماء اللّخمي. أمّا ابن حمديس، فقد اهتمّ بالمكان وربط علاقة بين الأماكن التي يذكرها ونكبة آل عبّاد كذكره لرضوى وثبير. وإضفاء الألفة على أغمات بوصفها الدار التي عمرها المعتمد.

– ونجد الحوارية المتمثّلة في الشكوى من ظرف المعتمد، والمواساة والمدح من طرف ابن حمديس حيث يستعين بالتعبيريات للتعبير عن أقصى ما يمكنه تقديمه للمعتمد، وهو التعبير عن حاله.

–ضرب ابن حمديس الصقلّي وأبو بكر الداني المثال في الوفاء والإنسانية تجاه مَلِكهم المعتمد بن عبّاد، وجسّد ذلك نصوص المراسلات الشعرية ، وطرق تحليلها. التي جسّدت مظهرا من مظاهر الترف الحضاري الذي وصلت إليه الأندلس في ذلك العصر.

– احتفى المعتمد مع ابن حمديس بالمكان والتمني. فالمعتمد لم تفارقه صورة الملك ولاشاعره.

وقد طبّق مفهوم الضمني، من خلال ردّ صلة المعتمد، والخروج بالمراسلة من نصين: الابتداء والجواب إلى ثلاثة نصوص: الابتداء، الجواب، المراجعة، الجواب.

– أمّا في نموذج المراسلة مع ابنه الرشيد؛ فهي تعبّر عن علاقة الأب بابنه، االتي لا يلتزم فيها الأب بضوابط المراسلة ولا يجد داعيا لمراعاة ذوق الطرف الآخر من المراسلة ، لأنّه في النهاية العلاقة التي تربط بينهما علاقة إلهيّة فطرية، لا تنتهي بالمراسلة.

الخاتمة

الخاتمة:

في ختام هذه الدراسة نصل إلى جملة من النتائج نذكرها فيما يلي:

- إبداء النص الشعري الذي قيل في الأسر في الشعر العربي القديم طواعية عند تطبيق المنهج التداولي عليه، بشرط الإحاطة بالسياقات المختلفة لهذا الخطاب، خاصة منها السياق التاريخي وظروف وملابسات القول الشعري.
- تؤدّي مفاهيم مفاهيم نقدية معاصرة مثل مفهوم النص الموازي الذي قدّمه جيرار جينيت دورا محوريا في الدراسة التداولية.
- يساهم تقسيم التداولية إلى درجات ؛ الإشاريات ، الحجاج، الأفعال الكلامية . في إضفاء صفة المنهجية عند التطبيق.
- إنّ الخطاب الشعري يمتاز بالخصوصية، وذلك لأنّ المتكلّم فيه غالبا هو الشاعر، الذي لا يختار دائما إعطاء الكلمة للذوات التي يحاورها، وبالتالي تطبيقه لمبدأ السلطة.
- تساعد تنظيرات غربية وعربية لاستجلاء توظيف الإشاريات في الخطاب، والوصول إلى الغرض التداولي في الخطاب. مثل: التزامنية في الزمن الذي اقترحته أوركيوني، التعبير عن الذاتية في اللغة الذي اقترحه بنفنيست، وتصنيف الضمائر التقني إلى ضمائر حضور وضمائر غياب وهو ما اقترحه تمّام حسّان.
- إنّ شعر الأسر عند المعتمد بن عبّاد خطاب تتوفّر فيه الإشاريات على تنوعها.
- عبّرت الإشاريات الشخصية عن الذوات التي استدعاها المعتمد في أسرياته، فكانت طرفا للحوار أو موضوعا له.
- استعمال ضمائر الحضور بنسبة تفوق بكثير استعمال ضمائر الغياب فاستعماله لضمائر التكلم والخطاب وأسماء الإشارة بمختلف فروعها غلب على استعمال ضمائر الغياب المتمثلة في ضمائر الغائب .وهذا دليل على نتيجة تداولية هامة توحي باستحضار الشعر للذوات التي كان يخاطبها.

- عبّرت ضمائر الحضور عن المعتمد في حالين: التعبير عن نفسه ومخاطبتها.والتعبير عن فخره بالأصل اللخمي، وتشخيصه لذوات من الطبيعة ومخاطبتها، لبعبّر بذلك عن الوحشة والوحدة.
- استعمل ضمائر الغياب للتعبير عن الذوات المعيقة له والتي أراد تغييبها،وتمثلت في المرابطين، وشعراء طنجة.
- استعمال الإشاريات المكانية في تعبيره عن أماكن أليفة أحبّها أو عاش فيها أو تذكّرها، وهي: . تمثلت في الأبنية التي شادها هو وأسلافه.

في حين عبّر المكان الـمُعادي عن :

- أماكن مغربية نسب إليها أسره ومعاناته.مثل أغمات التي خلّدها بشعره، والمغرب التي نسب إليها أسره، وطنجة التي نسب إليها الشعراء الذين غيّبهم في الإشاريات الشخصية.
- أماكن أندلسية كرهها بسبب الأحداث التي وقعت فيها وهي: قرطبة التي قُتِل فيها ابنه، ورُندة التي قُتِل فيها ابنه الآخر، وإشبيلية التي عدّها مكانا لحلول الموت. وقد سمّاها حمص الاسم المشرقي الذي وضعه الأندلسيون لها.
- نستنتج أنّ استعمال الإشاريات الزمانية تميّز بالدقّة والتحديد؛فالمعتمد ذكر أحداثا وقصصا خاصة بحياته، لا يمكن بأيّة حال معرفتها دون الاطّلاع على سيرته، نحو: يوم الطين الذي يشكّل مرحلة هامة من حياته التي تميزت بالدَّعة والاستقرار السياسي.
- وتمثلت الإشاريات الزمانية الأخرى في الأحداث السياسية المفصلية في تاريخه، وهي معركة الزلاقة (يوم العروبة) والذي يمثّل أوّل عهد المرابطين بالأندلس والخطوة الأولى لتضعضع الملك ولو بعد حين. ورغم تحديد الإشاريات الزمانية إلا أنها تلتقي بأمرين :
- قصد المعتمد من تضمينها في شعره: وهو تخليد هذه الأحداث وتبيان أهم المراحل في حياته.
- ساهمت الإشاريات عموما على إشراك القاريء و تحفيز المتلقي على معرفة سيرته الشخصية وإعطاء صورة عامة له عند عامة القُرّاء .

- لا يوجد خطاب بلا حجاج،خاصة الخطاب الشعري، فالشعر خطاب يحوي الإقناع، رغم قيامه على عنصر التخييل.
- لا يتأتّى استجلاء مواطن الحجاج، وكيفية توظيفه إلاّ بالإحاطة بحيثيات المدوّنة والسياق الزماني والمكاني، و التطورات السياسية في الفترات التاريخية المدروسة.
- ساهم شعراء المعتمد ابن حمديس الصقلّي وأبو بكر الداني، في تعزيز التعبير عن معاني القيد، وبالتالي تأييد المعتمد في إقناع شعبه في إشبيلية بتخفيف القيود عنه. وهو ما حدث فعلا، ودواوين الشعراء تثبت ذلك. وقد ركزا على استعمال التشبيه لأنّه قياس واضح وقريب، كما اعتمدا على علاقة الاقتضاء التي تقوم على مفهوم المفارقة.
- احتوى شعر الأسر عند المعتمد بن عبّاد على عدّة أنواع من الحجج. تعدّدت فيها الآليات؛ كالتشبيه والتشخيص والآليات البلاغية الأخرى.وتوظيفنا للسلالم الحجاجية، يجعلنا نصل إلى درجات الاستنتاج التي يدفع الشاعر إليها متلقّيه. وكذلك تحليل العبارات التي تحوي على الروابط الحجاجية. ومعرفة تأثيرها على الإقناع، واستنتاج السلالم الحجاجية التي تفسرها.
- قام المعتمد باستدعاء تقنيات أخرى في الحجاج، كتأسيس الواقع بواسطة الحالات الخاصة؛ والأمر الذي يُفسّره استعمال غرض الفخر، فكأنّه يبني واقعا جديدا في الأسر، ليتخلّص به من الحال التي يعيشها.
- قام باستعمال الحجاج بالمشترك، خاصة باستدعاء ما تعارف عليه العرب من حيوانات، كالقطا، والغراب الذي يعكس تصوّر العرب له لينتقل من الدلالة على الشؤم إلى الدلالة على السعد، حسب السياق الذي وردت فيه.
- تعدّ نظرية الأفعال الكلامية مجالا خصبا للتطبيق على الخطاب الأدبي، والشعري منه خاصة.
- إنّ تقسيم سيرل الأفعال الكلامية حسب الشروط التمهيدية وشرط الإخلاص واتّجاه المطابقة، تقسيم يلقى ترحيبا عند التطبيق، لأنه يفسح المجال أمام تصنيف معاصر يستمدّ منهجيته من رافدين، هما البلاغة العربية، والتداولية المعاصرة.

- إنّ تطبيق مفهوم تعديل القوة الإنجازية الذي اقترحه محمد العبد، يساهم في معرفة قوة الخطاب، ومدى تأديته لشدة الغرض سواء أكان بالسلب أو بالإيجاب. باستغلال العناصر اللغوية المتوفرة في النص الشعري.
- نظراً لطبيعة المدونة، فإننا اقتصرنا على العمل على أنواع الأفعال الكلامية التي وجدناها في شعر الأسر عند المعتمد بن عبّاد؛ وهي: التعبيريات، التقريريات، التوجيهيات.
- تكثر التقريريات عند المعتمد، وهذا يثبت أنّ شعره في الأسر كان مذكّرات، كتب فيها تفاصيل محنته. وقد ساعدت النصوص الموازية على فهم النصوص وتأويلها، لأنّ التقرير يعتمد على اتّجاه مطابقة مع الواقع.وفيها أمكننا تطبيق قوانين الخطاب كمبدأ التعاون ونظرية الملاءمة، على الوصول إلى تحليل أسهم في تطبيق هذه المفاهيم على النص الشعري.
- استعمل التعبيريات في نصوص رثاء بنيه، لأنها كانت تعبيرا عن معاناته، وكان يتجه بها إلى العالم.
- استعمل التوجيهيات (الطلبيات) في غضون النصوص الشعرية؛ وقد تنوع استعمالها بين أنواع الأساليب الإنشائية المعروفة: الاستفهام، الأمر، النهي، النداء. التمنّي
- خرج الاستفهام إلى التقرير والنفي والتعجب، وهذا بالانتقال إلى القوة الإنجازية المستلزمة مقاميا.
- كثُر استعمال أسلوب الأمر بغرضه الصريح في خطابات الحكمة التي يوجهها إلى نفسه ويدعوها إلى الصبر والتجمل. كما خرج إلى المعنى المستلزم مقاميا، واقتصر على الدعاء لأنّ رتبة المعتمد كانت دائما الأدنى فكان يطلب الدعاء، ويدعو للمخاطَبين باستعمال صيغ متنوعة: الفعل المبني للمجهول، اسم الفعل،فعل الدعاء الصريح أو مصدره.
- كان نادرا استعمال أسلوب النهي، فقد استعمل مرة وحيدة في خطاب الفخر بأصله اللخمي، وهو يخاطب به المتلقي الكوني بأن لايُراع.
- كان ورود النداء متعاضدا مع الأساليب الأخرى؛ كالدعاء، والاستفهام.
- تعدّ المراسلات الشعرية مجالا خصبا من مجالات التواصل، فهي تمثّل مدوّنة جيّدة للدراسة التداولية.

– المرجعية من أهم الضوابط في تحليل المراسلات الشعرية تداوليا، فالنص الثاني لابد وأن يورد عناصر لغوية وأشطرا من النص الأول، وفي هذا مراعاة للمتلقي الكوني، حيث يعرف من خلال قراءة القصيدتين أنهما قيلتا في جنس المراسلات.

– الإنجازية من بين أهم المفاهيم التي تقوم عليها التداولية، وهي ركيزة في المراسلات الشعرية، فبدون إنجاز نص الجواب لا معنى لنص الابتداء، فيخرج من جنس المراسلات إلى النص العادي.

– الحوارية مبدأ تقوم عليه المراسلات، من خلال تتابع الأغراض مثل: الاعتذار/ المدح.
الشكوى/ المواساة.

– يتأسّس نص الجواب في المراسلة، على نص الابتداء. في البناء من ناحية استعمال الإشاريات ن أو استعمال الحجج.

– يقع الجهد الأكبر على الشاعر الذي يكتب نص الجواب، من جهة التضامن في استعمال الضمائر والإعلاء من مكانة المرسَل إليه. عندما يكون المعتمد هو المرسَل إليه.

– يسعى الشاعر في نص الجواب إلى إجراء التقابل بين الحجج. فالشاعر الثاني يأتي بحجج تقابل أو تماثل الحجج الواردة في نص الابتداء. كنها تكون أكثر منها تنوعا.

– يتلاءم اختيار الفعل الكلامي الكلّي بحسب الحوارية التي يفرضها نص الابتداء.

– ضرب أبو بكر الداني وابن حمديس الصقلّي المثال في الوفاء والإنسانية تجاه مَلِكهم المعتمد بن عبّاد، وجسّد ذلك نصوص المراسلات الشعرية ، وطرق تحليلها.

– طبّق كُلٌّ من المعتمد والداني مفهوم الضمني، من خلال ردّ صلة المعتمد، والخروج بالمراسلة من نصين إلى جعلها مكاتبة تتكوّن من أربعة نصوص؛ ابتداء ، جواب، استئناف، مراجعة. وهذا يدلّ على تجسيد العلاقة المتينة بين المعتمد والداني في الواقع ونقلها إلى ميدان المكاتبة.

– يشترك كلٌ من اهتمّ الداني وابن حمديس؛ فالداني يهتمّ بجزئية تعبير الشعر عن تفاصيل الحياة اليومية، كطلب أخذ زاد السفر من بيت المعتمد. وابن حمديس في وصفه لسجّاني المعتمد بخدّام الـمُلك، وبأن أغمات قد عمرت بوجود المعتمد فيها . وهما بهذا يكرّس شعور الـمَلِك الذي لم يفارق المعتمد.

– وقد أخذت المراسلة بين المعتمد وابنه الرشيد منحى أخر، لم يلتزم فيه المعتمد بالحفاظ على العلاقة المؤسسة بالخطاب، فردّ على مدح الرشيد بالشكوى ، ولم نجد في النص ما يدلّ على

الشكر، أو التضامن مع المرسِل، وهذا يعود إلى العلاقة الأبوية بين المعتمد والرشيد، لتي يضمن المعتمد بقاءها ، حتّى في حال تعبيره عن الغضب منه في المراسلة الشعرية.

وفي نهاية البحث ، أتوجّه بالشكر للأستاذ المشرف الأستاذ الدكتور أحمد بلخضر على وقوفه على البحث في جميع مراحله، وتقديم التشجيع المعنوي، والعون العلمي لي في هذا البحث وفي بحوث أخرى سابقة.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع

المصادر:

1- ابن عبّاد (المعتمد): الديوان، تح: أحمد أحمد بدوي وحامد عبد المجيد، بإشراف طه حسين،المطبعة الأميرية بالقاهرة، د.ط، 1951.

المعاجم: المعاجم:

1- الحموي (ياقوت): معجم البلدان، دار صادر، بيروت، د.ط. 1977.
2- ابن سيدة (أبو الحسن علي بن إسماعيل): المخصص، المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق مصر، 1216هـ.
3- مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، القاهرة، ط4، 2004.
4- ابن منظور(أبو الفضل جمال الدين بن مكرم): لسان العرب، دار صادر، بيروت ، د.ط، د.ت.

المراجع باللغة العربية:

5- ابن الأثير(عز الدين أبو الحسن الجزري) : الكامل في التاريخ،تح: أبو الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط1. 1987.
6- أدراوي (العياشي): الاستلزام الحواري في التداول اللساني – من الوعي بالخصوصيات النوعية للظاهرة إلى وضع القوانين الضابطة لها. منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2011.
7- أنيس (إبراهيم): موسيقى الشعر، مكتبة الأنجلو مصرية، ط2، 1952
8- الباهي (حسان) : الحوار ومنهجية التفكير النقدي، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ط1. 2000.

9- البرزة (أحمد مختار): الأسر والسجن في شعر العرب، مؤسسة علوم القرآن ، دمشق،1985.

10- بركة (فاطمة الطبال)، النظرية الألسنية عند رومان جاكسون دراسة ونصوص، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ط 1، 1993.

11- بلخير (عمر):تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية ، منشورات الاختلاف ، الجزائر العاصمة، ط1. 2003.

12- بن رمضان (صالح): الرسائل الأدبية ودورها في تطوير النثر العربي القديم (مشروع قراءة شعرية)، دار الفارابي، بيروت لبنان، ط2، 2007.

13- بوبكري (راضية خفيف) بوبكري : التداولية وتحليل الخطاب، (مقاربة نظرية)، مجلة الموقف الأدبي، العدد399. تموز2004.

14- الترمذي (أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة): الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي، تح: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1996.

15- التفتازاني (سعد الدين): مختصر السعد شرح تلخيص كتاب مفتاح العلوم، تح: عبد الحميد هنداوي، صيدا بيروت ،2003.

16- أبو تمام(حبيب بن أوس) :ديوان أبي تمام،تقديم وشرح محي الدين صبحي ،دار صادر بيروت لبنان ،ط1.

17- الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر): البيان والتبيين، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي القاهرة، ط4، 1983.

18- : الحيوان، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط4. 1983.

19- الجرجاني(عبد القاهر): أسرار البلاغة في علم البيان، صححه وعلق عليه: محمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية بيروت بنان، ط1. 1988.

20- : دلائل الإعجاز في علم المعاني، صححه وعلق عليه: محمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، د.ط. د.ت.

21- ابن جعفر (قدامة): نقد الشعر، مطبعة الجوائب قسطنطينية، ط1. 1302.

22- الجمل (إيمان) : المعارضات في الشعر الأندلسي، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط1. 2007.

23- حجازي (محمد عبد الواحد) : الأطلال في الشعر العربي –دراسة جمالية،دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط1. 2002 .

24- حسان (تمام): اللغة العربية معناها ومبناها، ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2 ، 1979م.

25- : مكونات الضمائر في النص القرآني الكريم – ضمن اجتهادات لغوية، عالم الكتب القاهرة، ط1، 2007.

26- حسن (عباس) : النحو الوافي، دار المعارف مصر، ط 3.د.ت، ج1، ص: 196.

27- حمو الحاج (ذهبية): لسانيات التلفظ وتداوليات الخطاب، دار الأمل تيزي وزو ، د.ط. د.ت.ص: 165.

28- ابن خاقان(الفتح): قلائد العقيان ومحاسن الأعيان، حققه وعلق عليه: حسين يوسف خريوش، عالم الكتب الحديث، إربد. ط1. 2010.

29- ابن الخطيب (لسان الدين): أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يتعلّق بذلك من الكلام، تح: سيّد كسروي حسن، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، منشورات محمد علي بيضون دار الكتب العلمية بيروت لبنان، د.ط.د.ت.

30- ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد) ، المقدمة ،الدار التونسية للنشر والتوزيع والمؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر د.ط، 1984.

31- ابن خلكان (أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، دار صادر بيروت، د.ط. 1978.

32- الدريدي (سامية) : الحجاج في الشعر العربي القديم بنيته وأساليبه حتى نهاية القرن الثاني للهجرة بنيته وأساليبه، عالم الكتاب الحديث، أربد، الأردن، ط1، 2008.

33- ابن رشيق (أبو الحسن) ، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، حققه وفصّله وعلّق على حواشيه : محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان، ط5. 1981.

34- الرماني (علي بن عيسى أبو الحسن) :معاني الحروف، حققه وخرّج شواهده ، وعلق عليه، وقدم له، وترجم للرماني، وأرخ لعصره: عبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار الشروق للنشر والطباعة والتوزيع، جدة المملكة العربية السعودية، ط2. 1981.

35- : النكت في الإعجاز القرآني، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، حققها وعلق عليها : محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام ، دار المعارف مصر، ط2. 1968.

36- الزناد (الأزهر): نسيج انص، بحث في ما يكون به الملفوظ نصا، المركز الثقافي العربي، الدر البيضاء، ط1، 1993.

37- ابن زيدون(أبو الوليد أحمد بن عبد الله):ديوان ابن زيدون، شرح يوسف فرحات، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، ط2. 1994.

38- : ديوان ابن زيدون ورسائله،شرح وتحقيق: علي عبد العظيم، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ط.دت.

39- السامرّائي (فاضل صالح): معاني النحو، دار الفكر ، عمان الأردن، ط5. 2011.

40- السبهاني (محمد عبيد صالح): المكان في الشعر الأندلسي من الفتح حتّى سقوط الخلافة، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط1. 2007.

41- سيبويه(عمرو بن عثمان بن قنبر) ،الكتاب،تحقيق و وشرح : محمد عبد السلام هارون،مطبعة الخانجي القاهرة، ط 3. 1988.

42- ابن سينا(أبو علي الحسين) : تلخيص كتاب أرسطاطاليس في الشعر-وقد ورد ضمن :كتاب أرسطاطاليس في الشعر، نقل أبي بشر متى بن يونس القنائي، تح : شكري محمد عياد، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، 1967 ،ص:197.

43- الشايب(أحمد): تاريخ النقائض في الشعر العربي، دار النهضة المصرية، القاهرة ط2. 1954..

44- شلبي (سعد إسماعيل): البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر عصر ملوك الطوائف، دار نهضة مصر للطبع والنشر.د.ط.د.ت.

45- الشنتريني (أبو علي الحسن ابن بسام): الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تح: إحسان عباس، دار الثقافة بيروت لبنان، د.ط. 1997.

46- الشهري (عبد الهادي بن ظافر) : استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت لبنان، ط. 2004.

47- الطبطبائي(طالب سيد هاشم) ،نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، مطبوعات جامعة الكويت، د.ط. 1994.

48- صحراوي (مسعود) :التداولية عند العلماء العرب – دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي ، دار الطليعة للنشر والتوزيع ، بيروت لبنان ، ط1. 2005.

49- الصقلّي (أبو محمد عبد الجبّار بن أبي بكر ابن حمديس): ديوان ابن حمديس الصقلي، تعليق: يوسف عيد، دار الفكر العربي، بيروت لبنان، ط1. 2005.

50- صولة(عبد الله) : الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية،دار الفارابي ،بيروت لبنان ، ط2. 2007.

51- : الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنّف في الحجاج – الخطابة الجديدة لبرلمان وتيتيكان. ضمن: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، فريق البحث في البلاغة والحجاج، إشراف حمادي صمّود، كلية الآداب جامعة منوبة تونس، ط1. 1986.

52- ضيف (شوقي): تاريخ الأدب العربي – الأدب الجاهلي- ، دار المعارف، ط8. 1966.

53- : تاريخ الأدب العربي - العصر العباسي الأول- ، دار المعارف، ط8. 1966.

54- : تاريخ الأدب العربي عصر الدول والإمارات الأندلس، دار المعارف القاهرة، د.ط. 1989.

55- بن عاشور (محمد الطاهر): تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر تونس 1984.

56- عباس (إحسان): تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين، دار الشروق عمان، ط1، 1997.

57- العبد (محمد): تعديل القوة الإنجازية دراسة في التحليل التداولي للخطاب، ضمن : التداوليات علم استعمال اللغة إعداد وتقديم: حافظ إسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث ، إربد، 2010.

58- عبد الحق (صلاح إسماعيل): التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، دار التنوير للطباعة والنشر، لبنان، ط1، 1993.

59- عبد الرحمن(طه): تجديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي، ط2، 2005.

60- : اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1998.

61- عزام (عبد الزهاب) : المعتمد بن عبّاد الملك الجواد الشّجاع الشّاعر المرزّأ. مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، د.ط.د.ت،

62- العزاوي (أبو بكر): اللغة والحجاج ، العمدة للطبع،الدر البيضاء، ط1، 2006.

63- العسكري (أبو هلال): الصناعتين الكتابة والشعر، تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي ، ط2. د.ت.

64- عشير(عبد السلام): عندما نتواصل نغيّر مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، إفريقيا الشرق، ط2. 2012.

65- عصفور(جابر): الصورة الفنية في التراث البلاغي والنقدي: المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء، ط3. 1992.

66- عيد (محمد عبد الباسط): في حجاج النص الشعري، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ط1، 2013.

67- فروخ (عمر):تاريخ الأدب العربي ، ج4: الأدب في الأندلس والمغرب منذ الفتح الإسلامي إلى آخر عصر ملوك الطوائف. دار العلم للملايين، بيروت،ط4، 1981.

68- فضل (صلاح): بلاغة الخطاب وعلم النص، أدبيات مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، ط2. 1996.

69- القرطاجني(حازم) : منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تقديم وتحقيق : محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط 3 ، 1986 .

70- القلقشندي (أبو العباس شهاب الدين أحمد بن علي بن أحمد) : صبح الأعشى في صناعة الإنشا، شرحه وعلق عليه وقابل نصوصه: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، د.ط، د.ت.

71- ابن كثير (أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر): تفسير القرآن العظيم، تح: سامي بن محمد السلامة إهداء من سلطان بن محمد بن سعود الكبير، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2. 1999.

72- ابن اللبّانة (أبو بكر بن محمد بن عيسى بن محمد اللخمي الداني): ديوان ابن اللبانة الداني مجموع شعره، جمع وتحقيق: محمد مجيد السعيد، دار الراية للنشر والتوزيع عمان ،ط2، 2008.

73- مبارك (زكي) : النثر الفني في القرن الرابع، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة، ط1. 1934.

74- المبخوت (شكري): نظرية الحجاج في اللغة ، ضمن أهم نظريات الحجاج في التقايد الغربية من أرسطو إلى اليوم.

75- المتوكل (أحمد): آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي، آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ط1. 1993.

76- : الاستلزام التخاطبي بين البلاغة العربية والتداوليات الحديثة، ضمن: التداوليات علم استعمال اللغة ، إعداد وتقديم: حافظ إسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث، إربد، ط1، 2011.

77- المراكشي (عبد الواحد): المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح: محمد سعيد العريان، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالجمهورية العربية المتحدة، د.ط. 1963.

78- المقّري(أبو العباس أحمد بن محمد): نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح: إحسان عباس، دار صادر بيروت، د.ط. 1968.

79- منصر(نبيل): الخطاب الموازي للقصيدة العربية المعاصرة،دار توبقال للنشر والتوزيع، الدار البيضاء،ط1، 2007.

80- مونسي (حبيب): فلسفة المكان في الشعر العربي قراءة موضوعاتية جمالية، من منشورات اتحاد الكتّاب العرب، دمشق، 2001.

81- الناجح (عز الدين): العوامل الحجاجية في اللغة العربية، مكتبة عاء الدين للنشر والتوزيع، صفاقس، تونس، 2011.

82- نحلة (محمود أحمد) :آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، د.ط.2002.

83- هارون (عبد السلام محمد) الأساليب الإنشائية في النحو العربي، دار الجيل بيروت، ط2، 1979.

84- ولد محمد الأمين (محمد سالم) : مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة،عالم الفكر، الكويت ، ع2.يناير ، مارس، 2000

85- ابن وهب الكاتب (أبو الحسين إسحاق بن إبراهيم بن سليمان): البرهان في وجوه البيان، تقديم وتحقيق: حفني محمد شرف، مطبعة الرسالة، عابدين مصر، د.ط.د.ت.

86- ابن يعيش(أبو البقاء يعيش بن علي): شرح المفصّل للزمخشري، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه: اميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 2001.

المراجع المترجمة:

87- أرمينكو (فرانسواز) ، المقاربة التداولية، ترجمة سعيد علوج، مركز الانماء القومي، المغرب، د ط، 1986.

88- أوركيوني(ك): فعل القول من الذاتية في اللغة، تر: محمد نظيف، افريقيا الشرق، د.ط.
2007.

89- أوستين (ج): نظرية أفعال الكلام العامةكيف ننجز الأشياء بالكلمات، تر: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، ط2. 2008. ص:174.

90- باشلار (غاستون) : جماليات المكان،تر: غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط2، 1984.

91- براون (ج) ، يول (ج) : تحليل الخطاب ، ترجمة وتعليق : محمد لطفي الزليطي –منير التريكي، جامعة الملك سعود،د.ط.1997.

92- بروفنسال (ليفي): الحضارة العربية في إسبانيا، ترجمة: الطاهر أحمد مكي، دار المعارف، القاهرة، ط3. 1994.ص: 188.

93- بنفيست (إميل)، عن الذاتية في اللغة، ضمن :تلوين الخطاب –فصول مختارة من اللسانيات والعلوم الدلالية والمعرفية والحجاج- الدار المتوسطية للنشر ،تونس،ط 2007.

94- جوميث (إميليو جارثيا) : الشعر الأندلسي بحث في تطوره وخصائصه،بحث في تطوره وخصائصه، ترجمه عن الإسبانية: حسين مؤنس، دار الرشاد القاهرة، ط2، 2005.

95- دايك(فان) : النص والسياق: استقصاء البحث في البحث الدلالي والتداولي، ترجمة: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2000.

96- دلاش (الجيلالي) :مدخل إلى اللسانيات التداولية، ترجمة محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط،د ت، ص 01.

97- دوزي : ملوك الطوائف ونظرات في تاريخ الإسلام، تر: كامل كيلاني، مكتبة ومطبعة عيسى الماني الحلبي وشركاه، القاهرة مصر، ط1، 1932.

98- روبول (آن) و موشلار(جاك) : التداولية اليوم علم جديد في التواصل، تر: سيف الدين دغفوس، محمد الشيباني، مراجعة: لطيف زيتوني، المنظمة العربية للترجمة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت لبنان، ط1، 2003..

99- طاليس(أرسطو) : الخطابة، الترجمة العربية القديمة، حققه وعلق عليه: عبد الرحمان بدوي، ، دط، دار القلم بيروت.

100- كوهن (جون): بناء لغة الشعر- اللغة العليا، ترجمة أحمد درويش، مكتبة الزهراء بالقاهرة، ط1، 1985.

101- لوتمان (يوري): مشكلة المكان الفنّي، تر: سيزا قاسم. ضمن: جماعة من الباحثين: جماليات المكان، عيون المقالات، دار قرطبة، الدار البيضاء.ط2. 1988.

102-يول (جورج) : التداولية، تر: قصي العتابي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط1. 2010.

الأطروحات والمخطوطات:

103-شيتر (رحيمة): تداولية النص الشعري جمهرة أشعار العرب نموذجا، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في العلوم، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2009.

104-مدور (محمد): الأفعال الكلامية في القرآن الكريم سورة البقرة أنموذجا، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في العلوم، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2013.

المراجع باللغة الأجنبية:

l énonciation de la subjectivité dans le :Catherine kerbrat-orecchioni -105
langage Armand colin quatrième édition

Dominique maingueneau ، pragmatique pour le discours littéraire: -106

paris ، ،bordas

-107- JEANDUBOIS ETAUTRES DICTIONNAIREDE

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات:

المحتوى	الصفحة
شكر وتقدير	02
المقدّمة	(أ–ث)
التمهيد: (مفاهيم أساسية في الدراسة)	09
شعر الأسر	11
عصر ملوك الطوائف	13
الخصائص الموضوعية لشعر السجون في عصر ملوك الطوائف	19
المعتمد بن عبّاد	29
عرض مدوّنة الدراسة	36
مفهوم التداولية	40.
الفصل الأول: الإشاريات في شعر الأسر عند المعتمد بن عبّاد	46
مفهوم الإشاريات	48
الإشاريات في شعر الأسر عند المعتمد بن عبّاد	55.
الإشاريات الشخصية	55.
ضمائر الحضور	56
ضمائر الغياب	67
الإشاريات المكانية	72
المكان الأليف	74
المكان الــمُعادي	78

الإشاريات الزمانية.....81

خاتمة.....87

الفصل الثاني: الحجاج في شعر الأسر عند المعتمد بن عبّاد.....89

مفهوم الحجاج.....91

الحجاج في الفكر الغربي المعاصر.....93

الحجاج في الشعر العربي القديم.....96

الحجاج في شعر الأسر عن المعتمد بن عبّاد.....100

الحجاج بالأصل اللخمي.....100

الحجاج بالمشترك.....104

السلّم الحجاجي.....106.

الروابط الحجاجية.....108

حتى.....109

لكن.....111

بل.....114

العوامل الحجاجية.....115

إنما.....116

ما...إلاّ.....120

الحجاج التقويمي.....122

حجاجية القيد.....124

القيد في شعر المعتمد.....126

القيد عند شاعرَي المعتمد.....132

القيد عند أبي بكر الدّاني (ابن اللبّانة).....132

القيد عند ابن حمديس الصقلّي.....136

خاتمة 140

الفصل الثالث: الأفعال الكلامية في شعر الأسر عند المعتمد بن عبّاد.....142

نشأتها.....144

الأفعال الكلامية عند الغرب.....144

عند أوستين.....145

عند سيرل 147

الأفعال الكلامية عند البلاغيين العرب (الخبر والانشاء).....154

تعديل القوّة الإنجازية.....157

الأفعال الكلامية في شعر الأسر عند المعتمد بن عبّاد(حسب تصنيف سيرل)....162

التعبيريات.....162

التقريريات 174

التوجيهيات (الطّلبيات) 183

خاتمة 196

الفصل الرابع: المراسلات الشعرية في شعر الأسر عند المعتمد بن عبّاد.....198

مفهوم المراسلات الشعرية.....200

المدخل التداولي في المراسلات الشعرية.....202

المراسلات الشعرية في شعر الأسر عند المعتمد بن عبّاد.....205

المراسلات الشعرية بين المعتمد بن عباد والداني.....207

النموذج الأول 207

النموذج الثاني.....221

المراسلات الشعرية بين المعتمد بن عبّاد وابن حمديس الصقلّي.....225
النموذج الأول.....225
النموذج الثاني.....234
مع ابنه الرشيد.....242
خاتمة 245
الخاتمة.....248
قائمة المصادر والمراجع.....255
فهرس الموضوعات.....268